دراسات علمية محكمة ومقالات تاريخية متنوعة

تأليف

د / محمد بن حسين الحارثي الشريف

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م

تكوين
COMBINATION
دار تكوين للنشر والتوزيع
TKWEEN 2022

مجموعة تكوين المتحدة
للطباعة والنشر و التوزيع

جدة - حي مشرفة - شارع التضامن العربي
info@tkween.net.sa
tkween.net.sa
00966557772038

دراسات علمية مُحَكَّمَة ومقالات تاريخية متنوعة



تأليف

الدكتور محمد بن حسين الحارثي الشريف

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسات علمية محكمة, ومقالات تاريخية متنوعة

١- [الدور التاريخي للشريف محمد أبونُمَيّ الثاني حاكم الحجاز وأمير الحرمين الشريفين، في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي في التصدي للغزو البرتغالي للحجاز].

٢- إعمار عين عرفة بمكة المكرمة في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ما بين المصادر التاريخية المكية والوثائق العثمانية، دراسة تاريخية مقارنة.

٣- قانون الخَيْف سُقيا مزارع (آل باز الأشراف الحُرَّث) بوادي نخلة الشامية (المضيق).

٤- تفشي الأوبئة والحجر الصحي للحجاج في القرن التاسع عشر الميلادي.

٥- دراسةٌ وثائقيةٌ؛ لشهادةِ نَسَبٍ نُمَويةٍ، لفرع من آل الشريف محمد أبي نُمَي.

٦- دراسة وثيقة وقفية للأشراف الحرث.

٧- دراسة وثائقية لحجة وقفية بشمال الحجاز.

٨- خصائص المدرسة التاريخية المكية.

٩- سُكنى الأشراف الحرث بأحياءِ مكة المكرمة.

١٠- المسجد الأقصى في الجعرانة...!

١١- تصحيح مفهوم نظام الحكم في الإسلام، وحاكمية قريش.

١٢- أودية وشعاب مكة المكرمة.

١٣- نشأة التعليم في مكة في عهد الملك عبدالعزيز.

١٤- بيان وتوضيح حقيقة الفيلم الهندي (جودا أكبر).

١٥- الفيلم «فيلم «بادمافات» الهندي وتزوير وتشويه شخصية السلطان علاء الدين الخلجي».

١٦- ندوة « عاتق البلادي علامة الحجاز» التي نظمتها اللجنة الثقافية بمحافظة خليص .

١٧- ندوة (عاتق البلادي ـ وقفات في رحلة البلدان والأنساب والتاريخ)، نظمها نادي مكة الثقافي الأدبي.

١٨- (ندوة بلدة الشعّراء بعالية نجد) الشريف أحمد الحارث.

١٩- وجب الوفاء فما علي ملامة. مقالة رثاء.

٢٠- مقالة ديار حليمة السعدية.

٢١- مقالة ياهو yahoo.

٢٢- قانون الشريف محمد أبو نُمي الثاني.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي جعل الحجاز ومكة البلد الأمين موطنًا وسكنًا لنا ولأجدادنا الأقدمين، والصلاة والسلام المباركان العاطران الدائمان إلى يوم الدين على شفيع الأمة ونبي الرحمة الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين نبينا وسيدنا محمد بن عبد الله الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي سعدت الحجاز بوطء قدميه الشريفتين عليها في سهولها وجبالها وبراريها، وعلى آله وصحبه الأكرمين الذين وفقهم الله لاتِّباع الحق المبين.

انطلاقًا من رؤيتي الخاصة أن مؤلفاتي هي ذريتي الطيبة، وإرثي المبارك، يسرني أن أقدم للقارئ الكريم هذا الكتاب الذي يضم مجموعة من الدراسات العلمية التاريخية المحكمة، وعدداً من الأوراق العلمية والمقالات التاريخية المتنوعة، تمت المشاركة بها على مدى عقد من الزمان بفضل الله وتوفيقه، ثم قررت جمعها بين دفتي كتاب واحد؛ حتى يتسنى لكثير من القراء الكرام، الاطلاع عليها والاستفادة منها.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

كتبه وجمعه ورتبه

الدكتور محمد بن حسين الحارثي الشريف

مكة المكرمة

مساء الأربعاء ٢٠ شعبان ١٤٤٣هـ/ ٢٣ مارس ٢٠٢٢م

الدور التاريخي للشريف محمد أبونُمَيّ الثاني حاكم الحجاز وأمير الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي في التصدي للغزو البرتغالي للحجاز

البحث المشارك في مؤتمر ريس الثاني

في العدد ٣٣ الدوري لمجلة ريس العلمية المحكمة

ذات معامل تأثير امباكت فاكتور دولي.

The historical role of Sharif Mohammed Abunumi II Governor of Hijaz and Prince of the Two Holy Mosques In 10th century AH / 16th century AD In confronting the Portuguese invasion of the Hijaz

Prepared by:

Dr. Mohammed bin Hussein al-Harthi al- Sharif

PhD in History and Civilization

(Independent Researcher)

Makkah

Presented to

The Second International Scientific Conference on Social and Educational Sciences (Rees)

Antalya Province, Turkey

Conference›s motto: Towards a complete vision

26-27-28 October /2018

Topic: Historical Studies and Archeology:

- Eminent personages in history

(الملخص)

- **عنوان البحث**: الدور التاريخي للشريف محمد أبونُمَيّ الثاني حاكم الحجاز وأمير الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي في التصدي للغزو البرتغالي للحجاز.
- **علاقته بمحاور المؤتمر**: ضمن محور: الدراسات التاريخية والآثار: أعلام وشخصيات مؤثرة في التاريخ.
- **أهميته، وأهدافه.**

أ) -**الأهمية**: تتمثل أهمية الدراسة في الجمع بين جانبين مهمين؛ هما: مكانة الحجاز (الديار المقدسة) وقوة شخصية حاكم الحجاز الشريف محمد أبونُمَيّ الثاني في التصدي للغزو البرتغالي مسانداً الجهود العثمانية لحماية الحرمين الشريفين.

ب) -**أهداف البحث**:

١) بيان مكانة الحجاز وأوضاعه السياسية والاجتماعية في القرن العاشر.

٢) التعريف بشخصية الشريف محمد أبونُمَيّ الثاني.

٣) عرض جهود العثمانيين لصد الغزو البرتغالي على الديار المقدسة.

٤) توضيح دور الشريف محمد أبونُمَيّ الثاني في التصدي للغزو البرتغالي.

الكلمات المفتاحية: مكة المكرمة. الشريف أبونُمَيّ الثاني. العثمانيين. الغزو البرتغالي.

Abstract

1. **Title of the research:**

The historical role of Sharif Mohammed Abunmi II Governor of Hijaz and Prince of the two holy mosques in 10th century AH /16th century AD

in confronting the Portuguese invasion of the Hijaz

2. **Its relation with the themes of the conference:**

Within the topic: Historical Studies and Archeology:

Eminent personages in history.

3. **Its importance and objectives:**

A. The Importance of the study represented in the combination of two important aspects: the status of the Hijaz (Holy Land) and the power of the character of the ruler of Hijaz Sharif Muhammad Abunmi II in confronting the Portuguese invasion, supporting the Othoman efforts to protect the two Holy Mosques.

B. Research Objectives:

1. Showing the status of Hijaz and its political and social conditions in the tenth century.
2. Introducing the character of the ruler of Hijaz Sharif Muhammad Abunmi II.

3. Presenting the efforts of the Othomans in confronting Portuguese invasion of the Holy Land.
4. Clarifying the role of Sharif Mohamed Abunmi II in confronting Portuguese invasion.
5. **Keywords:** Makkah. Sharif Abunmi II. The Ottomans. The Portuguese invasion.

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل: الأهمية والمقاربة المنهجية:

أ) -**الأهمية**: تتمثل أهمية الدراسة في الجمع بين جانبين مهمين؛ هما مكانة الحجاز (الديار المقدسة) وقوة شخصية حاكم الحجاز الشريف محمد أبونُمَيّ الثاني في التصدي للغزو البرتغالي مسانداً الجهود العثمانية لحماية الحرمين الشريفين.

ب) **منهج البحث**: من منطلق أن طبيعة الموضوع (في كلياته وجزئياته) هي التي ترسم بالأساس ملامح المقاربة المنهجية التي ينبغي اعتمادها في البحث؛ ونظراً لطبيعة هذه الدراسة التاريخية، فقد فرض موضوع البحث استخدام الباحث المنهج الوصفي التحليلي؛ لبيان وصف وتطور الأحداث المرتبطة بالغزو البرتغالي للديار المقدسة.

المبحث الأول:

مكانة الحجاز، وأوضاعه السياسية والاجتماعية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

أ-مكانة الحجاز وأهمية البحر الأحمر:

ما أن يذكر الحجاز إلا وتتوق النفوس شوقاً إلى تلك الديار المقدسة؛ فهو عند المسلمين في موقع القلب من الجسد؛ وموقع النون من العين، ففيه مكة البلد الأمين سُرّة الحجاز وقاعدته، وبها بيت الله الحرام وكعبته المشرفة، ومشاعر الحج (منى وعرفات ومزدلفة)، وفي الحجاز طيبة الطيبة دار هجرة المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، المدينة النبوية وبها مسجده، ومرقده الشريف.

قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] فالله وحده يختار من الأماكن والبلاد ما يشاء سبحانه، ولا شك أن من الأماكن المختارة والمفضلة أرض الحجاز وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يَأْرِزُ بين المسجدين، كما تأرز الحية في جُحْرِها»[2] أي ينضم ويجتمع بين مسجدي مكة والمدينة.

فمكة هي قلب الحجاز خاصة، والعالم الإسلامي كافة، وقد اختارها الله عز وجل مكاناً لبيته المحرم فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي

---

(١) سورة القصص، آية (٦٨).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم ٢٣٢ (١٤٦) كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بشرح الإمام النووي، دار ابن حزم-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ج٢، ص١٥٤.

بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[(١)] أما مدينة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم طيبة الطيبة فقد ورد في فضائلها الكثير من الأحاديث منها على سبيل المثال، عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «المدينةُ حرم، من كذا إلى كذا، لا يقطع شجرها، ولا يحدث فيها حدثٌ، من أحدث فيها حدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن «النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»[(٣)].

والحجاز يطل من جهة الغرب على ساحل البحر الأحمر الذي يقع تقريبًا في منتصف الكرة الأرضية سواء من الشمال والجنوب أو من الشرق أو الغرب، يمر مدار السرطان ينصفه، وفي شماله البحر المتوسط وفي جنوبه بحر العرب والمحيط الهندي. وهو في منتصف المسافة بين القارات الثلاث (آسيا وأفريقيا وأوروبا). كما يمتاز باستطالته، واتصاله بعدد من بحار العالم وله خليجان مستطيلان في شماله هما خليج العقبة وخليج السويس»[(٤)].

---

(١) سورة آل عمران، آية ٩٦، ٩٧.

(٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة، حديث رقم١٨٦٧، ابن حجر: فتح الباري، ج٤، ص١٢٤.

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب ١٢، حديث رقم١٨٨٨، ابن حجر: فتح الباري، ج٤، ص١٥١.

(٤) برج، محمد عبد الرحمن: البحر الأحمر عبر التاريخ، بحث في كتاب ندوة البحر الأحمر التي عقدت في معهد الدراسات الدبلوماسية بالرياض ـ وزارة الخارجية، ١٤٠٥هـ، طبع ١٤٠٦هـ، ص٢١؛ جرادات، الرائد وليد محمد، الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، دار الثقافة، الدوحة، ص٢٤؛ العرفج، ناصر عبد العزيز: أهمية الممرات المائية في البحر الأحمر (بحث ضمن كتاب ندوة البحر الأحمر) ص ٣٦ ـ ٤٨؛السلطان: عبدالله عبدالمحسن: البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي التنافس بين استراتيجيتين، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، ص٢٤-٢٦؛ الحارثي: الموانئ البحرية الحجازية، كرسي الملك سلمان لدراسات تاريخ مكة المكرمة، ص٣٣، ص٦١.

ب-الأوضاع السياسية والاجتماعية في الحجاز (القرن ١٠هـ/ ١٦م):

١ . نشأة حكومة الأشراف في مكة:

كان قيام حكومة الأشراف في الحجاز «مكة» بعد موت كافور الإخشيدي الذي حكم مصر باسم العباسيين من ٣٥٥-٣٥٧هـ، فقد قام جعفر بن محمد بن الحسن بإمارة مكة؛ واختلف المؤرخون في التاريخ الدقيق لقيام جعفر بن محمد بتأسيس إمارته في مكة ما بين ٣٥٧-٣٥٨هـ/ (٩٦٨-٩٦٩م)، ولكنهم مجمعون على أن قيام أول حكومة للأشراف في الحجاز بعد موت كافور الإخشيدي، وقد تزامن قيام حكومة الأشراف مع سقوط مصر في يد العبيديين، وهذه الأسرة تمثل الطبقة الأولى من أربع طبقات من الأشراف حكموا مكة وأجزاء كبيرة من الحجاز في فترات متعددة منذ قيام إمارتهم حتى القرن الرابع عشر الهجري، وتسمى الطبقة الأولى «الموسويون» نسبة إلى جدهم (موسى الجون)، والطبقة الثانية تسمى «السليمانيون» نسبة إلى جدهم (سليمان بن عبد الله الرضا) والطبقة الثالثة تسمى (الهواشم) نسبة إلى جدهم (أبي هاشم محمد الأمير بن الحسين الأمير) والطبقة الرابعة تسمى (القَتَادات) نسبة إلى جدهم الشريف قَتَادَة بن إدريس؛ الذي حكم مكة من العام ٥٩٧-٦١٧هـ/ ١٢٠١-١٢٢٠م، فبالتالي ينتمي الأشراف أمراء مكة إلى الطبقة الرابعة من الأشراف الحسنيين الذين حكموا مكة.[(١)]

---

(١) عن طبقات الأشراف حكام مكة ونسب مؤسسيها، انظر: الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٢٧٩؛ ابن فهد: عزالدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي القرشي: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم محمد شلتوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦-١٩٨٦م. دار التراث بجُدة، من إصدارات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ج١، ص٤٨٠؛ الحارثي: الشريف محمد بن حسين: الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارثي الأشراف، دراسة تاريخية وثائقية، الطبعة الثانية، ص١٠٤.

٢. علاقة العثمانيين بالحجاز:

يقول المؤرخ والأكاديمي التركي: إسماعيل حقي جارشلي: إن العثمانيين الذين أسسوا دولة إسلامية كبيرة قد أظهروا في كل مناسبة علاقتهم الصميمة مع أمراء مكة الذين ينحدرون من نسل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد استمروا على علاقتهم مع الأمراء والأشراف في الحجاز مهد الإسلام، فبعد فتح إسطنبول من قبل السلطان محمد الثاني الفاتح (١٤٥١-١٤٨١م) أرسل السلطان رسولاً هو العالم محمد الزيتوني ليحمل هذه البشرى العظيمة مع رسالة وهدية إلى أمير مكة.(١) وقد أعلم السلطان (أمير مكة)، بعد عرف ووصف فتح إسطنبول، بتحويل كنائسها إلى جوامع. كما طلب من أمير مكة أن يدعو له بالتوفيق.(٢)

وحرص العثمانيون على مخاطبة أمراء مكة بالألقاب اللائقة بهم وإظهار مظاهر الاحترام والتقدير لهم بوصفهم فلذة أكباد الرسول، زبدة أحفاد البتول، أمير المسلمين ولي المؤمنين، خلاصة أولاد شفيع المذنبين.(٣)

فعندما استولى السلطان العثماني سليم الأول على سوريا وفلسطين بعد معركة مرج دابق في ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م وعلى مصر بعد معركة الريدانية في عام

---

(١) أمير مكة آنذاك: الشريف بركات بن حسن بن عجلان، في العام ١٤٥٣م، الموافق لعام ٨٥٧هـ. ويرد في الحاشية: إن أمير مكة اغتبط ببُشرى فتح إسطنبول فقرأ رسالة الفاتح على الناس أمام الكعبة كما وزع الأموال المرسلة عليهم وأرسل إلى السلطان هدية مع نجم الدين السيوطي عبارة عن تسع قطع من قماش الهند، وعشرون قطعة من الشاش، وماء زمزم وحمام من الحرم الشريف. ص٢٧.

(٢) أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني، الدار العربية للموسوعات - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ، ص٢٧.

(٣) فريدون بك: أحمد، منشآت السلاطين، المطبعة العامرة، إستانبول، ١٢٦٤هـ، ص٢٣٢، انظر: مخلوف: ماجدة، الخدمات والمرافق العامة في مكة في العهد العثماني، بحث مقدم إلى ندوة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية، ١٤٢٦هـ، ص١٥٧.

٩٢٣هـ/ ١٥١٧م. وبقضائه على دولة المماليك اعترفت الحجاز التي كانت تحت نفوذ المماليك بالحكم العثماني، وقد أرسل أمير مكة آنئذٍ الشريف بركات بن محمد الحسني ابنه الشريف أبونُمَيّ، البالغ لتوه الثانية عشرة من عمره إلى مصر مظهراً التبجيل للسلطان العثماني ومقدماً له مفاتيح مكة.[١]

وعندما علم السلطان سليم بقدوم محمد أبونُمَيّ إلى القاهرة في يوم الجمعة ١٣ جمادى الثانية (٣يوليو)، أمر بإرسال الأغوات لاستقباله. وفي يوم الإثنين ١٦ جمادى الثانية (٦ يوليو) استقبل السلطان ابن شريف مكة استقبالاً حافلاً. وبعد ستة أيام قدم محمد أبونُميّ الطاعة والولاء وبعض الهدايا للسلطان سليم، ثم سلَّمه مفاتيح الأماكن المقدسة والآثار النبوية الشريفة الموجودة في مكة والمدينة؛ بحسب المصادر التركية.[٢] إلا أن المصادر والمراجع التاريخية المكية لا تشر من قريب أو بعيد لدعوى تسليم مفاتيح الأماكن المقدسة والآثار النبوية.[٣]

وبقي الشريف بركات يستعين بابنه أبي نُمَيّ الثاني في إدارة الأمور بمكة حتى وافته منيته في سنة ٩٣٢هـ عن عمر يزيد عن سبعين عامًا، وكانت مدة ولايته استقلالاً

---

(١) حقي: إسماعيل حقي جارشلي: أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني،ص٤٥، ص١٣٢.

(٢) باشا: أيوب صبري: مرآة جزيرة العرب، ص١٦؛ متولي: أحمد فؤاد، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، الزهراء للإعلام العربي – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٥م، ص٢٢٩.

(٣) العصامي: سمط النجو العوالي، ج٤، ص٣٠٦؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٢٣١؛ الطبري المكي: إتحاف فضلاء الزمن، ج٢، ص٣٤٧؛ دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ص٥٠؛ الغازي: إفادة الأنام، ج٣، ص٣٥٧؛ السباعي: تاريخ مكة، ص٣٤٤. وكذلك لم يشر المؤرخ المصري ابن إياس إلى تلك الآثار، في حوادث عام٩٢٣هـ، من جمادى الآخرة، وقال: (وأحضر صحبته تقادم فاخرة إليه) أي هدايا. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص١٩٠. ومن ذلك يشكك في صحة تلك الآثار صاحب كتاب (الآثار النبوية) المحقق أحمد تيمور باشا بعد أن سرد الآثار المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم (بإسطنبول): (لا يخفى أن بعض هذه الآثار محتمل الصحة، غير أنا لم نر أحداً من الثقات ذكرها بإثبات أو نفي، فالله سبحانه أعلم بها، وبعضها لا يسعنا أن نكتم ما يخامر النفس فيها من الريب ويتنازعها من الشكوك) باشا: أحمد تيمور، الآثار النبوية، القاهرة، مطبعة دار الكتاب العربي، ١٩٥١م-١٣٧٠هـ، ص٧٣-٨٠.

ومشاركةً لابنه وإخوته نحو (٥٣) سنة، وبوفاة الشريف بركات انتقل الأمر إلى أكبر أبنائه وشريكه بالأمس محمد أبي نمى الثاني وعمره إذ ذاك نحو عشرين سنة.[١]

فحافَظ العثمانيون على الأوضاع السائدة في الحرمين الشريفين؛ ولا سيَّما الوضع الثقافي والاجتماعي والإداري، وكان التقسيم الإداري في أوائل الحكم العثماني للحجاز يختلف عن آخره؛ فمع تسمية الوالي - الذي يتمُّ تعيينه من إستانبول - في البداية بأمير الأمراء، وتسمية أمير المدينة المنوَّرة - الذي يُعيَّن من إستانبول - بشيخ الحرم، وتسمية أمير مكة المكرمة - الذي يُختَار من الأشراف - إلا أنه تغيَّر اسم بعض تلك الوظائف في العهد الأخير، حيث أصبح يُطلَق على الأول والي الحجاز، وعلى الثاني محافظ المدينة المنوَّرة.[٢]

أما بقية مدن الحجاز الأخرى فهي تتبع لشريف مكة، وقد تخرج عنه، وقد يكون في بعضها حاكم محلي، وكانت سلطة الشريف المكي تمتد وتقصر حسب قوته، فتارة يحكم مكة وما حولها،[٣] وتارة تتعدى سلطنة الحجاز إلى نجد[٤] أو شرق الجزيرة العربية.[٥]

---

(١) العصامي: سمط النجوم العوالي: ج٤، ص٣٠٥، ص٣٣٦؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٢٤٣-٢٤٧؛ الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٤٠٥؛ دحلان: أحمد زيني: مخطوطة (تاريخ الدولة الإسلامية بالجداول المرضية) ، مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة، ص١٥٠؛ وخلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام: ص٤٦؛ الصباغ: محمد بن أحمد المالكي المكي: تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام..، تحقيق عبدالملك بن دهيش، الطبعة الأولى،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ج٢، ٧٦٩؛ الغازي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، ج٣، ص٣٥٨؛ السباعي: تاريخ مكة، ص٣٤٥.

(٢) صابان: سهيل، جوانب من الحياة العلمية في الحجاز من خلال بعض الوثائق العثمانية، مجلة الدرعية: العدد الأول: محرم ١٤١٩هـ/ مايو ١٩٩٨م، ص ١٧١.

(٣) عبدالكريم كريم: بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية المدونة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة، مجلة التاريخ العربي، العدد الخامس، شتاء ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، تصدر عن جمعية المؤرخين المغاربة، ص١٢٢.

(٤) السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٥٤٠-٥٦٠؛ الغازي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، ج٣، ص٣٧٥-٣٨٦.

(٥) الشلي: عقد الجواهر والدرر: حوادث سنة ١٠٣٢؛ الغازي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، ج٣، ص٣٧٥-٣٨٦.

أما الأوضاع الاجتماعية في الحجاز، فالمجتمع الحجازي بطبيعة الحال مجتمعاً عربياً تقليدياً، يغلب عليه الولاء للقبيلة أو الأسرة ويتكون من الفئات التالية:

١. **الأشراف**: وهم من ينتسبون إلى البيوت الهاشمية العلوية وفيهم الإمارة. ومن يحكم الحجاز في تلك الفترة هم بنو الشريف قَتَادة الحسنيون وتوارثوا الإمارة، وصارت لهم عصبية تحميهم. ولقد كان لأمراء مكة الأشراف في مجالسهم قواعد وآداب سامية.[١]

٢. **الأعيان وشيوخ القبائل**: وكان فريق كبير من سكان الحجاز ينتمون إلى عدد من القبائل العربية الكبيرة مثل قُريش وهُذيل وعُتيبة وجُهينة وسُليم وثَقيف وغامد وزهران وبني مالك وبِلي وحرّب وغيرهم[٢]. وقد جرت العادة أن ترسل الدولة العثمانية مع أمراء الحج مبلغاً من المال لكل قبيلة يمر الركب في أراضيها حتى تسمح بمرور الحجاج بسلام وإلا لابد من القتال.[٣] ومن جهة أخرى كانت هذه القبائل تشكل قوة لا يستهان بها، ترفد عسكر شريف مكة عند الطلب وإعلان النفير العام.[٤]

---

(١) الطبري: الأرج المسكي، ص١٩٣؛ انظر: الردادي: عائض، الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري، القسم الأول، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص٨٦.

(٢) العياشي: الرحلة العياشية، ج١ ص ٣١٢.

(٣) العياشي: الرحلة العياشية، ج١ ص٢٤٦.

(٤) العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٤٣٧؛ دحلان، خلاصة الكلام، ص٥٣.

٣. **المجاورون**: وهم المسلمون الذين قدموا من مختلف الأقطار الإسلامية، إلى مكة المكرمة على مر السنين، احتماءً بحرم الله، وقصد التجارة للدنيا والآخرة، وما لبثوا أن استقروا فيها واندمجوا في مجتمعها وصاروا يشكلون جزءاً من هيكلها الاجتماعي، وجل علماء الحرمين منهم، وينتمي هؤلاء إلى جنسيات مختلفة، ولقد كان للمجاورين أثر كبير في الحركة العلمية.(١)

(١) البتنوني: محمد لبيب، الرحلة الحجازية، مكتبة المعارف-الطائف، الطبعة الثالثة، ص٥٣؛ رفعت: إبراهيم، مرآة الحرمين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. ج١، ص٢٠١؛ السباعي، تاريخ مكة، ج٢، ص ١٠٦-١٠٩.

المبحث الثاني:

جوانب من شخصية الشريف محمد أبونُمَيّ الثاني.

هو الشريف محمد أبو نمي الثاني بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان بن رميثة بن محمد أبي نمي الأول بن أبي سعد الحسن بن علي الأكبر بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبدالله الأكبر بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبدالله الرضى بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.(١)

ولد ليلة التاسع من ذي الحجة من عام ٩١١هـ، وكان يُلقب نجم الدين، «صاحب القانون»، شارك أباه بركات في ولاية مكة، وعمره ثمان سنوات، حيث صدرت له هذه الولاية من السلطان المملوكي الغوري عام ٩١٨هـ، وامتاز أبونُمي بحزمه في إدارة الأمور وصرامته في الحكم وبذلك هابته الأعراب والأهالي واحترمه الحجاج والمجاورون.(٢)

وبعد سقوط الحكم المملوكي على يد العثمانيين أبقاه السلطان العثماني مشاركًا لوالده في إمارة مكة، ثم منفرداً بالإمارة بعد وفاة والده. وعدَّه المؤرخون زعيمًا قل من يضاهيه شهرة من طبقات الأشراف الأخرى. وكان

---

(١) العصامي: سمط النجوم العوالي: ج٤، ص٣٠٢-٣٢٠؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٧٥،ص٢٢٥،ص٢٤٦؛ الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣٣١،ص٤٠٧، ص٥٥٩.

(٢) العصامي: سمط النجوم العوالي: ج٤، ص٣٠٢-٣٢٠؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٧٥،ص٢٢٥،ص٢٤٦؛ الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣٣١،ص٤٠٧، ص٥٥٩.

الشريف أبو نمي جم الفضائل، حسن الشمائل، محمود السيرة، له النثر الرفيع الفائق، والنظم البديع الرائق. واستمرت مكة محكومة بأمره سنين في استقرار لا تعبث بها القلاقل والفوضى. فولي مكة بعد وفاة أبيه الشريف بركات ووصل إليه التأييد بعد وفاة أبيه من السلطان سليمان خان وكان عمره إذ ذاك نحو العشرين سنة. وتوفي الشريف أبو نمي بن بركات ليلة تاسوعا افتتاح سنة ٩٩٢هـ بوادي الأبيار من جهة اليمن وحُمِل إلى مكة وصلى عليه تجاه الكعبة ميرزا مخدوم ودُفِن بالمعلاة. وقيل إنه عاش ثمانين سنة، وشهراً، ويوماً، ومدة ولايته منفرداً، ومشاركاً لولديه [أي أحمد والحسن] ثلاثة وسبعون سنة.(١)

ويذكر أيوب صبري باشا:(٢) «ارتفع قدر الشريف أبي نُمَيّ وعلا شأنه بين الأهالي، لأنه كان عاقلاً ومدبراً وقديراً في الحرب، لم يتضرر أحد من الناس في زمنه سواء من بين الأهالي أو الحجاج أو التجار»

ويقول غوري:(٣) «وبسبب الثروة الكبيرة ونجاح الحروب العثمانية، زُيِّنت مكة بشكل ملحوظ وازدهرت من نواحٍ أخرى تحت حكم أبي نمي الثاني، الذي عزَّز انصرافه لمصالح مكة وديانته، وسمعة أشرافها».

---

(١) العصامي: سمط النجوم العوالي: ج٤، ص٣٠٢-٣٢٠؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٧٥،ص٢٢٥،ص٢٤٦؛ الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣٣١،ص٤٠٧، ص٥٥٩؛ دحلان: أحمد زيني: مخطوطة (تاريخ الدولة الإسلامية بالجداول المرضية)، ص١٥٠؛ خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام: ص٤٦؛ الغازي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، ج٣، ص٣٥٩؛ السباعي: تاريخ مكة، ص٣٤٦؛ انظر: الحارثي: الشريف محمد بن حسين: الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف، دراسة تاريخية وثائقية، مؤسسة الريان - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص١٣٨-١٥٠.

(٢) مرآة جزيرة العرب، ص٨٦.

(٣) غوري: جيرالد: حكام مكة، ترجمة: رزق الله بطرس، الوراق للنشر - بيروت وبغداد، ٢٠١٢م، ص١٦١.

المبحث الثالث:

جهود العثمانيين لصد خطر الغزو البرتغالي على الديار المقدسة (الحرمين الشريفين).

أ-دوافع الغزو البرتغالي ومراحله الأولى:

من الجدير بالذكر أن نشير إلى مقدمات الغزو البرتغالي لبلاد المسلمين الذين خرجوا من ديارهم بروح صليبية حاقدة مغلفة بدوافع اقتصادية للتعدي على بلاد المسلمين ومصادرة أراضيهم وممتلكاتهم والتحكم في حركة التجارة الدولية فالتفوا حول إفريقية مروراً برأس الرجاء الصالح ما بين عامي (٩٠٣-٩٠٤هـ) حتى وصلوا إلى الهند.[(١)]

وقد باركت البابوية الحملات البرتغالية واصفة الإسلام بالطاعون وتواصلت حملاتهم في منطقة المحيط الهندي قتلاً ونهبًا، حتى تطلعوا للزحف على الجزيرة العربية من مداخلها البحرية الجنوبية بدءاً من عام ٩١١هـ، فأخذوا يهددون سواحل جُدة رغبة في دخولها ثم الدخول إلى الأراضي المقدسة وضرب مقدسات المسلمين.[(٢)]

---

(١) الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج٢، ص٦٩٩؛ السلمان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، ص٢٦٩-٢٧٠؛ فائق بكر الصواف، ومصطفى محمد رمضان: أهمية ثغر جُدة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري، بحث مجلة الدارة، العدد الثاني للسنة السادسة، ربيع أول، ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م، الرياض، ص٢٠٠.

(٢) السلمان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، ص٢٦٩-٢٧٠؛ الصواف: أهمية ثغر جدة ص٢٠١.

وكان عند البرتغاليين مشروعات عدوانية منها تحويل مياه النيل إلى البحر الأحمر لحرمان مصر منه ثم هدم المدينة المنورة ونبش قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسرقة جُثمانه.[١]

فكان مخططاً صليبياً خطيراً للغاية تمثل في دخولهم البحر الأحمر واستيلائهم على جُدة ثم الزحف منها على مكة المكرمة لهدم الكعبة الشريفة ثم مواصلة الزحف منها على المدينة المنورة، ينفذها القائد البرتغالي تنفيذاً لوصية ملكه أمانويل؛ بالعمل على تجهيز أربع مئة من الفرسان ينزلون بميناءِ يَنْبُع ومنه للمدينة المنورة لنبش قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومواصلة الزحف بعد ذلك إلى تبوك وصولاً إلى بيت المقدس حيث المسجد الأقصى وقبة الصخرة.[٢]

فكان عزم السلطان المملوكي على بناء سور حول جُدة لحمايتها من الخطر البرتغالي ويرى بعض المؤرخين إضافة إلى ذلك للتصدي لهجمات الأعراب.[٣]

---

(١) حسون: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، ص٥٧-٥٨؛ السلمان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، ص٢٦٩-٢٧٠؛ Afonso de Albuquerque, governor of India: His life, conquests and administration by Edgar Prestage.
جثمان وليس رفات؛ فمن الثابت شرعاً كما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «... إن الله قد حرَّم على الأرض أن تأكلَ أجساد الأنبياء عليهم السلام» أخرجه النسائي في كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، برقم ١٣٧٤، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب فضل الجمعة وليلة الجمعة، برقم ١٠٤٧، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب فضل الجمعة، برقم ١٠٨٥. الكتب الستة، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية، ١٤٣٣-٢٠١٢م.

(٢) الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج٢، ص٦٩٩؛ السلمان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، ص٢٦٩-٢٧٠؛ ؛ العسكر: عبدالله بن إبراهيم: مسيحيون في مكة المكرمة، جريدة الرياض، الأربعاء ١٠ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ - ١٨ مايو ٢٠٠٥م - العدد ١٣٤٧٧؛ Andrew James McGregor, «A military history of modern Egypt: from the Ottoman Conquest to the Ramadan War», p.20, Greenwood Publishing Group.

(٣) ابن فرج: السلاح والعدة، ص٨٧-٨٨؛ الحضراوي: أحمد بن محمد، الجواهر المعدة في فضائل جدة، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص٣٤-٣٦.

ويشير النهروالي إلى الأمرين دفع خطر البرتغاليين، وخطر الأعراب عن جُدة إلا إنه يختلف مع ابن فرج في أنه بُدئ في بناء السور في عام ٩١٧هـ، أما ابن فرج فيرى أنه بُدئَ في عام ٩١١هـ أو ٩١٢هـ وانتهى في تسعة أشهر، إلا أن أغلب المصادر والمراجع التي أطلع عليها الباحث ترجح أنه تم بناؤه في عام ٩١٧هـ.(١)

وتواصل الخطر البرتغالي، وحاول المماليك التصدي له، فكانت الهزيمة التي تعرض لها الجيش المملوكي في معركة (ديو البحرية) ٩١٥هـ في المحيط الهندي، فتزايد الزحف البرتغالي، وأخذوا يهاجمون السواحل العربية في جنوب الجزيرة العربية، فخربوا ميناء عدن في بداية عام ٩١٩هـ، فعادت الحملة البرتغالية إلى هرمز وسيطرت على الأوضاع، وعاجلت الوفاة قائد الجيش البرتغالي في الهند، وحفظ الله الأماكن المقدسة.(٢)

وآذنت دولة المماليك بالزوال، وزحف العثمانيون باتجاه بلاد الشام؛ وقُتِلَ السلطان الغوري علي يد العثمانيين في معركة مرج دابق، وفي شهر ذو الحجة من عام ٩٢٢هـ سقطت دولة المماليك نهائياً في موقعة الريدانية بمصر، ودخل العثمانيون القاهرة بقيادة السلطان سليم الأول مع مستهل عام ٩٢٣هـ.(٣)

---

(١) النهروالي: محمد بن أحمد، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق هشام عبد العزيز عطا، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص٢٦٠-٢٦٢؛ ابن فرج: السلاح والعدة، ص٨٧-٨٨؛ الحضراوي: الجواهر المعدة في فضائل جدة، ص٣٥؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٧٢؛ سنوك: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ص٢٠٥؛ السباعي: تاريخ مكة، ص٣١٦؛ الصواف: أهمية ثغر جُدة، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٣٠٧-٣٠٨؛ النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص٢٦٠؛ الصواف: أهمية ثغر جُدة، ص٢٠٤-٢٠٥؛ السلمان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، ص٢٦٨.

(٣) ابن زنبل: الشيخ أحمد الرمال، آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق: عبدالمنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، ص٩٧-٢٥٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص١٤٥-١٤٦-١٤٨.

ب-جهود السلطنة العثمانية في التصدي للغزو البرتغالي وإغلاق البحر الأحمر:

وكان الشريف بركات أمير مكة المكرمة قد ارتاب في ثلاثة أشخاص تسللوا إلى مكة المكرمة، وكانوا يحومون حول المسجد الحرام متظاهرين بأنهم مسلمون، ويرتدون زي العثمانيين، ويتكلمون العربية والتركية، فأمر بالقبض عليهم، وبالكشف على أجسامهم اتضح أنهم مسيحيون لأنهم كانوا بغير ختان، وباستجوابهم اتضح أنهم جواسيس برتغاليون بعثت بهم سلطات لشبونة ليعملوا أدلاء للجيش البرتغالي الصليبي عند دخوله مكة [(١)]، وقد وقع هذا الحادث في عام ١٥١٠م، أي قبل امتداد النفوذ العثماني إلى البحر الأحمر بحوالي سبعة أعوام.

حيث يقول ابن إياس في جمادى الأولى من عام ٩١٦هـ: «وفيه جاءت الأخبار من مكة بأن الشريف بركات أمير مكة قبض على ثلاثة أنفار[نفر] من الفرنج دخلوا مكة وهم في زي الأروام، فلما قبض عليهم وجدهم بدون ختان فتحقق أنهم فرنج وأنهم دواسيس عند بعض ملوك الفرنج، فقبض عليهم ووضعهم في الحديد وبعث بهم إلى السلطان» [(٢)].

ومثلت رحلة فارتيما، أو الحاج يونس كما سمَّى نفسه (١٥٠٣-١٥٠٩م) حول العالم، الجناح البري لجهود البرتغاليين في اكتشاف الطرق المؤدية إلى ثروات الشرق عامة، وتطويق العالم الإسلامي، استمراراً لما كانوا يسمونه حرب الاسترداد، فكانت مهمته التجسس على الشعوب التي مر بها ومما علم عنه أنه رحالة إيطالي، قام برحلة من أوروبا إلى الشرق في القرن السادس

---

(١) الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج٢، ص٦٩٨.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص١٩١. المقصود « السلطان المملوكي الغوري».

عشر؛ وخرج فارتيما في رحلته بتمويل من ملك البرتغال فكان يعمل لحسابه، والذي قدّم له نائبه في الهند براءة الامتياز والفروسية، وضمّه لجيوشه المحاربة أحياناً، لذلك فإن بعض المصادر تشير إليه على أنه رحالة برتغالي. تناقش مع أهل مكة عن أسباب اختفاء التوابل القادمة من الهند بسبب سيطرة البرتغاليين عليها بدلاً من المسلمين، وأخفى فارتيما سعادته بسيطرة البرتغاليين حتى لا يفتضح أمره وانهال بالسب والشتائم على البرتغاليين في تقية منه.(١)

وعُقِدَ تحالف عسكري بين الصفويين في إيران والبرتغاليين الغزاة؛ لمواجهة العثمانيين باعتبارهم عدواً مشتركاً للطرفين،(٢) ومن ذلك ما ترجمه عبدالرحمن الشيخ(٣) ضمن دراسة تحليلية لثلاث وثائق برتغالية؛ تعود لمطلع القرن السادس عشر، وبالتحديد سنة ١٥١٠ م، وأفكار هذه الوثائق ظلت فاعلةً مؤثرةً حتى سنة ١٥١٦ م على الأقل، وتشيرُ هذه الوثائق في مجملها إلى خطةٍ - لم يكتب لها النجاحُ الكاملُ - حاك خيوطها الاستعماري العريق أفونسو دلبوكيرك (ت ١٦ ديسمبر ١٥١٥ م) وهو ثاني نائب للملك البرتغالي في الهند، والشاه إسماعيل الصفوي، ومؤدى هذه الخطة هي أن يعمل الشاهُ على شغلِ السلطانِ

(١) الشيخ: عبدالرحمن عبدالله، «ترجمة وتعليق» رحلات فارتيما (الحاج يونس المصري)، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ص٩-١١، ص٥٥-٦٥.

(٢) الجمل: شوقي: دور البرتغال الاستعماري في إقليم الخليج، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، بعنوان «إقليم الخليج على مر عصور التاريخ»، حصاد ندوة (٤)، ص٤٦١؛ العسكر: عبدالله بن إبراهيم: مسيحيون في مكة المكرمة، جريدة الرياض، الأربعاء ١٠ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ - ١٨ مايو ٢٠٠٥م - العدد ١٣٤٧٧؛ Andrew James McGregor, «A military history of modern Egypt: from the Ottoman Conquest to the Ramadan War», p. 20, Greenwood Publishing Group.

(٣) الشيخ: عبد الرحمن عبد الله، ترجمة وتعليق: ثلاث وثائق برتغالية عن خطة للاستيلاء على العالم العربي في مطلع القرن السادس عشر، مجلة عالم المخطوطات والنوادر، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، المجلد الخامس، العدد الأول، المحرم - جمادى الآخرة، ١٤٢١هـ/ مايو-أكتوبر ٢٠٠٠م، ص٢٥٨-٢٧٤.

المملوكي في مصر حتى يتمكن أفونسو دلبوكيرك من التوغلِ في البحر الأحمر والاستيلاء على جُدة ، والوصول للسويس. وبالفعل فقد هدد الشاه إسماعيل باجتياحِ حلب والشام بينما أفونسو دلبوكيرك موجود بأسطوله في البحر الأحمر سنة ١٥١٣ م مما أدى لارتباك السلطان المملوكي في مصر.

ومما ورد في الوثيقة الثانية: (... التعليمات التي حملها روي جوميز Ruy Gamez من ألفونسو دلبوكيرك.. فيما يتعلق بما يجب أن يقوله للشاه إسماعيل: وستقول له إنه عندما يهب ويهاجم الكعبة ليتملكها The hous of Meca فسوف أدخل البحر الأحمر وأتجه بأسطولي إلى ميناء جدة وسأفعل الشيء نفسه إذا رغب في اجتياح شبه الجزيرة العربية...).[(١)]

وكان البرتغاليون بعد وصولهم إلى الهند قد نقلوا جزءاً من نشاطاهم الحربي إلى منطقة الخليج العربي وبحر العرب واستولوا على مسقط وهرمز والبحرين وقلهات على ساحل عُمان، وقربات، وصحار، وحور، وغيرها، وجزيرة سُقطرى وضربوا ساحل عُمان، وعلى الرغم من فشلهم في احتلال عدن، نجحوا في دخول البحر الأحمر، وبعد أن ضربوا بعض الجزر القريبة من مدخله الجنوبي وبعض ثغوره اتجهوا عام ١٥١٧م لاحتلال جُدة. وكانت دولة المماليك الشراكسة قد لفظت أنفاسها الأخيرة، وباءت بالفشل محاولة البرتغاليين.[(٢)]

---

(١) الشيخ: ثلاث وثائق برتغالية، ص٢٦٣.
(٢) الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج٢، ص٦٩٩.

وجعل العثمانيون إمارة جُدة تابعة لهم مباشرة يعينون لها نائباً من طرفهم بعيداً عن نفوذ شريف مكة، وذلك بسبب وضعها الحربي وأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية.[(١)]

وقد أثبتت حوادث الاعتداءات البرتغالية على موانئ البحر الأحمر بسرعتها وتلاحقها صدق ذلك، فقبل أن يصل نائب جدة الجديد « قاسم الشرواني» لمباشرة مهام منصبه كان البرتغاليون قد أعدوا هجوماً على جُدة في عام ١٥١٧م، فقد أرسلوا حملة بقيادة نائب الملك في الهند « لوبو سوريز» الذي تولى بعد البوكيرك وكانت هذه الحملة تتكون من أربعين سفينة ومن ألفين من الجنود المسلحين، وهدف هذه الحملة هو الهجوم على جُدة وتدميرها والقضاء على الأسطول المملوكي في البحر الأحمر، وإقامة اتصال مباشر مع الحبشة. ففوجئوا بتغير السلطة فواجهوا العثمانيين لأول مرة فكان عليهم أن يعودوا أدراجهم كي يعيدوا حساباتهم قبل مجابهة العثمانيين، وكان الريس سلمان العثماني بعد مقتل والي جدة حسين الكردي قد سيطر على الأمور في الثغر ريثما تصله الأوامر العثمانية ووقف أمام الهجوم البرتغالي على جدة، وعندما انسحب البرتغاليون واصل مطاردة السفن المرتدة عن جُدة إلى جزيرة كمران، وتمكنت سفنه من الاستيلاء على سفينة برتغالية وأسر بحّارتها وأرسلهم إلى استانبول. ووصلت القوات البرتغالية المرتدة إلى عدن حيث حصلت على الإمدادات اللازمة من

(١) الصواف: أهمية ثغر جدة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري (١٦م) (مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة السادسة، ربيع الأول ١٤٠١هـ، يناير ١٩٨١م)، ص٢١٠.

أميرها مرجان، وعادوا قافلين إلى مركزهم في هرمز.(١)

وكانت هذه الحملة التي هددت الحرمين الشريفين كفيلة بجعل العثمانيين يفكرون بطريقة جدية في حماية البحر الأحمر والأراضي المقدسة الإسلامية من هجمات البرتغاليين المتكررة والتي أخذت تتركز بصورة ملحة على ميناء جُدة الإسلامي، ولكنهم بعد قليل من وصول نائب جُدة الجديد قاموا بسحب الريس سلمان العثماني فعاد إلى القاهرة في شعبان سنة ٩٢٣هـ، ومعه بعض الأسرى من البرتغاليين.(٢)

وعلى الرغم من أن سياسة الحكومة المركزية في استنبول كانت تعني الاسترخاء العسكري في جبهة البحر الأحمر إلا أن والي مصر خاير بك تولى إرسال المعدات العسكرية والقوات اللازمة لتعزيز حامية جُدة، وذلك عندما كانت تصل إلى مصر بتحركات عسكرية للسفن البرتغالية في البحر الأحمر قريباً من ميناء جدة. ففي شهر جمادى الآخرة عام ٩٢٤هـ أخذ خاير بك في تجهيز قوة على وجه السرعة إلى جُدة، وذلك عندما وصلته الأخبار من الحجاز على يد رسول شريف مكة بأن سفن البرتغاليين تعبث بالبحر الأحمر قريباً من ميناء جُدة وتقوم بقطع الطريق على المسافرين؛ قام باستعراض بعض القوات العسكرية ثم عين منها فرقة للسفر على وجه السرعة لنجدة

(١) سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ص١٠٣؛ الصواف: أهمية ثغر جدة، ص٢١١؛ جاغلار: يوسف، وصالح كولن: المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين، ترجمة د. حازم سعيد منتصر، أحمد كمال، دار النيل - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص١٤.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص٢٠٣؛ الصواف: أهمية ثغر جدة، ص٢١٢.

جُدة، وكانت الفرقة تتكون من نحو ٢٥٠ جندياً وكان من بينهم مجموعة من البحارة المغاربة.[(١)]

وفي العام التالي (٩٢٥هـ) وصلت الأخبار إلى القاهرة بأن البحرية البرتغالية قامت بتحركات حول جُدة، فأمر خاير بك بإرسال قوة عسكرية أخرى إلى جُدة مكونة من ٣٠٠ جندي من المماليك والأتراك، وعين نائباً جديداً لجدة هو حسين الكيخا أو حسين الرومي، وقد أمره خاير بك بأن يتوجه على رأس القوة العسكرية الجديدة صحبة قافلة الحج المصرية، وضم له ولاية السواحل اليمنية إلى جانب ولاية جُدة.[(٢)]

وفي تلك الفترة أصبحت جُدة المركز الرئيس لمحاولات العثمانيين فرض نفوذهم الفعلي في اليمن لتأمين مدخل البحر الأحمر. وفي سنة ٩٣١هـ(١٥٢٥م) عين العثمانيون سليمان باشا الخادم والياً على مصر.[(٣)]

بيد أن سليمان الخادم فشل في حملته على الهند ولم يستطع أن يجابه القوات البرتغالية هناك، وبعد فشل حملة سليمان باشا الخادم على الهند لم يفكر العثمانيون في سياسة هجومية ضد البرتغاليين وظلوا ينهجون سياسة دفاعية قوامها السيطرة على البحر الأحمر وإغلاقه، كما ترتب على هذه الهزيمة أيضاً أن قام البرتغاليون بشن هجوم كبير في سنة ٩٤٨هـ على البحر الأحمر هدفه تحطيم الأسطول العثماني في ميناء السويس.[(٤)]

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص٢٦٢؛ الصواف: أهمية ثغر جدة، ص٢١٢.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص٣١٢-٣١٦؛ الصواف: أهمية ثغر جدة، ص٢١٣.
(٣) النهروالي: البرق اليماني، ص٣٤.
(٤) سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ص٣٩٨؛ الصواف: أهمية ثغر جدة، ص٢١٥.

وقد تعرض ميناء جُدة لعملية تخريب أثناء مرور الحملة البرتغالية في طريقها إلى السويس، وتنبه شريف مكة الشريف محمد أبو نُمَيّ للخطر المحدِّق بجدة في غيبة نائبها.(١)

وترتب على هذا الهجوم البرتغالي الشامل للبحر الأحمر أن عزم العثمانيون جديًا في إغلاقه في وجه البرتغاليين وقطع الاتصال بين البرتغاليين والأحباش الذي صار تحالفًا أضرَّ بالمسلمين، فنشطت السفن العثمانية في حصار السواحل الحبشية وأخذت تطوف دوريات منتظمة في البحر الأحمر حتى جعلت عملية الاتصال بين الأحباش والبرتغاليين نوعًا من المغامرة، كما بدأ العثمانيون يدعمون قواعدهم البحرية في اليمن،(٢) وعندما تمكن العثمانيون من إغلاق البحر الأحمر أصبحوا يحافظون على تدعيم وجودهم العسكري في عدن من آن لآخر فقد أصبحت عدن مركزاً لخط الدفاع الأول عن الحرمين الشريفين،(٣) ثم عمموا على جميع السفن المسيحية، فكان لا يسمح لها بالإبحار في البحر الأحمر.(٤)

---

(١) دحلان: خلاصة الكلام، ص٥٣. (وسيأتي بيان دور الشريف أبونمي الثاني في المبحث الرابع).

(٢) سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ص٣٩٨؛ الصواف: أهمية ثغر جدة، ص٢١٦.

(٣) النهروالي: البرق اليماني، ص٢٣٣؛ الصواف: أهمية ثغر جدة، ص٢١٦.

(٤) الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج٢، ص٦٩٩؛ يوسف فضل حسن: الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى القرن الثامن عشر، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثامنة، ربيع الثاني-جمادى الأولى-جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ/ يناير-فبراير-مارس، ١٩٨٣م، ص١١٧-١٢٢.

المبحث الرابع:

الدور التاريخي للشريف محمد أبونُمَيّ الثاني في التصدي للغزو البرتغالي

تمثل هذا الدور التاريخي في تصديه لغزو البرتغاليين «الإفرنج» لميناء جدة؛ وهي من الجهاد في سبيل الله تعالى في ـ كما أوردت ذلك المصادر التاريخية المكية ـ أعظم «موانئ» بيت الله الحرام، وكان ذلك قُبيل شهر ذي الحجة أواخر سنة ٩٤٨ هـ/ أوائل عام ١٥٤٢م، دخلت طائفة عظيمة من الإفرنج ـ البرتغاليين ـ وخربت غالب البنادر، فلما قصدوا جدة المعمورة نزلوا المرسى المعروف بأبي الدوائر في خمس وثمانين برشة «مركباً» مشحونة بالرجال والسلاح فقاتلهم الشريف بنفسه وترك الحج ونزل إلى جدة في جيش عظيم بعد أن أمر بالنداء في نواحي مكة المشرفة من صحبنا فله أجر الجهاد، وعلينا السلاح والنفقة، فبلغ أهل الجهاد مبلغاً عظيماً ، لا يعد ولا يحد ، ونفقة الشريف شاملة للجميع وعيون الكفار تدور عليهم كل حين فتشاهدهم يزيدون عَدَداً وعُدَداً وعيشاً رغداً ، ورجال أبي نمي يتوجهون إلى أطراف البلاد ويحضرون بأنواع الطعام بأغلى ثمن حتى فرغت الحبوب وكادت تعدم فادخروها للخيل، وأقبلوا على نحر الإبل فكان يأمر بأن ينحر لكل مائة نفس بدنة ناقة أو بعير ..واستمر ذلك مدة فقال له بعض الناس : إن هذا الفعل يستأصل ما عندك من الإبل فأجابه «بأني نويت أنحر ما أملكه ويملكه أولادي وأحفادي، فإذا نفدت الإبل نُحرت الخيل ثم كل حيوان يجوز أكله»، فلما قرب زمن الحج

برز أمره إلى ابنه الشريف أحمد بن أبي نمي أن يقابل الأمراء ويلبس الخلع الواردة ويحج بالناس على عادة أجداده. فلما وصل أمراء الحج وبلغوا ما قصدوه فحينئذ توجهوا للقاء الشريف أبي نمي بجدة لإلباسه الخلع، فلاقاهم وهو شاكي السلاح لابسًا درعه في هيئة المقاتل، ولما أن قرب الأمراء أمر بطلق المدافع فطلقت لمقابلتهم نحو ثلاث مئة مدفع، فكان (مشهداً عظيمًا) فألبسوه الخلع الواردة صحبتهم، وانصرفوا راجعين للحج. ولما رأى الكفار صبره وحصاره لهم انقلبوا خاسئين. ولما بلغ ذلك السلطان سليمان خان زاد في إكرام أبي نمي، وسمح له بنصف معلوم جدة، إلى غير ذلك من الإنعامات التي لا تحصى.[1]

---

(١) السنجاري: منائح الكرم ،ج٣، ص٣٠٠-٣٠٥؛ الطبري: إتحاف فضلاء الزمن،ج١، ص٣٣١-٥٥٩؛ دحلان: أحمد زيني: مخطوطة (تاريخ الدولة الإسلامية بالجداول المرضية) ،مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة، ص١٥٠؛ وخلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام: ص٤٨-٥٥؛ الحارثي: الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف، ص١٣٨-١٤١.

الخاتمة

خلصت الدراسة إجمالاً إلى توضيح مكانة الحجاز (الديار المقدسة) الشرعية في الكتاب والسنة لدى المسلمين، وأهمية تأمين الملاحة في البحر الأحمر التي تطل عليه تلك الديار وتشكل موانئه الشرقية منافذ وثغوراً لها، وبيان الأدوار التاريخية للعثمانيين وأشراف مكة في حماية الأراضي المقدسة ورعايتهما.

وكما قدمت الدولة العثمانية وحكومة الأشراف بمكة المكرمة الحماية للأراضي المقدسة، فإن المملكة العربية السعودية تقوم منذ نشأتها إلى اليوم بأدوار رائدة ومشهودة في حماية وخدمة ورعاية الحرمين الشريفين وحجاجهما وزوارهما بكل كفاءة واقتدار.

والله الموفق.

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. **صحيح البخاري**: ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط١، (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، دار الغد الجديد-القاهرة.

٣. **صحيح مسلم**: المنهاج، النووي: شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط١، (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، دار ابن حزم-بيروت.

٤. ابن إياس: محمد بن أحمد الحنفي: (ت ٩٣٠هـ)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، ط١، القاهرة.

٥. باشا: أحمد تيمور، (١٩٥١م-١٣٧٠هـ)، **الآثار النبوية**، القاهرة، مطبعة دار الكتاب العربي.

٦. باشا: أيوب صبري، (١٤١٩ / ١٩٩٩م)، **مرآة جزيرة العرب**، ترجمة: متولي والصفصافي، ط١، دار الآفاق العربية.

٧. البتنوني: محمد لبيب، **الرحلة الحجازية**، مكتبة المعارف-الطائف، الطبعة الثالثة.

٨. برج، محمد عبد الرحمن: **البحر الأحمر عبر التاريخ**، (ربيع أول، ١٤٠٦هـ)، بحث في كتاب ندوة البحر الأحمر التي عقدت في معهد الدراسات الدبلوماسية بالرياض-وزارة الخارجية السعودية.

٩. جاغلار: يوسف، وصالح كولن:(١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، **المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين**، ترجمة د. حازم سعيد منتصر، أحمد كمال، ط١، دار النيل-القاهرة.

١٠. جـرادات، الرائـد وليـد محمـد، **الأهميـة الاسـتراتيجية للبحـر الأحمـر بيـن الماضـي والحاضـر**، دار الثقافـة.

١١. الجمـل: شـوقي:(١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، **دور البرتغـال الاسـتعماري في إقليـم الخليـج**، منشـورات اتحـاد المؤرخيـن العـرب، القاهـرة، بعنـوان «إقليـم الخليـج علـى مـر عصـور التاريـخ»، حصـاد نـدوة (٤).

١٢. الحارثـي: الشـريف محمـد بـن حسـين، (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، **الاستشـراف علـى تاريـخ أبنـاء محمـد الحـارث الأشـراف**، دراسـة تاريخيـة وثائقية، ط٢، مؤسسـة الريـان – بيـروت.

١٣. الحارثـي: محمـد بـن حسـين، (١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م)، **الموانـئ البحريـة الحجازيـة**، كرسـي الملـك سـلمان لدراسـات تاريـخ مكـة المكرمـة، جامعـة أم القـرى.

١٤. حسـون: علي،(١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، **تاريـخ الدولـة العثمانيـة وعلاقاتهـا الخارجيـة**، ط٢، المكتـب الإسـلامي-بيروت.

١٥. الحضـراوي: أحمـد بـن محمـد، (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، **الجواهـر المعـدة في فضائـل جـدة**، تحقيـق: علـي عمـر، ط١، مكتبـة الثقافـة الدينية-القاهـرة.

١٦. حقـي: إسـماعيل حقـي جارشـلي:(٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ)، **أشـراف مكـة المكرمة وأمراؤهـا في العهـد العثمـاني**، ط١، الـدار العربيـة للموسـوعات – بيـروت.

١٧. دحـلان: أحمـد زينـي، (١٣٠٥هـ)، **خلاصـة الـكلام في بيـان أمـراء البلـد الحـرام**، ط١، المطبعـة الخيريـة، مصـر.

١٨. دحلان: أحمد زيني: (ت ١٣٠٤هـ)، **مخطوطة: تاريخ الدولة الإسلامية بالجداول المرضية**، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، المدينة المنورة، مجموعة آل الصافي، مسجلة برقم ٦١٧.

١٩. رفعت: إبراهيم، **مرآة الحرمين**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

٢٠. ابن زنبل: الشيخ أحمد الرمال،(١٩٩٨م)، **آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني**، تحقيق: عبدالمنعم عامر، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢١. سالم: السيد مصطفى: **الفتح العثماني الأول لليمن**، دار الأمين للطباعة والنشر-القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٩م.

٢٢. السباعي ،أحمد، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ، **تاريخ مكة**، ط٨.

٢٣. السلطان: عبدالله عبدالمحسن:(١٩٨٤م)، **البحر الأحمر والصراع العربي - الإسرائيلي التنافس بين استراتيجيتين**، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت.

٢٤. السلمان: محمد حميد،(١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، **الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج**، مركز زايد للتراث والتاريخ - العين.

٢٥. السنجاري: علي تاج الدين بن تقي الدين: (ت ١١٢٥هـ)، (١٤١٩هـ)، **منائح الكرم في تاريخ مكة والبيت وولاة الحرم**، تحقيق: جميل المصري وآخرون، ط١،جامعة أم القرى، مكة.

٢٦. سنوك، المستشرق: ك. سنوك هورخرونيه، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م). **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، ترجمة علي عودة الشيخ، وآخرين، (بمناسبة مرور

مائة عام على تأسيس المملكة)، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

٢٧. الشلي: محمد بن أبي بكر: (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، **عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر**، تحقيق إبراهيم بن أحمد المقحفي، ط١، يمكتبةبمكتبة الإرشاد ومكتبة تريم الحديثة.

٢٨. الشناوي: عبدالعزيز محمد: (١٩٨٠م)، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة،

٢٩. الشيخ: عبدالرحمن عبدالله، «(١٩٩٤م)، ترجمة وتعليق» **رحلات فارتيما (الحاج يونس المصري)**، الهيئة العامة للكتاب.

٣٠. الشيخ: عبدالرحمن عبد الله، (المحرم – جمادى الآخرة، ١٤٢١هـ/ مايو- أكتوبر ٢٠٠٠م). **ترجمة ثلاث وثائق برتغالية عن خطة للاستيلاء على العالم العربي في مطلع القرن السادس عشر**، مجلة عالم المخطوطات والنوادر، العدد الأول، المجلد الخامس، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض.

٣١. صابان: سهيل، (محرم ١٤١٩هـ/ مايو ١٩٩٨م)، **جوانب من الحياة العلمية في الحجاز من خلال بعض الوثائق العثمانية**، العدد الأول، مجلة الدرعية.

٣٢. الطبري: علي بن عبدالقادر (ت ١٠٧٠هـ)، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، **الإرج المسكي في التاريخ المكي**، تحقيق أشرف أحمد الجمال، الطبعة الأولى، ، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

٣٣. الطبري المكي: محمد بن علي بن فضل (ت ١١٧٣هـ)، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٣م)، **إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن**، تحقيق محسن محمد حسن سليم، ط١، دار الكتاب الجامعي، القاهرة.

٣٤. عبدالكريم كريم: (شتاء ١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، **بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية المدونة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة**، مجلة التاريخ العربي، العدد الخامس، تصدر عن جمعية المؤرخين المغاربة.

٣٥. العرفج، ناصر عبد العزيز: **أهمية الممرات المائية في البحر الأحمر**، (ندوة البحر الأحمر)، وزارة الخارجية السعودية، معهد الدراسات الدبلوماسية، طبع في ربيع الأول، ١٤٠٦هـ.

٣٦. العسكر: عبدالله بن إبراهيم: (١٠ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ-١٨ مايو ٢٠٠٥م)، **مسيحيون في مكة المكرمة، جريدة الرياض**، الأربعاء -العدد ١٣٤٧٧ .

٣٧. العصامي: عبدالملك بن حسين: (ت ١١٠١هـ)، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق: عادل عبدالموجود، وعلي معوض، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٨. العياشي: عبد الله بن محمد بن أبي بكر أبو سالم العياشي: (١٠٣٧-١٠٩٠هـ)، (٢٠٠٦م)، **الرحلة العياشية**، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ط١، دار السويدي-أبوظبي.

٣٩. غوري: جيرالد: (٢٠١٢م)، **حكام مكة**، ترجمة: رزق الله بطرس، الوراق للنشر - بيروت وبغداد.

٤٠. فائق بكر صواف، ومصطفى محمد رمضان: (ربيع أول، ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م)، **أهمية ثغر جُدة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري**، بحث مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة السادسة، الرياض.

٤١. الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي: (ت ٨٣٢هـ). (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٢. ابن فرج: عبدالقادر بن أحمد بن فرج الجُدي، (ت ١٠١٠هـ)، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، **السلاح والعدة في تاريخ جُدة**، تحقيق: مصطفى الحدري، ط١، دار ابن كثير، دمشق.

٤٣. فريدون بك: أحمد، (١٢٦٤هـ)، **منشآت السلاطين**، المطبعة العامرة، إستانبول.

٤٤. ابن فهد: عزالدين عبدالعزيز: (١٤٠٦/ ١٩٨٦م). **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، ط١، دار التراث بجُدة، من إصدارات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى.

٤٥. مخلوف: ماجدة، (١٤٢٦هـ). **الخدمات والمرافق العامة في مكة في العهد العثماني**، بحث مقدم إلى ندوة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية، جامعة أم القرى.

٤٦. متولي: أحمد فؤاد، (١٤١٤هـ-١٩٩٥م)، **الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له**، ط١، الزهراء للإعلام العربي - القاهرة.

٤٧. النهروالي: محمد بن أحمد، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، **الإعلام بأعلام بيت الله الحرام**، تحقيق هشام عبد العزيز عطا، ط١، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

٤٨. النهروالي: قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي (٩١٧-ت:٩٩٠هـ)، (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، **البرق اليماني في الفتح العثماني**،

إشــراف: حمـد الجاسـر، ط١، منشــورات دار اليمامة-الريـاض،

٤٩. يوسـف فضـل حسـن: (السـنة الثامنـة، ربيـع الثاني-جمـادى الأولى-جمـادى الآخـرة ١٤٠٣هـ/ ينـاير-فبراير-مـارس، ١٩٨٣م)، **الصـراع حـول البحـر الأحمـر منـذ أقـدم العصـور حتـى القـرن الثامـن عشـر**، مجلـة الـدارة، العـدد الثالـث.

*** المراجع الأجنبية:**

50. Afonso de Albuquerque, governor of India: His life, conquests and administration by Edgar Prestage

51. Andrew James McGregor, «A military history of modern Egypt: from the Ottoman Conquest to the Ramadan War», Greenwood Publishing Group

إعمار عين عرفة بمكة المكرمة
في القرن (١٠) هـ/ (١٦) م
ما بين المصادر المكية والوثائق العثمانية

دراسة تاريخية مقارنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص:

• **الأهمية:**

تتلخص أهمية الدراسة الحالية في إجراء مقارنة حول إجراءات إعمار عين عرفة بمكة المكرمة بين المصادر التاريخية المكية والوثائق العثمانية المزامنة للحدث والموثقة له، واستنتاج العلاقات والروابط بين طرفي الدراسة.

وقد تناولت الدراسة النشأة التاريخية لعين عرفة، ومن ثم إعمارها في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، مقارنة وتحليلاً وتفسيراً؛ للوصول إلى الخصائص المشتركة بينهما.

• **أهداف الدراسة:**

١. تُسهم الدراسة في استنتاج العلاقات والروابط بين مكونات النصوص التاريخية من المصادر المكية ونصوص الوثائق العثمانية المزامنة للحدث التي يقوم الباحث بمقارنتها.

٢. تهتم الدراسة بتحليل وتفسير إجراءات إعمار العين بين المصدرين التاريخي والوثائقي؛ للوصول إلى الخصائص المشتركة بينهما.

• **الكلمات المفتاحية:** مكة المكرمة، عين عرفة، المصادر التاريخية، الوثائق العثمانية، جامعة أم القرى.

Reconstruction of Ain Arafa in Makkah Al Mukarramah

In the (10) AH / (16) AD

Between the Meccan sources and the Ottoman documents

comparative historical study

Presented by: For the First International Conference «Mecca in the «Heart of Science

Umm Al-Qura University - College of Social Sciences

The third axis: Mecca in the social sciences: history

AH / 8-2-2022 AD 7-7-1443

Preparation

Dr. Muhammad bin Hussein Al Harthi Al Sharif

Makkah Al Mukarramah

- **Abstract:**

- Importance: This study aims to make a comparison about the procedures for the reconstruction of Ain Arafa in Makkah Al-Mukarramah between the Meccan historical sources and the Ottoman documents that synchronize and document the event, and conclude the relationships and links between the two sides of the study.

- The study dealt with the historical establishment and geographical location of Ain Arafa, and then the reconstruction of this eye in the tenth century AH, sixteenth century AD, comparison, analysis and interpretation; To access the common characteristics between them.
- **Objectives of the study:**

1. The study contributes to deducing the relationships and links between the components of historical texts from the Meccan sources and the texts of the Ottoman documents synchronized with the event that the researcher is comparing.
2. The study is concerned with the analysis and interpretation of the procedures for the reconstruction of Al-Ain between the historical and documentary sources; To access the common characteristics between them.

- **Keywords:** Makkah Al-Mukarramah, Ain Arafa, historical sources, Ottoman documents, Umm Al-Qura University.

• منهج البحث وأسلوبه:

استخدم الباحث المنهج التاريخي المقارن الذي يقوم بالمقارنة والقياس بين أوجه التشابه والاختلاف بين المصادر التاريخية والوثائق العثمانية لعرض ومناقشة إجراءات إعمار عين عرفة؛ للوصول إلى الخصائص المشتركة بينهما.

• الفترة الزمنية والمكانية « النطاق»:

مكان الدراسة مكة المكرمة بمشاعرها المقدسة، خلال فترة القرن العاشر الهجري/ القرن السادس عشر الميلادي.

• الدراسات السابقة:

لم يطلع الباحث على دراسة مقارنة معاصرة مفردة عن «عين عرفة» في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي؛ ومعظم الدراسات عن عين زبيدة إجمالاً؛ ضمن دراسات شاملة لتاريخ مكة المكرمة، أو تاريخ المياه في مكة المكرمة.

لعل أكثر ما استفادت منه الدراسة الحالية دراستان:

١. كتاب: المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة (رسالة دكتوراه مطبوعة) عادل بن محمد نور غباشي.

٢. وعن الوثائق العثمانية، يوجد العديد من المؤلفات القيمة في هذا المجال؛ إلا إنني رأيت أنسب أو أقرب من عرض وترجم لعدد وافر من الوثائق العثمانية عن عين عرفة كتاب: البلاد العربية في الوثائق العثمانية، فاضل بيات.

المبحث الأول:

النشأة التاريخية لعين عرفة.

قال الله تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[1]، أي لا زرع فيه ولا ماء.

مع زيادة أعداد المسلمين في العصور الإسلامية الأولى خاصة الأموي والعباسي شكلت قلة مصادر المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة معاناة لأهلها خاصة في موسم الحج مع قدوم أعداد كبيرة من الحجاج والمعتمرين، الذين كانوا يواجهون صعوبات جمة من نقص المياه خلال رحلتهم صوب مكة المكرمة والمشاعر المقدسة.

وانطلقت الجهود منذ العهد الأموي لتوفير مصادر المياه لأهل مكة المكرمة، وحجاجها، فكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي اللّه عنه ، مؤسس الدولة الأموية، قد أجرى في الحرم المكي عيونًا، و اتخذ لها أخيافًا، فكانت حوائط وفيها النخيل والزرع، وكانت عيون معاوية تلك قد انقطعت وذهبت، فأمر أمير المؤمنين الرشيد بعيون منها، فعملت وأحييت وصرفت في عين واحدة، يقال لها الرشاد، تسكب في الماجلين، اللذين أحدهما لأمير المؤمنين الرشيد،

---

(١) سورة إبراهيم، آية رقم (٣٧).

بالمعلاة، ثم تسكب في البركة التي عند المسجد الحرام ثم كان الناس بعد قطع هذه العيون، في شدة من الماء.[1]

وأورد ابن حجر في ترجمة عبد اللّه بن عامر بن كريز: إنه من عام حجه جمع العيون وصرفها في عين واحدة. وهو أول من اتخذ الحياض بعرفة، وأجرى إليها ماء العين، فبقي الناس براحة من جهة الماء في مكة وعرفة، زمن الحج، واستمر الحال كذلك زمنا طويلا ثم تخربت العيون، التي كانت تصب في العين الواحدة، وانقطع الماء عن أهل مكة وكان ذلك في أواخر زمن دولة بني أمية.[2]

ورغم المحاولات الكبيرة لتوفير المياه للمشاعر المقدسة ومكة المكرمة في العهد الأموي حيث بنيت السدود وحفرت الآبار والعيون، إلا أنها انقطعت؛ وأصاب الناس بعد قطعها شدة من قلة الماء، حتى رجعوا إلى الشرب من الآبار، فصاروا يجلبون الماء إلى مكة من الخارج، واستمروا كذلك في أوائل دولة بني العباس، فأمر الرشيد بإصلاح بعض العيون التي تخربت وانقطعت. وكان أهل مكة والحاج يلقون من تلك المشقة، حتى إن البدرة ـ وهي القربة

(١) الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبدالله الأزرقي (ت٢٥٠هـ): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج٢،ص٨٥٠-٨٥٥؛ الفاكهي: أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي المكي (من علماء القرن الثالث الهجري): أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، الطبعة الخامسة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ج٤،ص١٢١-١٢٦؛ الغازي: عبد الله بن محمد الغازي المكي (ت١٣٦٥هـ): إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي- مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م،ج٢، ص٢٨١-٢٨٣.

(٢) ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ج٥، ص١٤؛ الصباغ: محمد بن أحمد المالكي المكي: تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ج٢، ص٦٣٤؛ الغازي: إفادة الأنام،ج٢، ص٢٨٦.

الصغيرة ـ تبلغ في عشرة دراهم أو أكثر، فبلغ ذلك أم جعفر[١] بنت أبي الفضل جعفر بن أمير المؤمنين المنصور، فأمرت في سنة أربع وتسعين ومائة بعمل بركتها، التي بمكة، فأجرت لها عينا من الحرم، فجرت بماء قليل، لم يكن فيه ريّ لأهل مكة، وقد غرمت من ذلك غرمًا عظيمًا فبلغها، فأمرت جماعة من المهندسين أن يجروا لها عيونا من الحل، و كان الناس يقولون: إن ماء الحل لا يدخل الحرم، لأنه يمر على عقاب و جبال، فأرسلت بأموال عظام، ثم أمرت من يزن عينها الأولى، فوجدوا فيها فساداً، فأنشأت عينا أخرى إلى جانبها، وأبطلت تلك العيون، فعملت عينها هذه بأحكم ما يكون من العمل ، فلم تزل تعمل فيها حتى بلغت ثنية خل، فإذا الماء يظهر في ذلك الجبل، فأمرت بالجبل فضرب فيه، وأنفقت في ذلك من الأموال ما لم يكن تطيب بها نفس كثير من الناس، حتى أجراها اللّه عز وجل لها، وأجرت فيها عيونا من الحل منها: عين من المشاش واتخذت لها بركا تكون السيول إذا جاءت تجتمع فيها، ثم أجرت لها عيونا في حنين، واشترت حائط حنين، فصرفت عينه إلى البركة، وجعلت حائطه سدا يجتمع فيه السيل، فصارت لها مكرمة.[٢]

---

(١) ترجمها تقي الدين الفاسي: زبيدة بنت أبى الفضل جعفر بن أبى جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس العباسي: والدة الخليفة الأمين محمد بن الخليفة هارون الرشيد ، تكنى أم الفضل ، وأم جعفر. واسمها أمة العزيز. ولم تلد هاشمية خليفة هاشميا سواها. وكانت من سادات نساء قريش، قدمت مكة للحج غير مرة، وعظمت عنايتها بإجراء الماء إلى مكة. ماتت سنة ٢١٠هـ، ببغداد في خلافة المأمون. تقي الدين الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج٦، ص٣٩٨، ترجمة رقم (٣٣٧٣).

(٢) الغازي: إفادة الأنام ، ج٢، ص٢٨٧.

ثـم إن زبيـدة أمـرت بإجـراء عيـن وادي نعمـان[(١)] إلـى عرفـة، وهـي عيـن منبعهـا ذيـل جبـل كـرا، وهـو جبـل شـامخ جـدا، أعـلاه أرض الطائـف، فينصـب منـه في قنـاة إلـى موضـع يقـال لـه الأوجـر[(٢)] مـن وادي نعمـان، و تجـري منـه إلـى موضـع بيـن جبليـن شـاهقين، في علـو أرض عرفـات، فيهـا مـزارع فعملـت القنـوات إلـى أن جـرى مـاء عيـن نعمـان إلـى أرض عرفـات، ثـم أديـرت القنـاة بجبـل الرحمـة، محل الموقف الشريف الأعظم في الحج، و جعلت منها الطرق إلى البرك التي في أرض عرفات، فتملى ماء يشرب منه الحجاج، في يوم عرفة، ثم استمر عمل القناة إلى أن خرجت من أرض عرفات إلى خلف جبل من وراء المأزمين على اليسار للعائد من عرفات يقال له: طريق ضاب[(٣)]،ثم تصل منها إلى المزدلفة، ثم تصل إلى جبل خلف منى[(٤)] في قبليها، ثـم تنصب في بئر عظيمة، مطوية بأحجار

---

(١) نَعْمـاَن: وكان يعـرف بنعمـان الأراك: وادٍ مـن أكبـر أوديـة مكـة المكرمـة، تـأتي أعلـى نواشـغه مـن طـود الحجـاز حيـث جبـال: كـرا، وعَفـار، وتَفْتَفـان، وغيرهـا، حيـث تتكـون أعظـم روافـده، مثـل: الضَّيْقـة، والكُـرّ، والشَّـرى، ويَعْـرِج. وتسـمى صـدوره (الصُّـدَّر) ولـه روافـد كبـار أثنـاء مسـيرته، منهـا: عَرْعَـر، وصـار، ورهْجـان، وكلهـا عـن يسـاره، وبُـرْم، والوَصِيـق عـن يمينـه، وتصـب فيـه ميـاه جبـال شـوامخ مثـل: كبكـب مـن اليميـن، وبلـم والخشـاع وقرظـة مـن الشـمال، ثـم ينحـدر وادي نَعْمـاَن بشـكل شـبه مسـتقيم فيمـر جنـوب عَرَفَـة علـى مـرأى منهـا، فـإذًا تجاوزهـا اجتمـع بـوادي عُرَنَـة: البـلادي: معالـم مكـة التأريخيـة والأثريـة، ص٣٠٤.

(٢) الأوجـر: يقـول عنـه البـلادي: جبـل تنبـع منـه عيـن زبيـدة في صـدر وادي نعمـان. البـلادي: معجـم معالـم الحجـاز، دار مكـة-مكـة، مؤسسـة الريـان- بيـروت، الطبعـة الثانيـة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ج١، ص١٤٣.

(٣) ضـاب كمـا ورد في المصـدر، وهـو طريـق ضـبّ: يمـر عليـه اليـوم طريـق السـيارات رقـم (٣) و (٤). وإذا سـلكت هـذا الطريـق مـن مزدلفـة إلـى عرفـات جعلـت ذات السـليم (جبـل مكسّـر) علـى يمينـك، ومـأزم عرفـات الجنوبـي علـى يسـارك وتوجهـت إلـى عرفـات. وعلـى يسـارك في هـذا الطريـق تجـد بنـاء لمجـرى عيـن زبيـدة لاصقـا بالجبـل (مـأزم عرفـة الجنوبـي) أو (الأخشـب اليمـاني). الفاكهـي: أخبـار مكـة، ج٤، ص٣٢٥، ح٣.

(٤) المقصـود جبـل المفجـر، أي أن القنـاة تتجـه مـن دقـم الوبـر إلـى أسـفل الجبـل، ممـا يلـي العزيزيـة (حـوض البقـر سـابقًا). القاضـي عيـد: القاضـي حنيـف الديـن ابـن القاضـي محمـد، المشـهور بالقاضـي عيـد (ت١١٤٣هـ): رسـالة في عمـارة العينيـن عيـن نعمـان وعيـن حنيـن، تحقيـق: ناصـر الحارثـي، لجنـة المطبوعـات في التنشـيط السـياحي بمحافظـة الطائـف، الطبعـة الأولـى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص٢٩، ح٦٥.

كبار جدا، تسمى هذه البئر بئر[1] زبيدة.[2]

ويعلق أيوب صبري باشا[3] المؤرخ العثماني المتوفى في استنبول (١٢٩٠هـ/ ١٨٩٠م) بقوله: «.. وبناء على ما ذكره المؤرخون الأعلام فإن طول المجرى الذي حفرته السيدة زبيدة يبلغ (١٤٣٠٣٨) قدما وأربع بوصات وقد صرف في حفرها وتسويتها مليونا وسبعمائة مثقال ذهب .. وقد أنقذت السيدة زبيدة أهل مكة من ضائقة الماء، إذ أوصلت هذه المياه إليها وكذلك خدمت الحجاج الكرام خدمة عظيمة بهذا العمل الجليل».

ويصف إبراهيم رفعت باشا، مجرى عين زبيدة من وأعلى وادي نعمان بقوله: منبعها في ذيل جبل كرا وهو جبل شامخ صعب المرتقى، من أسفله إلى

---

(١) البئر: هذه البئر أو الخزان عرف فيما بعد باسم محبس الجن.

(٢) قطب الدين النهرواني: محمّد بن أحمد بن محمّد (ت٩٩٠هـ): كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، المحقق: هشام عبد العزيز عطا، المكتبة التجاريّة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص٣٣٨؛ القطبي: عبد الكريم بن محب الدين (ت١٠١٤هـ): إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، تحقيق: أحمد محمد جمال، وعبد العزيز الرفاعي، دار الرفاعي- الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص١٠٩ ؛ الطبري: علي بن عبد القادر الطبري (ت ١٠٧٠ه): الأرج المسكي في التاريخ المكي، تحقيق: أشرف أحمد جمال، المكتبة التجارية - مكة المكرمة، الطبعة الأولى،١٤١٦هـ- ١٩٩٦م،ص٨٣؛ العصامي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت ١١١١هـ) :سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج٤، ص٩٦؛ السنجاري: علي تاج الدين بن تقي الدين السنجاري (ت١١٢٥هـ): منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق: ماجدة فيصل زكريا، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج٣، ص٢٥٨؛ القاضي عيد: رسالة في عمارة العينين عين نعمان وعين حنين، ص٢٥-٣٠؛ الطبري المكي: محمد بن علي بن فضل الطبري المكي (ت١١٧٣هـ): تاريخ مكة إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، تحقيق: محسن محمد حسن سليم، دار الكتاب الجامعي-القاهرة، الطبعة الأولى، ج١،ص٤٩٨؛ صادق: محمد صادق باشا (ت١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م): دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق -مصر، الطبعة الأولى، ١٣١٣هـ، ص٦١؛ الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص٦١٢ ؛ البتنوني: محمد لبيب (ت١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨م): الرحلة الحجازية، مكتبة المعارف-الطائف، الطبعة الثالثة، ص٦٥؛ الغازي: إفادة الأنام، ج٢، ص٢٨٩؛ الكردي: محمد طاهر الكردي المكي (ت١٤٠٠هـ): كتاب التاريخ القويم لمكة بيت الله الكريم، مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج٦، ص٦٠.

(٣) أيوب صبري باشا: موسوعة مرآة الحرمين وجزيرة العرب، أشرف على ترجمتها: محمد حرب، دار الآفاق العربية- القاهرة، طبعة: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ج٢، ص٦٢٥.

أعلاه مسيرة نصف يوم وبعده أرض الطائف، وتنحدر المياه من ذيل الجبل في قناة إلى موضع يقال له « الأوجر» بوادي النعمان ثم يجري بين جبلين شاهقين في علو أرض عرفات، ثم أجري الماء في قنوات إلى عرفات، إلى برك بأرض عرفات فتمتلئ ماء يشرب منه الحجاج يوم عرفة، ثم يسير بالقناة نحو الشمال وعلى بعد ١٣٧٨ مترا عمل بازان (بئر في الأرض قاعه مجرى العين وينزل إليه بدرج، وقد يكون عميقا وقد يكون قريب الغور حسب بعد القناة من الأرض أو قربها وهذه البئر تعمل ليستقي منها الناس) اسمه « فقير الذئب الأعلى» وعلى بعد ٤٠٥ أمتار من هذا البازان بازان « فقير الذئب الثاني» ثم تنعطف القناة نحو الغرب داخلة في وادي المغمس وتنتهي إلى « حوض البقر» على بعد ١٤٢٠ مترا من البازان الثاني، في هذا الحوض ٢٥ خرزة ثم تسير في باطن الجبل إلى موضع يقال له « الخاصرة» بقربه أراض زراعية يقال لها الهمدانية، ثم ترجع منه يمينا إلى « بازان الحقابة» الذي على يمين الآتي من عرفات، ثم تتوجه يمينا إلى « بازان المعترضة» وبعد ذلك تسير القناة في سفح المأزمين على يسار القادم من عرفات، ثم يسير إلى مزدلفة وتتوجه منها في وادي النار وفيه عند رأس جبل على يسار الذاهب إلى مكة يقال له « فم الوبر» ومنه يكون المجرى متعلقا في الجبل إلى» المفجر» خلف منى، وعنده أقيم الآن على المجرى آلة بخارية (ماكينة) عند الريع (المكان العالي)، يرده أهل منى، وهذه الآلة ترفع المياه من المجرى وتوصلها في أنابيب حديدية لدى أحواض بمنى. ثم يتوجه المجرى منحدرا خلف جبل منى إلى فتحات موازية لمدرج منى بجانبها مسجد وحوض لسقيا الدواب يسمى «حوض البقر الثاني» ومنه

تسير القناة تحت الأرض إلى بئر عظيمة طويت بأحجار كبيرة جداً تسمى « بئر زبيدة» إليها تنتهي القناة؛ وهي الأبنية العظيمة، والمسافة بين هذه البئر وبين المنبع ٣٣٠٠٠متر، وصارت عين نعمان خاصة بعرفة ومنى.[١]

وتبدأ القنوات الحجرية الخاصة بعين زبيدة من المنطقة التي يلتقي فيها وادي رهجان مع وادي نعمان وذلك للاستفادة القصوى من مياه هذين الواديين وروافدهما مجتمعة، ويبلغ ارتفاع نقطة ملتقى هذه الأودية حوالي ٦١٠م فوق سطح البحر حيث تبدأ القناة الحجرية لهذه العين وهي ما تسمى بالأمية أو الأم. وقد وجد أن عمق القناة الحجرية عند نقطة البداية حوالي (٢٨م). وقد وجد من هذه الدراسة أن ذلك العمق (٢٨م) لم يأت بمحض الصدفة ولكنه اختير بدقة متناهية وحساب هندسي رفيع بحيث يصبح منسوب المياه في القناة الحجرية في منطقة عرفات قريبا من سطح الأرض (أقل من متر) وذلك لتكون المياه في متناول الحاج وبدون صعوبة تذكر. كما لوحظ أيضـاً عند تتبع مسار تلك القنوات الحجرية تجنب بناء الخرزات (غرف التفتيش) في مصبات السيول إلا في بعض الحالات النادرة والتي يصعب تجنبها، وعندها تأخذ الخرزات أشكالاً هندسية تقلل من تأثير السيول على ثباتها. وقد لوحظ أيضـاً عند بناء تلك القنوات في سفوح الجبال وجود فتحات عبر القنوات تسمح بتصريف مياه السيول المنحدرة من أعالي الجبال دون أن تلحق أذى بتلك القنوات، إضافة إلى وجود الحوائط الساندة لتقوية تلك القنوات مما جعلها قائمة شامخة حتى

(١) رفعت: إبراهيم باشا، (ت ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٥ م): مرآة الحرمين، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ج١، ص٢١٢.

الآن رغم عمرها المديد. وقد ظلت مياه عين زبيدة تتدفق عبر هذه القنوات تسقي الحجيج في عرفات ومزدلفة ومنى من العصر العباسي وحتى عهد قريب.[(١)]

شكلت «عين زبيدة» إرثًا حضاريًا وهندسيًا عظيمًا يجسد عظمة الإنسان الذي عاش على ثرى بلاد الحرمين الشريفين الطاهر وقوة عزائمهم التي شقت الجبال واخترقت الهضاب وطوعت التضاريس الصعبة لبناء حضارة إنسانية عظيمة جعلت الإنسان وتنميته وتلبية حاجاته في أولى اهتماماتها.

وبمرور الأيام والسنين صارت عين حُنين تنقطع عن الوصول إلى مكة، وكذلك عين عرفات تنقطع عن وصولها إلى منتهاها لتهدم قنواتهما وتخريبهما بالسيول وكان الخلفاء والسلاطين إذا بلغهم ذلك أرسلوا وعمروها، ثم انقطعت في أوائل الدولة العثمانية وصار أهل مكة يستقون من آبار حول مكة. حتى انقطعت عين عرفات وتهدمت قنواتها وكان الحجاج يحملون الماء إلى عرفات من الأماكن البعيدة وصار الفقراء من الحجاج وغيرهم في يوم عرفة لا يطلبون إلا الماء لغلو الماء وعزته جدا.[(٢)]

---

(١) مهرجي: عبد الله مصطفى، وعمر سراج أبو رزيزة: «العيون المائية في مكة المكرمة»، قسم الهندسة المدنية-كلية الهندسة-الملك عبد العزيز، مجلة المهندس، المجلد (٥)، العدد (٣)، ١٤١٢ه/ ١٩٩٢م، ص٦١.

(٢) النهرواني: كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص٣٣٨-٣٥٠؛ القطبي: إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، ص١٠٩ ؛ الطبري: الأرج المسكي في التاريخ المكي، ص٨٣؛ العصامي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ،ج٤، ص٩٦؛ السنجاري: منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، ج٣، ص٢٥٨؛ القاضي عيد: رسالة في عمارة العينين عين نعمان وعين حنين، ص٢٥-٣٠؛ الطبري المكي: تاريخ مكة إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، ج١ ،ص٤٩٨؛ الغازي: إفادة الأنام، ج٢، ص٢٩٨؛ الكردي::كتاب التاريخ القويم لمكة بيت الله الكريم،ج٦، ص٦٠.

المبحث الثاني:

إعمار عين عرفة بين المصادر التاريخية المكية، والوثائق العثمانية.

مع مطلع القرن العاشر الهجري؛ وبعد دخول الحجاز تحت إدارة السلطنة العثمانية سلمياً ـ مع بقاء حكومة الأشراف المحلية ـ عام ٩٢٣هـ؛ يقول أيوب صبري باشا: أهل مكة كانوا يعانون من قلة تلك السبل والآبار ذات المياه العذبة، إلا إنها أهملت بعد تطهيرها في سنة (٩٢٦هـ) بإهمال طرقها، ومجاريها آلت إلى الخراب وضاع ذلك الماء الذي تقوم عليه الحياة. إلى أن أجرى السلطان سليمان مياه عين زبيدة في داخل مكة المعظمة؛ وكان ذلك الماء المذكور في غاية الغزارة والعذوبة وكان يشبه ماء «تقسيم» حي في إستانبول، وإن كان اسمه عين عرفات؛ إلا إنه أطلق عليها عين زبيدة اعترافا لما بذلته السيدة زبيدة من همة عظيمة لجلبها.[١]

ويورد قطب الدين النهرواني[٢] ما نقلته عنه المصادر المكية التالية له قوله:

---

(١) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب،ج٢، ص٦٢٣.

(٢) قطب الدين النهرواني (ت٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م)، [مؤرخ الفترة وحدث إعمار عين عرفة خاصة] وكان بمكة خلال سنة ٩٣٢هـ، ونال مكانة مرموقة عند أشراف مكة فتولى رئاسة الكتاب في إدارتهم، كما تولى منصب الإفتاء بمكة والتدريس بالمدرسة السليمانية، كما كلفه شريف مكة بالسفارة إلى إسطنبول، وكان فقيها حنفي المذهب يُحسن التركية، وعلى صلات كبيرة بكبار رجال الدولة العثمانية، ويتولى الطوافة عندما يحج الأمراء وأفراد العائلة المالكة والوزراء والقواد العثمانيون، وفي زيارته لإسطنبول استقبله السلطان سليمان في حفل عظيم وارتبط بعلاقة حميمة مع ابنه الأمير بايزيد وبالعديد من الوزراء والصدور، منهم القائد سنان باشا وغيره. كما وجد من العلماء القبول والتقدير وحظيت مؤلفاته بالشهرة والانتشار. وقد ناله من عطاء العثمانيين ومرتباتهم وهداياهم الشيء الكثير، وفي مقابل ذلك يصبح قطب الدين المؤرخ الرسمي للدولة العثمانية باللغة العربية والناشر لفضائلهم وانتصاراتهم والمدافع عن مواقفهم وسياساتهم. الهيلة: محمد الحبيب: التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي فرع موسوعة مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص٢٤٣-٢٤٤.

ثـم انقطعـت في أوائـل الدولـة العثمانيـة، و بطلـت العيـون لقلـة الأمطـار وتهدمـت قنواتها، وانقطعـت عيـن حنيـن عـن مكـة المشـرفة، وصـار أهـل مكـة يسـتقون مـن الآبـار حـول مكـة، وكان المـاء غاليـا قليـل الوجـود، وكذلـك انقطعـت عيـن عرفـات وتهدمـت قنواتها وكان الحجـاج يحملـون المـاء إلـى عرفـات مـن الأمكنـة البعيـدة، وصـار فقـراء الحجـاج في يـوم عرفـة لا يطلبـون شـيئا غيـر المـاء لعزتـه، ولا يطلبـون الـزاد وربمـا جلبـه بعـض الأقويـاء مـن الأماكـن البعيـدة للبيـع، فيحصلـون أمـوالا مـن ذلـك لغلـو ثمنـه، وإني أذكـر أن في سـنة (٩٣٠هـ) قـلّ المـاء في الآبـار البعيـدة أيضـا، فارتفـع سـعر المـاء جـدا في يـوم عرفـة، وكنـت يومئـذ مراهقـا في خدمـة والـدي ـ رحمـه اللّـه ـ وفـرغ المـاء الـذي كنـا حملنـاه مـن مكـة إلـى عرفـات، وعطـش أهلنـا فتطلبـت قليـلا مـن المـاء للشـرب فاشـتريت قربـة مـاء صغيـرة جـدا يحملهـا الإنسـان بإصبعـه بدينـار ذهـب، والفقـراء يصيحـون مـن العطـش يطلبـون مـن المـاء مـا يبـل حلوقهـم في ذلـك اليـوم، فشـرب أهلنـا بعـض تلـك القربـة وتصدقـوا، وجـاء وقـت الوقـوف الشـريف والنـاس عطـاش يلهثـون فأمطـرت السـماء وسـالت السـيول مـن فضـل اللّـه تعالـى ورحمتـه والنـاس واقفـون تحـت جبـل الرحمـة فصـاروا يشـربون مـن السـيل مـن تحـت أرجلهـم و يسـقون دوابهـم، و حصـل البـكاء الشـديد و الضجيـج الكثيـر مـن الحجـاج ، ولا أزلـت أتذكـر تلـك السـاعة ومـا حصـل بهـا مـن اللطـف العظيـم مـن كـرم اللّـه العميـم.[1]

(١) قطب الدين النهرواني: كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام: ص٣٣٨-٣٥٠؛ القطبي: عبد الكريم: إعلام العلماء الأعلام: ص١١٠؛ الطبري: الأرج المسكي، ص٨٤؛ العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٩٧؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٢٦٠؛ القاضي عيد: رسالة في عمارة العينين عين نعمان وعين حنين، ص٣٤؛ صادق: دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج، ص٦٢؛الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص٦١٤؛ إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين، ج١، ص٢١٨؛ الغازي: إفادة الأنام، ج٢، ص٣٠٩؛ الكردي: التاريخ القويم، ج٦، ص٦٦.

وقام شريف مكة الشريف محمد أبو نُمي الثاني بالعرض للسلطان العثماني سليمان القانوني؛ ما يجده الناس بعرفات ومكة من قلة وجدان الماء.[1]

وبرزت الأوامر السلطانية بإصلاح عين حنين وعين عرفات وعين لها ناظرا اسمه مصلح الدين مصطفى من المجاورين بمكة، فبذل جهده في عمارتها وإصلاح قناتها إلى أن جرت عين حنين إلى أسفل مكة تصب في بركة ماجن، وأصلح عين عرفات وأجراها إلى أن صارت تملأ البرك بعرفات، وذلك في سنة (٩٣١هـ)، وصار الحجاج يروون من ذلك الماء العذب الفرات، بعد ذلك العطش الشديد في يوم عرفات، ثم اشترى ناظر العين عبيدا سودا من خزائن السلطنة الشريفة برسم خدمة العين لإخراج ترابها من الدبول والقنوات وهذه خدمتهم دائما.[2]

ثم توجه مصطفى ناظر العين إلى الأبواب السلطانية السليمانية وعرض في أمر العين أحوالا يجب عرضها، فأجيب إلى كل ما سأل وعاد مجبورا إلى مصر، ثم ركب من بندر السويس إلى مكة فغرق في بحر القلزم شهيدا.[3] وكانت وفاته في سنة (٩٣٧هـ).

واستمرت عين حُنين جارية إلى مكة، لكنها تقل تارة وتكثر أخرى، بحسب قلة الأمطار وكثرتها، وعين عرفات تجري من نعمان إلى عرفة إلى أن صارت

---

(١) الطبري المكي: إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، ج١، ص٤١٩.

(٢) السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٢٦٠؛ الطبري: الأرج المسكي، ص٨٤؛ أيوب صبري باشا: موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب،ج٢، ص٦٢٨.

(٣) الطبري المكي: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٤١٩-٤٢٠؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٢٦٣؛ إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين، ج١، ص٢١٨.

عرفات فيها بساتين، ثم قلت الأمطار إلى أن يبست العيون ونزحت الآبار في سنين متعددة من سنة (٩٦٥هـ) وما بعدها.[1] وكانت سنوات تقارب سنين يوسف شدادا عجافا، وانقطعت العيون إلا عين عرفات فإنها لم تنقطع إلا إنها قلّ جريانها في تلك السنوات، فلما عرضت أحوال العين على السلطان سليمان فأمر بالفحص على أحوال العيون وكيف يكون جريانها إلى بلد اللّه الأمين، فاجتمع المرحوم عبد الباقي بن علي المغربي قاضي مكة، و الأمير خير الدين صنجقدار جدة وغيرهما من الأعيان وتفحصوا وداروا وتشاوروا فأجمع رأيهم على أن أقوى العيون عين عرفات، و طريقها ظاهر ودبولها مبنية إلى بئر زبيدة خلف منى، وإن الذي يغلب على الظن أن دبولها من بئر زبيدة إلى مكة مبنية أيضا، وأنها مخفية تحت الأرض وأنها تحتاج إلى الكشف عنها والحفر إلى أن تظهر لأن زبيدة لما بنت الدبول من عرفات إلى بئرها المشهور،[خلف منى التي] جميعها ظاهر على وجه الأرض فالباقي من ذلك المحل أيضا مبني إلا إنه خافٍ تحت الأرض، واستغنت عن عين عرفات بعين حنين، هكذا ظنوا وخمنوا،[2] ثم إنهم تتبعوا عين عرفات من أولها، من الأوجر إلى نعمان ثم إلى عرفة ثم إلى المزدلفة ثم إلى بئر زبيدة وأصلحوا هذه الدبول الظاهرة وكشفوا عن الباقي، وبنوا ما وجدوا منها منهدما ورمموا الباقي احتاجوا إلى (٣٠٠٠٠)

(١) يورد الصباغ في تحصيل المرام تاريخ (٩٦٩هـ).

(٢) قطب الدين النهرواني: كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام: ص٣٤٠؛ القطبي: عبد الكريم: إعلام العلماء الأعلام: ص١١٠؛ الطبري: الأرج المسكي، ص٨٤-٨٥؛ العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٩٩؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٣٥٢؛ القاضي عيد: رسالة في عمارة العينين عين نعمان وعين حنين، ص٣٦؛ الغازي: إفادة الأنام، ج٢، ص٣١٢؛ الكردي: التاريخ القويم، ج٦، ص٦٨.

دينار ذهبا وذرعوه وقاسوه فكان من الأوجر إلى بطن مكة (٤٥) ألف ذراع بذراع البنائين الآن، وهو أكبر من الذراع الشرعي بقدر ربعه، [وهذا][(١)] الذي تخيلوه من وجود بقية الدبل تحت الأرض لم يوجد في كتب التواريخ وإنما أداهم إلى ذلك مجرد الظن بحسب القرائن وعرضوا ذلك على أبواب السلطنة في أوائل سنة (٩٦٩هـ)، فلما وصل علم ذلك إلى السلطان العثماني؛ التمست صاحبة الخيرات كريمة السلطان سليمان خان حضرة خانم سلطان؛[(٢)] ويورد أيوب صبري باشا[(٣)] خلافاً للمصادر المحلية المكية التي تشير إلى أنها أخت السلطان واسمها هانم أو خانم ؛ إلى أنها ابنة السلطان العثماني سليمان القانوني (كريمة السلطان السعيد الحظ «مِهرِماه» بعون والدها)[(٤)]، وكذلك محمد صادق باشا يورد اسمها (مهروماه سلطان كريمة السلطان سليمان)[(٥)]، وأيضاً البتنوني[(٦)] في رحلته بقوله : (وهنالك رجته كريمته صاحبة السمو الملوكاني مهرماه سلطان)؛

---

(١) قطب الدين النهرواني: كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام: ص٣٤١؛ القطبي: عبد الكريم: إعلام العلماء الأعلام: ص١١٠؛ الطبري: الأرج المسكي، ص٨٤-٨٥؛ العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٩٨؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٣٥٣؛ القاضي عيد: رسالة في عمارة العينين عين نعمان وعين حنين، ص٣٦؛ إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين، ج١، ص٢١٨؛ الغازي: إفادة الأنام، ج٢، ص٣١٢؛ الكردي: التاريخ القويم، ج٦، ص٦٨.

(٢) قطب الدين النهرواني: كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام: ص٣٤٠ ؛ القطبي: عبد الكريم: إعلام العلماء الأعلام: ص١١١؛ الطبري: الأرج المسكي، ص٨٤؛ العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٩٩؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٣٥٤؛ القاضي عيد: رسالة في عمارة العينين عين نعمان وعين حنين، ص٣٨؛ الطبري المكي: إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، ج١، ص٤٩٨؛ الغازي: إفادة الأنام، ج٢، ص٣١٣؛ الكردي: التاريخ القويم، ج٦، ص٦٩.

(٣) أيوب صبري باشا صنف هذه الموسوعة باللغة التركية العثمانية، فهي تجمع بين أنها مصدر تاريخي [تركي ومكي] لمؤلف تركي عثماني توفي عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٩٠م. موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب،ج٢، ص٦٢٤، ص٦٣٤.

(٤) اسم الأميرة «مِهرِماه» هو اسم فارسي، فَـ«مِهر» هي الشمس و «ماه» هو القمر باللغة الفارسية. ويسمى أيضا «جامع المرفأ»، «فمهرماه سلطان»، إنها الابنة الوحيدة للسلطان سليمان القانوني من السلطانة «هُرِّمْ». موقع تركيا بوست: آثار «معمار سنان» في إسطنبول..، ١١ أبريل ٢٠١٦ https://turkiye-post.net/p-123615/.

(٥) دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج، ص٦٢.

(٦) الرحلة الحجازية، ص٦٦.

أن يأذن لها في عمل هذا الخير، فناسب أن تكون هي صاحبة هذا الخير فأذن لها في ذلك فاستشارت الحضرة السليمانية وزراء ديوانها الشريف العالي فيمن يصلح لهذه الخدمة، فاتفقت آراؤهم على الأمير الكبير المعظم إبراهيم باشا دفتر دار مصر، فأعطته السلطانة خمسين ألف دينار ذهبا بزيادة عشرين ألف ذهب على ما خمنوه فتوجه من البر إلى مكة المشرفة و كان وصوله إلى جدة لثمان بقين من ذي القعدة سنة (٩٦٩هـ)، ثم ركب منها إلى الشريف محمد أبي نُمي، فقابله بالإجلال والتعظيم ومد له سماطا ولاطفه وآكله، وعرض على سيادته ما جاء بصدده فقوبل بامتثال الأمر الشريف السلطان، وأن يقوم بذلك بنفسه وولده وأتباعه وخدمه، ثم قابله عند دخوله مكة الشريف حسن بن أبي نُمي، صاحب مكة بالترحيب والاحترام ثم جاء للسلام عليه القاضي حسين الحسيني[1]، ففرح به الأمير إبراهيم وقابله بالإجلال والتعظيم، وعرض عليه أموره وأحواله واستشاره في سائر ما بدى له من أحواله فأشار إليه بالآراء الصائبة، وأعلمه بما ينبغي رعايته وما يجب عليه ملاحظته من الأمور اللازمة.[2]

وتؤكد هذه الأحداث الوثيقة العثمانية المؤرخة في ٢٦ ربيع الآخر ٩٧٢هـ، تمثلت في الإشادة بجهود أمير مكة واهتمامه ببناء قناة المياه الجارية إلى مكة. وتعنونت بـ «حكم إلى شريف مكة»: أرسل افتخار الأمراء الكرام إبراهيم؛

---

(١) قطب الدين النهرواني: كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام: ص٣٤٣؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٣٥٤؛ ؛ الغازي: إفادة الأنام، ج٢، ص٣١٤؛ الكردي: التاريخ القويم، ج٦، ص٦٩.

(٢) قطب الدين النهرواني: كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام: ص٣٣٨-٣٥٠؛ القطبي: عبد الكريم: إعلام العلماء الأعلام: ص١١٠؛ الطبري: الأرج المسكي، ص٨٤؛ العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٩٧؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٢٦٠؛ القاضي عيد: رسالة في عمارة العينين عين نعمان وعين حنين، ص٣٤؛ صادق: دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج، ص٦٢؛الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص٦١٧؛؛ الغازي: إفادة الأنام، ج٢، ص٣١٦؛ الكردي: التاريخ القويم، ج٦، ص٦٩.

المكلف حالياً بخدمة بناء القناة المائية في مكة المكرمة رسالة أبلغ فيها عن دعمكم الكلي وحسن اهتمامكم بقناة المياه التي يتم شقها من جبل عرفات إلى بيت الله المشرف...»[(١)].

وتليها مباشرة بعدة أيام وثيقة أخرى بتاريخ ٢٩ ربيع الآخر ٩٧٢هـ؛ تحتوي الأمر بقيام ولاية مصر بتدبير المستلزمات المطلوبة لبناء قناة المياه من جبل عرفات بدون تأخير، معنونة بـ «حكم إلى بكلربكي مصر[(٢)] ودفتردارها»[(٣)].

وتتوالى الوثائق العثمانية، فتتفق في المضمون مع سير الأحداث لإعمار عين عرفة، وتتفاوت في التواريخ، في وصول الأحكام، والمعدات والأدوات والخبراء لمكة المكرمة، للانخراط في أعمال الإعمار. ومن تلك الوثيقة التالية المؤرخة في ٢٨ ذي القعدة ٩٧٢هـ، للاستفسار عما إذا كان معلمو الحجر والبناؤون الذين صدر الأمر باستخدامهم في بناء قناة الماء قد وصلوا إلى مكة أم لا. بعنوان: «حكم إلى إبراهيم بك: صدر أمري بجمع معلمي حجر من الشام وحلب وإرسالهم إليك لاستخدامهم في مستلزمات البناء الجاري في مكة المكرمة، فهل وصل معلمو الحجر والبناؤون المذكورون بمقتضى أمري الشريف؟»[(٤)]، ووثيقة

---

(١) «مهمة دفتري ٦ ص ٢١٣ حكم ٤٥٦»، دائرة الأرشيف العثماني التابعة لرئاسة الوزراء التركية. انظر: بيات: البلاد العربية في الوثائق العثمانية، المجلد الثالث، ص٨١.

(٢) بكلربكي: أمير الأمراء، وهو من أعلى المناصب في الدولة العثمانية، وأصبح يُطلق على حكام الولايات والأقاليم. ودفتردار: أي ممسك الدفاتر، وهو منصب الشؤون المالية والحسابات. انظر: سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض- ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٦٤، ص١١٤؛ حسان حلاق وعباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص٤٢، ص٩٢.

(٣) « مهمة دفتري ٦ ص ٢٠٢ حكم ٤٣٥»، دائرة الأرشيف العثماني التابعة لرئاسة الوزراء التركية. انظر: بيات: البلاد العربية في الوثائق العثمانية، المجلد الثالث، ص٨٠.

(٤) مهمة دفتري ٦ص٦٠٣ حكم ١٣٢٨، دائرة الأرشيف العثماني التابعة لرئاسة الوزراء التركية. انظر: بيات: البلاد العربية في الوثائق العثمانية، المجلد الثالث، ص٩٠.

تلتها مؤرخة في ٢ ذي الحجة ٩٧٢هـ، وأخرى في ٣ ذي الحجة من نفس العام؛ حول الأمر بالاستعجال في إرسال معلمي الحجر والبنائين من الشام إلى مصر ومنها إلى مكة.(١)

وهنا تُظهر الوثائق في العام ٩٧٣هـ بعض التفاصيل التي لم ترد في المصادر التاريخية؛ وبتاريخ ١٥ شعبان؛ حيث يصدر الأمر بمنح المبالغ اللازمة لبناء قناة الماء في مكة من خزينة مصر وتهيئة المستلزمات البشرية له، وفي ٧ شوال: حكم إلى بكلر بكي الشام، حكم إلى بكلربكي حلب: الأمر بقيام ولاية مصر بتهيئة المستلزمات البشرية، ووثيقة أخرى في نفس التاريخ ؛الأمر بإرسال عدد كافٍ من معلمي الحجر من الشام إلى مكة برئاسة أحد معماري حلب وذلك لاستخدامهم في بناء قناة الماء الجارية إلى مكة، وتحديد اسم معلم الحجر الحلبي: فنص الحكم السلطاني: تقوم بتعيين نصر الدين والد المعمار عبد القادر الساكن في محلة بحسيتا بحلب المحمية والذي كان في السابق رئيساً على معلمي الحجر في حلب رئيساً على معلمي الحجر المذكورين وإرساله.(٢)

وتستمر الوثائق العثمانية في العام (٩٧٥هـ) في الأحكام المتعلقة بمستلزمات بناء القناة من إستانبول تحديدا، والمؤرخة في ١٢ رجب ٩٧٥هـ، وبعنوان: الأمر إلى بكلربكي مصر بصرف ما يكفي لمستلزمات بناء القناة من النقود وإيصال

---

(١) مهمة دفتري ٦ ص ٦٠٦ حكم ١٣٤٠؛ مهمة دفتري ٦ ص ٦٠٤ حكم ١٣٣٢، دائرة الأرشيف العثماني التابعة لرئاسة الوزراء التركية. انظر: بيات: البلاد العربية في الوثائق العثمانية، المجلد الثالث، ص٩١-٩٢.

(٢) مهمة دفتري ٥ ص ٤٤٣ حكم ١١٨٨؛ مهمة دفتري ٥ ص ٥٤٥-٥٤٦ الحكم ١٤٩٥؛ مهمة دفتري ٥ ص ٥٤٤ الحكم ١٤٩٢، دائرة الأرشيف العثماني التابعة لرئاسة الوزراء التركية. انظر: بيات: البلاد العربية في الوثائق العثمانية، المجلد الثالث، ص٩٣، ص٨٥، ص٨٧.

المواد المرسلة من إستانبول إلى مكة المكرمة.[١]

وتستمر المصادر التاريخية في حديثها المستفيض عن إجراءات إعمار عين عرفة:

فأول ما بدأ تنظيف بعض الآبار التي يستقي منها الناس و إخراج ترابها ثم بعد الفراغ منها توجه للكشف عنها إلى أعلى عرفات، وكثر تردده إليها وتفطنه لمجاريها ومثاقبها ومشاركها والفحص عن أحوالها وشرع في الكشف عن دبول عين عرفات وضرب أوطاقه[٢] في الأوجر من وادي نعمان في علو عرفات وشرع في حفر قعرها و تنظيف دبولها و كانت مماليكه هم القائمون بهذه الخدمة و هم نحو الأربعمائة و أقام بهذا العمل من الأوجر إلى مزدلفة و كتب نحو ألف نفس من العمال والبنائين والحجارين والقطاعين والنجارين وغيرهم ممن يحتاج إليهم، وأتى بآلات العمارة وصحبها معه[٣] من مصر، من مكاتل ومساحي ومجاريف وحديد وبولاد ونحاس ورصاص وغير ذلك وعين لكل طائفة قطعة من الأرض لحفرها وتنظيف ما فيها من الدبول وكان يظن أنه يفرغ من هذا العمل الذي جاء بصدده فيما دون عام ، إلى أن اتصل عمله بعمل زبيدة إلى البئر التي انتهى عملها إليها، ولم يوجد بعده دبل ولا آثار

---

(١) مهمة دفتري ٧ ص ٢٤٨ حكم ٦٩١، دائرة الأرشيف العثماني التابعة لرئاسة الوزراء التركية. انظر: بيات: البلاد العربية في الوثائق العثمانية، المجلد الرابع، ص٩٠.

(٢) أوطاق أو أوتاق: تعني المخيم والأثاث والمحطة. الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص٦١٧، ح١.

(٣) قطب الدين النهرواني: كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام: ص٣٤٤؛ القطبي: عبد الكريم: إعلام العلماء الأعلام: ص١١٢؛ الطبري: الأرج المسكي، ص٨٤-٨٥؛ العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص١٠١؛ القاضي عيد: رسالة في عمارة العينين عين نعمان وعين حنين، ص٣٩؛السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٣٥٦؛ الغازي: إفادة الأنام، ج٢، ص٣١٤؛ ؛الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص٦١٧؛ إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين، ج١، ص٢١٩.

عمل، وضاق ذرعه بذلك وعلم أن الخطب كبير وأن العمل خطير وتحقق أن القدر الباقي من هذا العمل إنما تركته زبيدة اضطراراً بغير اختيار وعدلت عنه إلى عين حنين وتركت العمل من عند البئر لصلابة الحجر، وصعوبة إمكان قطعة وطول مسافة ما يجب قطعه فإنه يحتاج من بئر زبيدة إلى دبل منقور تحت الأرض من الحجر الصوان، طوله ألفا ذراع بذراع البنائين حتى يتصل بدبل عين حنين، وينصب فيه ويصل إلى مكة ولا يمكن نقب ذلك الحجر تحت الأرض فإنه يحتاج في النزول إلى خمسين ذراعا من العمق وصار لا يمكن ترك ذلك بعد الشروع فيه فما وجد الأمير إبراهيم حيلة غير أن يحفر وجه الأرض إلى أن يصل إلى الحجر الصوان، ثم يوقد عليه بالنار مقدار مائة حمل من الحطب الجزل ليلة كاملة في مقدار سبعة أذرع في عرض خمسة أذرع من وجه الأرض والنار لا تعمل إلا في العلو ولكن تعمل عملا يسيرا جدا من جانب السفل فيلين الحجر من جانب السفل مقدار قيراطين من أربعة وعشرين قيراطا من ذراع فيكسر بالحديد إلى أن يصل إلى الحجر الصلب الشديد فيوقد عليه بالحطب الجزل ليلة أخرى وهلم جرا إلى أن ينزل في ذلك الحجر مقدار خمسين ذراعا في العمق في عرض خمسة أذرع إلى أن يستوفي ألفي ذراع تقطع على هذا الحكم، ورأى أن ذلك يحتاج صبرا ومالاً؛ فأقدم عليه إلى أن فرغ الحطب من جميع جبال مكة فصار يجلب من المسافات البعيدة و غلا سعره وضاق الناس بذلك وتعب الأمير إبراهيم لذلك وذهبت أمواله وخدامه وأولاده ومماليكه، وهو يتجلد على ذلك إلى أن قطع من المسافة ألف ذراع وخمسمائة ذراع بالعمل وصار كلما فرغ المصروف أرسل وطلب مصروفا آخر، إلى أن

صرف أكثر من خمسمائة ألف دينار ذهبا من الخزائن العامرة. وتوفي إبراهيم بيك ناظر العمارة في (٩٧٤هـ).

وتنفرد هنا وثيقة مؤرخة في ٢٤ شعبان ٩٧٥ هـ لتشير إلى الإبلاغ عن تجاوز أمين قناة ماء عرفات إبراهيم بك على أموال المشروع وتعيين ناظر الأموال في مصر أمينًا على القناة وتكليفه بالتحقيق في الموضوع؛ بعنوان: حكم إلى قاضي مكة المكرمة.[1]

وفي أحكام متسلسلة بلغت (١٢) حكمًا بتاريخ واحد هو في ٤ رمضان ٩٧٥هـ، اشتملت إجمالاً على الإمدادات والمساعدات التالية لإنجاز إعمار العين: بحكم إلى بكلربكي مصر: الأمر بتعيين أحد متفرقة مصر من أبناء العرب وهو المعماري يحيى في بناء قناة الماء لامتلاكه الخبرة في مجال البناء، والثانية: تزويد العاملين في قناة ماء عرفات بكمية كافية من الغلال من مخازن مصر وبالسعر الدارج في مصر، والثالثة: السماح للراغبين في العمل في بناء القناة من أهل القلم والجاوشية والمتفرقة ومنتسبي الوحدات العسكرية للالتحاق بالعمل، الرابعة: أن يتم صرف مخصصات جنود مصر العاملين في خدمة قناة الماء التي يتم بناؤها في مكة المكرمة من موارد جدة، الخامسة: الأمر بإعادة استخدام أصحاب الخبرة الذين سبق أن عملوا مع أمين القناة السابق إبراهيم، السادسة: الإبلاغ عن حاجة قناة الماء التي يجري بناؤها في مكة المكرمة إلى ٥٠٠ قنطار زيت الكتان وذلك من أجل إشعاله في الحراق، السابعة: طلب

(١) مهمة دفتري ٧ ص ٣١٨ حكم ٩١٤، دائرة الأرشيف العثماني التابعة لرئاسة الوزراء التركية. انظر: بيات: البلاد العربية في الوثائق العثمانية، المجلد الرابع، ص٩٠.

صرف المخصصات السنوية لأمين قناة ماء عرفات من موارد جدة ، الثامنة: الأمر بمنح أمين قناة ماء عرفات الجراية والعليق شهرياً من مخازن مصر مثلما كان يتم منحهما لسلفه، التاسعة: حكم إلى الأمين في خدمة قناة الماء محمد: من المقرر أن يتم تكريم الأشخاص العاملين عندك في خدمة بناء قناة الماء التي تتولى أمانتها وحسب استحقاقهم وذلك بعد إنجاز الأعمال، العاشرة: الأمر بإعادة تعيين قاسم كاتباً في مشروع القناة مثلما كان في عهد الأمين السابق إبراهيم بك، الحادية عشرة: الأمر باستخدام أحد متفرقة مصر في بناء القناة لكونه خبيراً في مجال علم الهندسة وقياس الميزان، الثانية عشر: الأمر بتكفل بكلربكي مصر بإرسال المستلزمات المادية المتعلقة بمشروع قناة الماء من مصر إلى مكة بواسطة السفن المتوجهة إلى اليمن[(١)].

وتستكمل المصادر التاريخية المكية حديثها عن مجريات وأحداث إعمار العين ، حيث تذكر أن سنجق جدة الأمير قاسم بك أقيم بعد وفاة إبراهيم بك في هذه الخدمة ، بإقامة شريف مكة بالشراكة الشريف الحسن بن أبي نُمي الثاني التي توضح أكثر من الوثائق العثمانية التالية في أن الاختيار لسنجق جدة تم من أمير مكة وانطلق في عمله ومن ثم عُرض ذلك إلى الباب العالي وأمره أن يباشر هذه الخدمة إلى أن يصل من تعينه السلطنة الشريفة لأداء هذه الخدمة وكانت السلطنة الشريفة العظمى قد انتقلت من المرحوم السلطان سليمان خان، إلى

(١) مهمة دفتري ٧ ص ٣٤١حكم ٩٨٠، مهمة دفتري ٧ ص ٣٤١حكم ٩٨١، مهمة دفتري ٧ ص ٣٤١حكم ٩٨٢ ، مهمة دفتري ٧ ص ٣٤١حكم ٩٨٣، مهمة دفتري ٧ ص ٣٤٢حكم ٩٨٤، مهمة دفتري ٧ ص ٣٤٢حكم ٩٨٥ ، مهمة دفتري ٧ ص ٣٤٢حكم ٩٨٦، مهمة دفتري ٧ ص ٣٤٢حكم ٩٨٧، مهمة دفتري ٧ ص ٣٤٢حكم ٩٨٨، مهمة دفتري ٧ ص ٣٤٣حكم ٩٨٩ ، مهمة دفتري ٧ ص ٣٤٣حكم ٩٩٠، مهمة دفتري ٧ ص ٣٥١حكم ١٠١٥، دائرة الأرشيف العثماني التابعة لرئاسة الوزراء التركية. انظر: بيات: البلاد العربية في الوثائق العثمانية، المجلد الرابع، ص٨١-١٠٩.

نجله الأسعد الأمجد السلطان سليم خان فتعين لها من الباب العالي دفتر دار مصر يومئذ محمد بك أكمك جي زاده، وكان من أعيان الأمراء والسناجق الكبراء له عقل تام ورأي ثاقب وصل إلى هذه الخدمة الشاقة وبذل فيها نفسه وماله و أظهر تجمله وتحمله واحتماله، وما بلغ التمام إلى أن وافاه الحمام، و انتقل إلى رحمة اللّه تعالى سنة تسعمائة وست وسبعين (٩٧٦هـ). ثم أقيم في خدمة عمل العين، الأمير قاسم بك المذكور سابقا، سنجق جدة المعمورة أقامه فيها أمير مكة بالشراكة الشريف حسن، وأمره بمباشرة العمل وعرض ذلك على الأبواب الشريفة السليمية،[١] فبرز الأمر الشريف السلطاني باستقرار قاسم بك المذكور في خدمة العين أمينا على مصارفها، فاستمر الأمير قاسم مباشر التعاطي هذه الخدمة فما أراد اللّه تعالى أن يتم العمل الشريف على يد قاسم بك فطرقه الأجل فتوفي سنة تسع وسبعين وتسعمائة(٩٧٩هـ).

وهنا نورد خلاصة وثيقتين عثمانيتين بتاريخ٢٢ جمادى الأولى ٩٧٦هـ؛ تؤكدان وتتطابقان مع المصادر التاريخية في تعيين سنجق جدة قاسم بك في خدمة العين كالتالي: فالوثيقة الأولى: تخاطب أمير جدة مباشرة دون الإشارة لدور أمير مكة المكرمة الشريف حسن في الترشيح والتكليف: حكم إلى أمير جدة قاسم بك: تم الإبلاغ عن سعيك واهتمامك البالغ وحسن أمانتك ونزاهتك في خدمة قناة الماء التي يتم بناؤها الآن في مكة المكرمة، ولهذا فقد تم إسناد الأمور المتعلقة بها إليك. والوثيقة الثانية: حكم إلى محمد بك الذي كان في السابق ناظر الأموال في مصروعين أميناً على بناء قناة الماء في مكة المكرمة:

(١) السليمية: نسبة إلى السلطان سليم الثاني الذي تولى السلطنة بعد وفاة أبيه السلطان سليمان القانوني بتاريخ ٢١/ ٢/ ٩٧٤هـ.

نظراً لكون أمير جدة قاسم، دام عزه، الذي كان في السابق أميناً من العارفين بشؤون خدمة قناة الماء التي يتم بناؤها في مكة المكرمة فقد أسندت الخدمة إليه، وأمرت: عند وصوله، تقطع علاقتك (عن الخدمة) وتعود إلى المحروسة مصر لتكون في خدمة المحافظة.(١)

وهنا تشير المصادر التاريخية المكية، أنه وبعد وفاة قاسم بك أمير جدة، كُلِفَ قاضي القضاة و ناظر المسجد الحرام القاضي حسين ناظرا على ما بقي من عمل عين عرفات إلى أن تصل إلى مكة المشرفة، فتوجه القاضي حسين توجها تاما إلى تكميل ما بقي من عمل عين عرفات باعتبار ما بيده من النظر عليها حسب الأحكام الشريفة السلطانية وعرض على الأبواب الشريفة وفاة قاسم بك وعدم تعطيل العمل إلى أن يأتي أمين لإكمال العمل من الباب العالي فبرزت الأوامر الشريفة السلطانية بأن يكمل ذلك العمل القاضي حسين، فأقدم بهمته العلية أتم إقدام إلى إكمال هذا العمل بالاهتمام التام فساعدته السعادة والإقبال على الإتمام والإكمال فكمّل العمل المبارك فيما دون خمسة أشهر، بعد أن عجز عن إتمامه الأمراء المذكورون قريبا من عشرة أعوام.(٢)

وفي سنة (٩٧٩هـ) برز الأمر من السلطان سليم خان بن سليمان خان ببناء المسجد الحرام جميعه على وجه الإتقان و الإحكام و عين بهذه الخدمة الشريفة؛

(١) مهمة دفتري ٧ ص ٩٠٥ حكم ٢٤٧٨، مهمة دفتري ٧ ص ٩٠٥ حكم ٢٤٧٩ ، دائرة الأرشيف العثماني التابعة لرئاسة الوزراء التركية. انظر: بيات: البلاد العربية في الوثائق العثمانية، المجلد الرابع، ص٨٤-٨٥.

(٢) قطب الدين النهرواني: الإعلام: ص٣٤٦؛ القطبي: عبد الكريم: إعلام العلماء الأعلام: ص١١٣؛ الطبري: الأرج المسكي، ص٨٤-٨٥؛ العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص١٠٢؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٣٥٧؛ القاضي عيد: رسالة في عمارة العينين عين نعمان وعين حنين، ص٤٠؛ أيوب صبري باشا: موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب،ج٢، ص٦٣٢؛الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص٦١٨؛؛ الغازي: إفادة الأنام، ج٢، ص٣١٦؛ الكردي: التاريخ القويم، ج٦، ص٦٩.

أحمد بك و أضيف إليه عمل بقية دبل عين عرفات من الأبطح إلى آخر المسفلة بمكة المشرفة فإن السلطنة أمرت أن يبنى لها دبل مستقل ولا تجري في دبل عين حنين فعينت هذه الخدمة أيضا للأمير أحمد المذكور ووردت الأوامر السلطانية لناظر المسجد الحرام، بدر الملة والدين والقاضي حسين أن يكون الناظر على هذه الخدمة الشريفة ،وقام في ذلك أحسن قيام؛ ووصل لهذه العمارة الشريفة معمار دقيق الأنظار أجمع المهندسون على تقدمه في هذه الصناعة محمد جاوش الديوان العالي، فاتفق الناظر والأمير والمعمار على الشروع في هدم ما يجب هدمه إلى أن يوصل إلى الأساس فشرع أولا في إكمال الدبل المستقل لإجراء عين عرفات وبنائه من جهة المدعا، ثم مر به في عرض خان قايتباي إلى جهة المروة، ثم إلى جهة سويقة، ثم عطف به إلى السوق الصغير وأكمله إلى منتهاه، وبنى قبة في الأبطح جعل فيها مقسم ماء عرفات، وركب في جدره بزابيز من النحاس يشرب منها الماء، ثم بنى مسجدا وسبيلا وحوض ماء للدواب على يمين الصاعد إلى الأبطح في قبلي لبستان بيرم خواجة الصائر إلى المرحومة الخاصكية أم السلاطين، وبنى مسجدا آخر وسبيلا ومتوضأ في انتهاء سوق المعلاة على يسار الصاعد وعرض ذلك على أبواب السلطنة فأنعمت على الأمير المشار إليه بسبعين ألف عثماني ترقيا في علوفته[1] في مقابلة هذه الخدمة.[2]

---

(١) رواتب الجند وأعطياتهم. الطبري المكي: إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، ج١، ص٥٢٧؛ الغازي: إفادة الأنام، ج٢، ص٣١٩، ح١.

(٢) قطب الدين النهرواني: الإعلام: ص٣٩١-٣٩٤؛ القطبي: عبد الكريم: إعلام العلماء الأعلام: ص١١٥؛ الطبري: الأرج المسكي، ص٨٤-٨٥؛ العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص١٠٢؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٣٦٢؛ القاضي عيد: رسالة في عمارة العينين عين نعمان وعين حنين، ص٤٤؛ الطبري المكي: إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، ج١، ص٥٢٧؛الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص٦١٩؛

وعـن تعيين القاضـي حسـين وتكريمـه لإتمـام أعمـال إعمـار العين تـورد الوثيقتين التاليين، الأولى المؤرخة ٢٠ جمادى الأولى ٩٧٩هـ، ذلك: حكم إلى شيخ الحرم المكي القاضي حسين: أبلغ فيها عن كفاءتك بل الوجوه، ونظراً لاعتمادي على تدينك وحسن استقامتك فقد أمرت بتعيينك في خدمة قناة الماء التي يتم مدها إلى الحرم المكي الشريف.(١)

وفي نفس هذه الفترة التاريخية تورد الوثائق العثمانية التالية، الأولى بتاريخ ١١ شوال ٩٧٧هـ: حكم إلى بكلربكي مصر: الأمر بتكريم العاملين مع المشرف على قناة ماء عرفات ممن أبلوا بلاء حسناً في مشروع القناة بمخصصات مالية من خزينة مصر، والثانية بتاريخ ١٠ محرم ٩٧٩هـ: حكم إلى الوزير سنان باشا: أرسل بكلربكي مصر السابق إسكندر، أمر شريف من أستانة سعادتي يقضي بدفع ستين ألف ذهب من خزينة مصر لمستلزمات قناة ماء عرفات. وقد تم تسليم ثلاثة آلاف فلوري من هذا المبلغ من آستانة سعادتي إلى ممثله، وأرسلت سبعة عشر ألف ذهب مع أمير الحج مراد، دام عزه، على أن يتم إبلاغ السبعة عشر ألف ذهب المقررة من مواد جدة إلى عشرين ألف، وتفاصيل أخرى من الحبوب.(٢)

فجرت عين عرفات وانفجرت ينابيعها الجاريات ووصل الماء وهو يجري في الدبول والقنوات إلى أن دخل مكة لعشر بقين من ذي القعدة الحرام سنة

(١) مهمة دفتري ١٦ ص ٢٤-٢٥حكم ٤١، دائرة الأرشيف العثماني التابعة لرئاسة الوزراء التركية. انظر: بيات: البلاد العربية في الوثائق العثمانية، المجلد الرابع، ص٧٦.

(٢) مهمة دفتري ٩ ص ٧٠حكم ١٨٨، مهمة دفتري ١٠ ص ٣٣٥-٣٣٧ حكم ٥٤٩ ،دائرة الأرشيف العثماني التابعة لرئاسة الوزراء التركية. انظر: بيات: البلاد العربية في الوثائق العثمانية، المجلد الرابع، ص٨٤-٨٥.

تسع وسبعين وتسعمائة (٩٧٩هـ)، و كان ذلك اليوم عيدا أكبر عند الناس وزال[1] بوصول ذلك الماء إلى البلد كل هم وبأس وعمل أسمطة عظيمة في الأبطح ببستانه العظيم الأفيح وجمع بين الأكابر والأعيان في ذلك المكان ونصب لهم السرادقات والصيوان وذبح أكثر من مائة من الغنم ونحر عدة من الإبل والنعم، وقدم للناس على طبقاتهم أنواع الموائد والنعم، وخلع على أكثر من عشرة أنفس من المعلمين والبنائين والمهندسين حللا فاخرة، وأحسن إلى باقيهم بالإنعامات الوافرة وتصدق على الفقراء والمساكين شكرا لهذه النعمة الجزيلة، ثم جهز أخبار هذه البشائر العظمى إلى الباب الشريف العالي السلطاني السلطان سليم خان وإلى صاحبة الخيرات بلقيس الزمان حضرة خانم سلطان فأنعمت بالإنعامات الجزيلة على سائر المباشرين والمتعاطين هذه الخدمة الشريفة الجزيلة، وحصل لمولانا شيخ الإسلام المشار إليه ترقيات عظيمة وصارت هذه العين من جملة الآثار الباقية على صفحات الليالي والأيام والأعمال الصالحات الباقية التي لا يفنيها تكرر السنين والأعوام.[2]

---

(١) قطب الدين النهرواني: الإعلام: ص٣٤٩؛ القطبي: عبد الكريم: إعلام العلماء الأعلام: ص١١٤؛ الطبري: الأرج المسكي، ص٨٤-٨٥؛ العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص١٠٢؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٣٥٨؛ القاضي عيد: رسالة في عمارة العينين عين نعمان وعين حنين، ص٤٠؛ صادق: دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج، ص٦٢-٦٣؛؛الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص٦١٩؛؛ الغازي: إفادة الأنام، ج٢، ص٣١٦؛ الكردي: التاريخ القويم، ج٦، ص٦٩.

(٢) قطب الدين النهرواني: الإعلام: ص٣٤٦؛ القطبي: عبد الكريم: إعلام العلماء الأعلام: ص١١٣؛ الطبري: الأرج المسكي، ص٨٤-٨٥؛ العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص١٠٢؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٣٥٧؛ القاضي عيد: رسالة في عمارة العينين عين نعمان وعين حنين، ص٤٠؛ أيوب صبري باشا: موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب،ج٢، ص٦٣٣؛الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص٦١٩؛ إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين، ج١، ص٢٢٠؛ الغازي: إفادة الأنام، ج٢، ص٣١٨؛ الكردي: التاريخ القويم، ج٦، ص٦٩.

وصدرت وثيقة بتكريم القاضي حسين بتاريخ ١٦ ربيع الآخر ٩٨٠هـ حكم إلى القاضي حسين: أرسلت رسالة عرضت فيها عن وصول الماء وبعناية الله من عين عرفات إلى مكة المكرمة، كما أحطنا علماً بكل ما ذكرته. وعليه ونظراً لثبوت مساعيك المشكورة، فقد تم شمولك بمزيد عنايتي السلطانية وزيد مرتبك في مهمة التدريس خمسين آقجة، كما أسندت إليك مشيخة الحرم، وأرسلت إليك خلعتي المفاخرة مع ناصر، وهو من متفرقة مصر، والذي نقل الرسالة إلى سدتي العليا، وأمرت: عند وصوله، تقوم بارتداء الخلعة الفاخرة التي أرسلت إليك.[(١)]

وفي وثيقة مؤرخة ٢٦ ربيع الآخر ٩٨١هـ، يطلب شيخ الحرم المكي منح العاملين في تطهير قناة ماء عرفات نقوداً بدلاً من الجرايات لتأخر وصولها.[(٢)]

قال السنجاري[(٣)]: وجملة ما صرف على ذلك كما رأيته بخط بعض الأفاضل خمسة لكوك وسبعة آلاف دينار، وذلك غير ما صرف على إحضار أرباب الصناعات من الحدادين والحجارين والقطاعين وغيرهم.

ويقدر الكردي[(٤)] التكلفة بقوله: ألّلك كلمة هندية معناها مائة ألف. فيكون جملة ما صرف خمسمائة ألف دينار وسبعة آلاف دينار.

---

(١) مهمة دفتري ١٩ ص ٣٥٣حكم ٧٠٦، دائرة الأرشيف العثماني التابعة لرئاسة الوزراء التركية. انظر: بيات: البلاد العربية في الوثائق العثمانية، المجلد الرابع، ص٧٨.

(٢) مهمة دفتري ٢٢ ص ٢٧٣حكم ٥٣٥، دائرة الأرشيف العثماني التابعة لرئاسة الوزراء التركية. بيات: البلاد العربية في الوثائق العثمانية، المجلد الرابع، ص١٠٧.

(٣) السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٤٥٩.

(٤) الكردي: التاريخ القويم، ج٦، ص٦٩.

ويشار إلى أن ما سبق ذكره هو تقدير المصادر التاريخية، أما الوثيقة العثمانية المؤرخة في ربيع الآخر ٩٨١هـ، تقدير المبالغ المطلوبة لإكمال مشروع قناة ماء عرفات واستصدار سنان باشا أمراً بالصرف على المشروع من موارد ميناء جدة، والأمر إلى بكلربكي مصر بإمداد المشروع بالنقود المطلوبة: تهيئة عشرة آلاف ذهب أيضاً من خزينة مصر لمستلزمات قناة الماء المذكورة، وإرسالها على وجه السرعة، بُغية إكمال قناة الماء وإنجازها في هذه السنة المباركة. إن هذه المسألة مهمة، ينبغي عدم التهاون بها، وتقوم بتأمين عشرة آلاف ذهب بأي حال من الأحوال وإرسالها.[(١)]

وتتضمن الوثيقة التالية المؤرخة في أواخر جمادى الآخرة ٩٨١هـ، لإتمام الأعمال ضرورة إكمال عدد العبيد الذين عينهم سليمان باشا، وتخصص علوفاتهم وقمحهم اللازمين بغية تشغيلهم في خدمة قناة ماء عرفات، وتعمل على منح غيرهم كتاب العتق، ولكن عند منح كتاب العتق تكون على البصيرة، وتحتاط من منع من يستحق كتاب العتق من الحصول عليه ممن سبق أن خدموا في الخدمة ومنح كتاب العتق لمن لا يستحقونه، وينبغي ألا تعدل عن الحق المبين.[(٢)]

ويورد البتنوني معلومات عن القناة فيقول: وينقسم هذا المجرى من البياضية شرقي باب المعلى إلى أربع شعب تتخلل المدينة من جهة إلى أخرى. ويبلغ عرض هذه القناة نحو متر وربع في ارتفاع نحو متر ونصف، وتقرب من سطح

(١) مهمة دفتري ٢٢ ص ٢٩٧حكم ٥٨٦. انظر: بيات: البلاد العربية في الوثائق العثمانية، المجلد الرابع، ص١٠٠.
(٢) مهمة دفتري ٢٣ ص ٨٤حكم ١٧٣. انظر: بيات: البلاد العربية في الوثائق العثمانية، المجلد الرابع، ص٨٧-٨٨.

الأرض وتبعد عنه على حسب ارتفاعها وانخفاضها، ولها خزانات يملأ منها السقاؤون. وفضل ماء زبيدة يسير إلى المسفلة حتى يصب جنوب مكة في بركة الماجن وهناك يستعمل في سقي بعض البساتين والمزروعات التي لبعض الأشراف.(١)

قال الغازي: وفي كتاب «بغية الراغبين» وفي سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة (٩٨٢هـ) حصل تعمير في عيون مكة وآبارها، وبني فيها دار الشفا والحمامات وغير ذلك من الأعمال الصالحة، كل ذلك على يد وزير السلطان مراد خان ووزير أبيه السلطان سليم حضرة محمد باشا، ومن خيراته الدائرة إجراء العيون ومن أعظمها إجراء عين عرفات إلى مكة.(٢)

وبتاريخ ١٢ رجب ٩٨٢هـ، تصل وثيقة عثمانية بتكريم شريفي مكة (الشريف محمد أبونُمي الثاني، وابنه أمير مكة بالشراكة الشريف الحسن بن أبي نُمي الثاني) بخطاب سلطاني إلى الشريف أبي نمي دام سعده: أرسلت رسالة إلى عتبتنا العليا ملاذ العالم ومقام سدتنا السنية أعلمت فيها عن بَذْلِكَ المقدور وسعيك اللامحدود في الخدمات المتعلقة بعين عرفات، فائض البركات، وغيرها من الأمور والمهام الخاصة بالدين والدولة، وبناء على ذلك فقد شملتم بمزيد عواطفي العلية السلطانية وفضائلي السنية الملكية فتمّ تكريمكم بخلعة سلطانية من خلعنا الفاخرة وأُرسلت إليكم، وينبغي: عند وصول الخطاب السلطاني أن تقوموا بارتداء الخلعة التي تبعث على البهجة. مختتماً بعبارة: صورة منه إلى:

---

(١) الرحلة الحجازية، ص٦٦.

(٢) الغازي: إفادة الأنام، ج٢، ص٣١٩؛ الكردي: التاريخ القويم، ج٦، ص٧٠.

شريف مكة المكرمة حسن بن أبي نمي دام سعده.[(١)]

وكما سبق بيانه في المبحث الأول؛ أن مياه عين عرفة تصل من منبعها بالعقم في وادي نعمان إلى الأبطح بمكة المكرمة عبر قناة طولها نحو ٢٤,٨كم وهي مبنية بالحجارة بسعة تتراوح بين ٥٠ - ٦٥ سم وعمق يتراوح بين ٧٠ - ١٧٠سم وفي مواضع أخرى وخاصة في الأماكن التي تختفي فيها عن سطح الأرض بنيت القناة بشكل يمكن الإنسان من السير داخلها لصيانتها وعمارتها. ونظرا لارتفاع موضع منبع العين عن مكة المكرمة؛ استغل ذلك لضمان انسياب المياه طبيعيًا، وأدى إلى اتخاذ أساليب معمارية تتفق وطبيعة الأرض؛ منها: بناء القناة على عمق نحو ٣٤م عن سطح الأرض في وادي نعمان وبناؤها متعلقة بسفوح الجبال في مزدلفة وبداية العزيزية بالنسبة للمتجه منها إلى المسجد الحرام.[(٢)]

من كل ذلك يتضح لنا امتداد تلك القنوات الحجرية من خلف منى وحتى الحرم الشريف عبر حي العزيزية وحي المعابدة والغزة، وتم إيصالها بعين حنين التي تأتي من الشرائع (طريق مكة المكرمة- الطائف السريع) حيث تلتقي مع عين حنين في قناة واحدة عند بستان بنونة (قصر الملك فيصل) المجاور لمبنى إمارة منطقة مكة المكرمة، ووصلت تلك المياه إلى مكة المكرمة سنة (٩٧٩هـ) وقد بني في كل حي من هذه الأحياء خزان حجري يتصل بإحدى القنوات ويتناسب ومساحة المنطقة التي يزودها بالمياه، وغالبا ما يكون تحت

(١) مهمة دفتري ٢٦ ص٢٨١ حكم ٨٠٩. انظر: بيات: البلاد العربية في الوثائق العثمانية، المجلد الرابع، ص٢٥٥.

(٢) غباشي: عادل بن محمد نور: المنشآت المائية لخدمة مكة والمشاعر المقدسة، مركز تاريخ مكة المكرمة، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ج١، ص٢٥٧-٢٦٠.

مستوى سطح الأرض تخزن فيه المياه لتزويد أهل الحي بها ويعرف حتى عهد قريب بالبازان، وبعدها توالى إنشاء بازانات عديدة انتشرت في مكة المكرمة، وبلغ تعدادها نحو ستين بازانا إضافة إلى ثلاثين آخر في منى ومزدلفة وعرفات وأصبحت مياه هذه العيون المصدر الرئيس لسقيا أهل مكة المكرمة.(١)

ويستكمل غباشي(٢) وصفه لقناة العين:.. ومن بازان مزدلفة تسير القناة تحت سطح الأرض متجهة نحو الغرب مارة بوادي النار، إلى أن تصل جبل دقم الوبر، حيث تبدأ بالظهور على سطح الأرض متعلقة بسفح الجبل. وتتجه إلى المفجر سفح جبل ثبير.. وتسير القناة من سفح جبل ثبير ظاهرة فوق سطح الأرض إلى منطقة قريبة من مستشفى الأهلي بالعزيزية، ثم تختفي القناة تحت سطح الأرض متجهة إلى بئر زبيدة.. ومن بئر زبيدة قليلاً نحو الغرب ثم تعدل اتجاهها نحو الشمال، حيث تخترق المنطقة الصخرية التي أمكن تكسيرها، ومد القناة بها عام ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م، وتتجه القناة من بئر زبيدة إلى الأبطح حيث توجد خرزة تجتمع فيها مياه عين عرفه بمياه عين حنين، وفي أثناء سير القناة من بئر زبيدة إلى الأبطح تمر ببازان الجن.. ثم تتجه القناة إلى جهة الششة حيث تغذي بازان القاضي ثم تنعطف منه القناة جهة الشمال الغربي حيث تصب في خرزة بالأبطح وتلتقي بقناة عين حنين... وقد قمت بقياس طول القناة من منبعها الأول إلى الأبطح مستعيناً بأدوات القياس الحديثة، فتبين لي

(١) مهرجي: «العيون المائية في مكة المكرمة»، مجلة المهندس، المجلد (٥)، العدد (٣)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٦١؛ القاضي عيد: رسالة في عمارة العينين عين نعمان وعين حنين، ص٢٢.
(٢) المنشآت المائية لخدمة مكة والمشاعر المقدسة، ج١، ص٢٦٨، ص٢٧٥.

أن القياسات الصحيحة على الوجه التالي: ...طول[1] قناة عرفة من منبعها الأول ببلاد السبحي إلى الأبطح ٣٦,٩٥٠ كم.

بعد هذه الدراسة بين المصادر والوثائق، المختتمة بوصف دقيق لمجرى قناة عرفة من منبعها إلى مصبها؛ يتضح للقارئ حجم هذا المشروع الإعماري الكبير لعين عرفة ومدها إلى داخل مكة المكرمة، والجهود الكبيرة من بشرية ومادية؛ التي بُذلت لإتمامه من كافة الأطراف المحلية والإقليمية.

وثيقة عربية مكية:

ومن باب الوفاء لهذا المشروع الذي كان مبتدؤهُ في عهد السلطان سليمان القانوني، وتمامه في عهد ابنه السلطان سليم الثاني؛ قدم أهالي الحجاز وموظفوها وأعيانها وأشرافها وعلماؤها شكرهم وامتنانهم إلى السلطان. فتُعد هذه الوثيقة التي زينت بصور الأماكن المقدسة رسالة شكر خاصة باسم أهالي الديار المقدسة.[1]

(١) كاغد، مداد، صبغ، ٤٥×١٥٫٨ سم، أرشيف متحف طوب قابي سراي، أ، ٧٧٥٠، النشر: أغجا- أرن، ٢٠٠٨، صفحة ٢٣٥، انظر: مكة المكرمة والمدينة المنورة صور ومقتنيات متحف طُوبقابي، دارة الملك عبدالعزيز- الرياض ١٤٣٦هـ، ص٣٠.

الخاتمة: نتائج وتوصيات الدراسة.

أ) - النتائج:

١. توفر للباحث ما يزيد عن ثلاثة عشر مصدرا تاريخيًا مكيًا، وثلاثة مصادر عن مكة لمؤلف تركي عثماني، وآخرين من ولاية مصر، وعدد وثلاثة وثلاثين وثيقة تاريخية عثمانية، نجد أن الدراسة الحالية قد تمتعت بالثراء والتنوع والغزارة في مادتها العلمية.

٢. اتسمت المصادر التاريخية بالشمولية والاستفاضة في سرد أحداث أعمار عين عرفة.

٣. تقابلها الوثائق العثمانية بالاقتضاب؛ لأنها أحكام وأوامر سلطانية.

٤. استفادت الأحكام السلطانية من الإمكانات البشرية والمادية للبلاد العربية (مصر والشام والحجاز) وسخرتها لإنجاز مشروع إعمار عين عرفة نصًا وحكما، ولكن هذا لا ينفي أهمية التنوع في الخبرات الذي أسهم في إعمار العين وحقق النجاح لهذا المشروع الكبير.

٥. أحيانا تتفاوت التواريخ والتكاليف المالية بين المصدرين.

٦. تبرز المصادر التاريخية المكية أدوار أمراء مكة وقضاتها وأعيانها.

٧. في المقابل يلمس القارئ للوثائق على أن إستانبول هي مصدر السلطات والإنعامات.

ب) - التوصيات: ضرورة تشجيع الباحثين للمزيد من الأبحاث حول مشاريع الإعمار في الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة، وإبراز دور أهل الحجاز في تلك المنجزات.

ثبت المصادر والمراجع:

١. الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبدالله الأزرقي (ت٢٥٠هـ): **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، الطبعة الأولى، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

٢. أيوب صبري باشا(ت١٢٩٠هـ/ ١٨٩٠م): **موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب**، أشرف على ترجمتها: محمد حرب، دار الآفاق العربية- القاهرة، طبعة: (١٤٢٤ه/ ٢٠٠٤م).

٣. البتنوني: محمد لبيب (ت١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨م): **الرحلة الحجازية**، مكتبة المعارف-الطائف، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.

٤. البلادي: عاتق: (ت١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، **معالم مكة التأريخية والأثرية**، دار مكة- مكة المكرمة، الطبعة الثانية، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٥. بيات: فاضل: **البلاد العربية في الوثائق العثمانية**، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية التابع لمنظمة التعاون الإسلامي، IRCICA، إستانبول ٢٠١٤م.

٦. ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤١٥هـ).

٧. رفعت: إبراهيم رفعت باشا، (ت ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٥ م): **مرآة الحرمين**، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، بدون تاريخ.

٨. السنجاري: علي تاج الدين بن تقي الدين السنجاري(ت١١٢٥هـ): **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، تحقيق: ماجدة فيصل زكريا، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

٩. صابان: سهيل: **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض- (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

١٠. صادق: محمد صادق باشا (ت١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م): **دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج**، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - مصر، الطبعة الأولى، (١٣١٣هـ).

١١. صباغ: حسان حلاق وعباس: **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية**، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٩٩م).

١٢. الصباغ: محمد بن أحمد المالكي المكي المعروف بالصباغ: **تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام**، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، الطبعة الأولى، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م).

١٣. الطبري: علي بن عبدالقادر الطبري (ت ١٠٧٠هـ): **الأرج المسكي في التاريخ المكي**، تحقيق: أشرف أحمد جمال، المكتبة التجارية - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، (١٤١٦هـ- ١٩٩٦م).

١٤. الطبري المكي: محمد بن علي بن فضل الطبري المكي (ت١١٧٣هـ): **تاريخ مكة إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن**، تحقيق: محسن

محمد حسن سليم، دار الكتاب الجامعي - القاهرة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

١٥. العصامي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت ١١١١هـ): **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

١٦. الغازي: عبد الله بن محمد الغازي المكي (ت١٣٦٥هـ): **إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام**، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

١٧. غباشي: عادل بن محمد نور: **المنشآت المائية لخدمة مكة والمشاعر المقدسة**، مركز تاريخ مكة المكرمة، (١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م).

١٨. الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت٨٣٢هـ): **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

١٩. الفاكهي: أبي عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي المكي (من علماء القرن الثالث الهجري): **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، الطبعة الخامسة، (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

٢٠. القاضي عيد: القاضي حنيف الدين ابن القاضي محمد المشهور بالقاضي عيد، (ت١١٤٣هـ)، **رسالة في عمارة العينين عين نعمان وعين حنين**، تحقيق: ناصر الحارثي، لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي بمحافظة الطائف، الطبعة الأولى، (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

٢١. قطب الدين النهرواني: محمّد بن أحمد بن محمّد (ت٩٩٠هـ): **كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام**، المحقق: هشام عبد العزيز عطا، المكتبة التجاريّة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢٢. القطبي: عبد الكريم بن محب الدين(ت١٠١٤هـ): **إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام**، تحقيق: أحمد محمد جمال، وعبد العزيز الرفاعي، دار الرفاعي- الرياض، الطبعة الثانية، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٢٣. الكردي: محمد طاهر الكردي المكي (ت١٤٠٠هـ): **كتاب التاريخ القويم لمكة بيت الله الكريم**، مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

٢٤. مهرجي: عبد الله مصطفى، وعمر سراج أبو رزيزة: «**العيون المائية في مكة المكرمة**»، قسم الهندسة المدنية - كلية الهندسة - الملك عبد العزيز، مجلة المهندس، المجلد (٥)، العدد (٣)، (١٤١٢ه/ ١٩٩٢م).

٢٥. الهيلة: محمد الحبيب: **التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي فرع موسوعة مكة المكرمة، الطبعة الأولى، (١٩٩٤م).

الملاحق والصور:

١ . قناة عين عرفة.





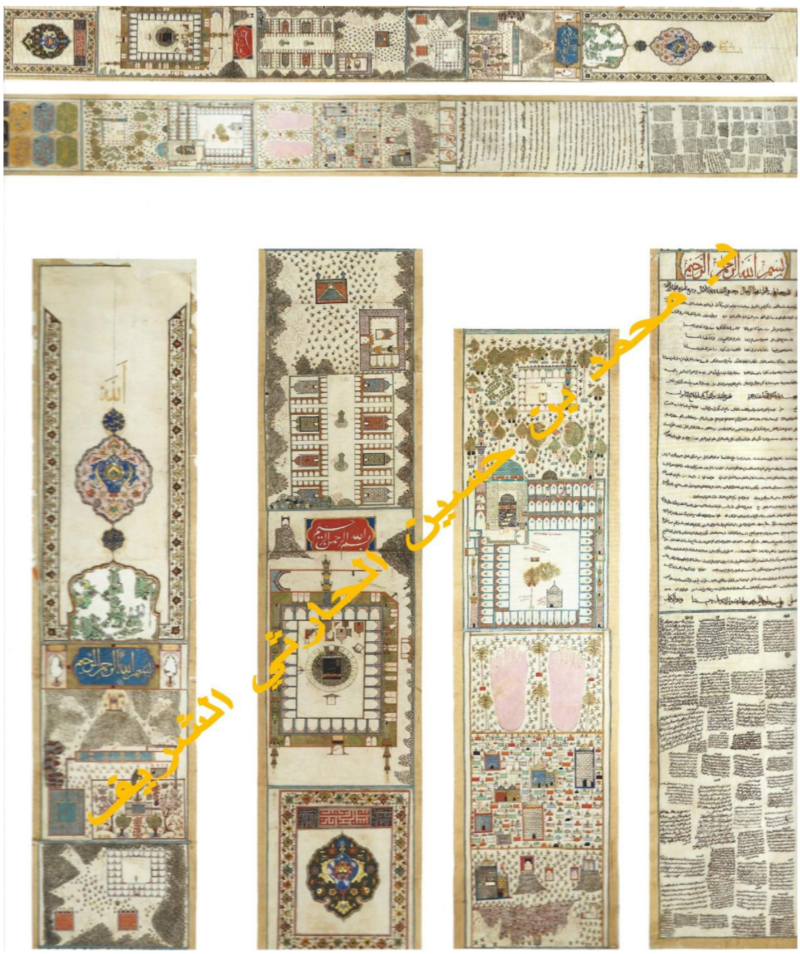
٢ . وثيقة عربية مكية:

يظهر على هذه الوثيقة: النقش تحت جبل عرفة ومسجد نمرة مباشرة هو مشروع المياه. وتظهر في هذه الرسوم أعمال المشروع بشكل واضح؛ حيث تسكب المياه من ١٣ بئراً إلى حوض كبير بشكل يبقي الحوض مملوءاً بشكل

مستمر؛ إذ تُنقل المياه الزائدة عن طريق القنوات إلى حديقة الأشراف التي زينت بالأشجار والأزهار.

وتتضمن رسالة الشكر التي أرسلها أمراء وأعيان مكة المكرمة والمدينة المنورة إلى السلطان توقيعات أشراف الحرمين وأعيانهم.

وتحمل هذه الوثيقة التي يبلغ طولها ٨١٥سنتمتر أهمية تاريخية كبرى من حيث احتواؤها على مناظر مكة المكرمة والمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة في السنوات الأولى من العصر العثماني.



قانون الخَيْف

سُقيا مزارع (آل باز الأشراف الحُرَّث)

بوادي نخلة الشامية (المضيق)

Qanun alkhayf

Watering farms (Al Baz Al-Ashraf Al-Hurith)

B Wadi Nakhleh Alshaamia «Al-Madiq»

نُشرت الدراسة بمجلة جامعة الزيتونة الأردنية

للدراسات الإنسانية والاجتماعية

الملخص

١.الأهمية:

انطلقت فكرة هذه الدراسة من عبارة قصيرة نصها: « على قانون الخيف» وردت في ختام وثيقة تاريخية مهمة بتاريخ شهر ذي القعدة/ ١٢٠٥هـ/ يوليو- تموز/ ١٧٩١م، ثم أَخَذَتْ هذه الفكرة تُلِحُّ على ذهني بإفرادها بدراسةٍ مُستقلةٍ، تُساهم -بتوفيق الله- في حفظ هذا التراث القيم للأجيال .. المستنبط من الفقه الإسلامي، وتفسيره في إطار علمي بحثي. واستخدم الباحث المنهج التاريخي الوصفي التوثيقي. وقُسِّم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

٢. الكلمات المفتاحية: قانون، الخيف، مزارع، النخيل، مكة المكرمة.

Abstract :

- Importance :

The idea of this study started from a short phrase that reads: "On the Law of Fear," which came at the conclusion of an important historical document dated Dhul-Qa'dah
/1205 AH / July-July /1791 AD.

Preserving this valuable heritage for generations, which is derived from Islamic jurisprudence, and its interpretation in a scientific research framework. The researcher used the historical, descriptive, documentary method. The research was divided into an introduction, three chapters and a conclusion.

- Keywords: law, Al-Khayef, farms, palm trees, Makkah Al-Mukarramah.

٣. المقدمة: الأهمية، الأهداف.

٤. مشكلة البحث:

بيان القيمة التاريخية لهذا القانون المائي الزراعي، لتقسيم مياه العيون على مزارع النخيل، ومدى تأصيله الفقهي؛ ليُعدّ إرثًا مهمّـًا لفهم الهويّة الاجتماعية.

٥. الأهمية:

انطلقت فكرة هذه الدراسة من عبارة قصيرة نصها: « على قانون الخيف» وردت في ختام وثيقة تاريخية مهمة بتاريخ شهر ذي القعدة/ ١٢٠٥هـ/ يوليو- تموز/ ١٧٩١م، (للشريف باز بن محسن الحارث) جد فرع (فخذ)آل باز المعاصرين؛ ثم أخَذَتْ هذه الفكرة تُلِحُّ على ذهني بإفرادها بدراسةٍ مُستقلةٍ، تُساهم-بتوفيق الله- في حفظ هذا التراث القيم للأجيال.. المستنبط من الفقه الإسلامي، وتفسيره في إطار علمي بحثي.

فالتراث هو كل ما خلفه الأجداد للأبناء، وبمعنى آخر ما ورَّثَته الأجيال السالفة للأجيال الحالية؛ ذات القيم التاريخيّة أو الثقافيّة تستحقّ أن يُحَافظَ عليها، وتُعدّ إرثًا مهمّـًا لفهم الهويّة، وتُساعد في تكوين الذاكرة الاجتماعية الجماعية.

٦. أهداف الدراسة:

١. حفظ هذا التراث (قانون الخيف) القيم للأجيال، وتفسيره في إطار علمي بحثي.

٢. التعريف بالموقع الجغرافي «لوادي نخلة الشامية» التاريخي.

٣. التأصيل الشرعي من الفقه الإسلامي لتقسيم حقوق المياه بين الشركاء،

وتنظيم التعامل بمصادرها وكيفية تنظيم الأدوار المائية بين الشركاء، بما عُرف «بحق الشِّرْب ـ الارتفاق» في الفقه الإسلامي.

*** منهج البحث:**

استخدم الباحث المنهج التاريخي الوصفي التوثيقي، حيث قام بتتبع الظاهرة التاريخية، وتحليلها، بالمنهج الوصفي التوثيقي الذي استند على دراسة عدد من الصكوك والحجج الشرعية والوثائق التاريخية؛ استقراءً وتحقيقًا. وقد قُسِّم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

*** الإطار التاريخي والجغرافي للدراسة:**

هذا القانون المائي الزراعي مُطبق في الوادي أسوة بباقي مزارع أودية وقرى وأرياف وسط وشمال الحجاز خاصة في (القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين / القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين) تقريبًا، حتى تم سحب عين وادي المضيق عام ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م إلى مدينة مكة المكرمة، لحاجة سكانها وحجاج وعمار بيت الله الحرام لهذه المياه.

*** الدراسات السابقة أو المثيلة:**

لم تمر بي ـ حسب اطلاعي ـ دراسة علمية مفردة عن «قانون الخيف»، إلا أن نظام تقسيم مياه العيون، بدون مسمى « قانون الخيف» أو اختفاء هذا المسمى ولم يعد معروفًا، كما هو موجودٌ ومعمولٌ به في «وادي المضيق»، موجود كذلك ومعمول به في عيون ومزارع وخيوف «وادي فاطمة»[(١)] ويمتلك جُل مزارع هذا

---

(١) وادي فاطمة، ويسمى قديمًا (مر الظهران) ، الواقع شمال مكة المكرمة بـ ٢٤كم، من أكبر أودية الحجاز، ويسمى وادي الشريف، ووادي فاطمة قاعدته اليوم «الجموم». انظر عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر والتوزيع -مكة، ومؤسسة الريان- بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ/ ١٩٨٢م، ج٨، ص١٥٥٦.

الوادي عدد من قبائل الأشراف الحسنيين، ووثق تلك التقسيمات في جداول الباحث «الشريف أحمد ضياء العنقاوي»، كملاحق أثناء تحقيقه لكتاب (حُسْن القِرَى في أودية أم القُرى) لجار الله بن فهد(ت ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م) ، زوده بها بعض ملاك المزارع والخيوف من الأشراف الحسنيين.

وكذلك ما سجله باقتضاب أحد الرحالة الأجانب من مشاهداته لبعض قرى الحجاز وهو « تشارلز داوتي» دون أن يذكر هذا المسمى، ومقالات صحفية لبعض أبناء محافظات وقرى وسط وشمال الحجاز (غرب المملكة العربية السعودية) عن قانون الخيف (نظام تقسيم مياه العيون) في مزارعهم في بلدتي خيبر والعُلا وغيرهما.

٤ . خطة البحث:

١ . **المقدمة**: المشكلة، الأهمية، الأهداف، المنهج:

٢ . **المبحث الأول**:

أ) – وادي نخلة الشامية (المضيق).

ب) – عين البردان وعين التنضب.

٣ . **المبحث الثاني**: «حق الشِّرْب ومشروعيته» ارتفاق المياه في الفقه الإسلامي.

٤ . **المبحث الثالث**: قانون الخيف (مزارع آل باز من « الأشراف الحرث») أنموذجًا.

٥ . **الخاتمة**: نتائج وتوصيات الدراسة.

٦ . **الملاحق والصور**.

٧. **المصادر والمراجع**.

المبحث الأول

أ) - وادي نخلة الشامية (المضيق)

ب) - عين التَّنْضُب وعين البَرَدَان

أ) - وادي نخلة الشامِيّة (المضيق):

الشاميةُ وادٍ ينصبّ من الغمير، وهي «ذات عرق»[(١)] - التي يعلوها طريق البصرة وطريق الكوفة - وأما أعلى نخلة ذات عرق فهي لبني سعد بن بكر الذين أرضعوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهي كثيرة النخل وأسفلها «بستان ابن عامر»[(٢)]، ومجتمع واديي اليمانية والشامية (البستان)، وهو بين مجامعهما فإذا اجتمعا كانا واديا واحدا.[(٣)]

والامتداد الغربي لوادي الشامية يُعرف بوادي المضيق، وهو الجزء الغني بالمياه، وتقع مزارعه على ضفتي الوادي الجنوبية والشمالية.

ويعرّف جار الله ابن فهد (ت ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م) نخلة الشامية: يقال لها المضيق الأعرج وبستان ابن عامر، ويذكر: إن وادي نخلة كان للطلحيين،[(٤)]

---

(١) ذات عرق « الضريبة»: هي ميقات حجاج العراق لمكة المكرمة.

(٢) «بستان ابن عامر» عند ملتقى النخلتين (الشامية واليمانية)، وهي قرية «أم الضيمران»، في أسفل وادي نخلة الشامية (المضيق).

(٣) ياقوت: أبوعبدالله ياقوت الحموي البغدادي الرومي: (ت ٦٢٦هـ). معجم البلدان، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، دار صادر، بيروت. ج٥، ص٢٧٧؛ البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ، ج٤، ص١٣٠٤.

(٤) الطلحيين: بطن من تيم بن مرة من قريش؛ القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العلمية-بيروت، ص٢٩٦؛ انظر: ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ): جمهرة أنساب العرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص١٤٠؛ السويدي: أبي الفوز محمد أمين البغدادي (ت ١٢٤٦هـ): سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، مكتبة دار حراء- جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص١٨٩.

عمروها قبل أيام بني أمية، ثم أخذه بعدهم بنو العباس، ثم صارت أول المئة السادسة لهُذيل.(١)

ورد في كتاب المناسك: أن بوادي المضيق قصرًا للخليفة العباسي مبنيا بالساج والذهب، وقصور وبساتين لعدد من بني العباس.(٢)

ويعرّف العلامة المؤرخ عاتق البلادي (ت١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م) نخلة الشامية: بأنها وادٍ فحل من أودية الحجاز، وهو أحد رافدي مر الظهران العظيمين (النخلتين) يأخذ وادي نخلة هذا أعلى مساقط مياهه من الجهة الشرقية لجبل الحَبَلَة الضخم، ومن الجهات الغربية لجبل الغُمير المشرف على الطائف من الغرب، ويسمى الوادي هناك وادي الغديرين، وله شعبتان يمنى وتسمى الخُشّ، ويسرى وتسمى وادي السَّرب، فإذا اجتمعا سمي وادي الغديرين، فإذا قطعه طريق مكة سمي وادي المَحْرم، لأن الناس يحرمون فيه، وهو ميقات(٣) من جاء على هذا الطريق، فإذا انحدر سمي قَرْنـًا، حتى يقطعه طريق مكة إلى الرياض فيسمى السيل الكبير، فإذا انحدر قليلاً سُمّي بعْجـًا، فإذا اجتمع به حراض من الغرب سمي حُراضـًا، ثم ينحدر شمالاً غربيـًا حتى يأتيه وادي الزرقاء من الشرق فيسمى وادي المضيق أو وادي الليمون، كل هذا نسبةً إلى عين في وسطه

(١) حُسن القرى في أودية أم القرى، تحقيق: الشريف أحمد ضياء العنقاوي، دار القاهرة - مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص٢٨٨.

(٢) الحربي: الإمام أبو إسحاق: المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق: حمد الجاسر، الرياض، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م، ص٣٥٤.

(٣) ميقات: للحجِّ مَواقيتُ مكانيَّةٌ يُحرِمُ منها الحاجُّ، وله أحكامٌ جاء تَفصيلُها في سُنَّةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. فقد وقَّتَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لأهْلِ المَدِينَةِ ذَا الحُلَيْفَةِ، ولِأَهْلِ الشَّأْمِ الجُحْفَةَ، ولِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَ المَنَازِلِ، ولِأَهْلِ اليَمَنِ يَلَمْلَمَ، هُنَّ لهنَّ، ولِمَن أتَى عليهنَّ مِن غيرِهِنَّ مِمَّنْ أرَادَ الحَجَّ والعُمْرَةَ، ومَن كانَ دُونَ ذلكَ، فَمِنْ حَيْثُ أنْشَأَ حتَّى أهْلُ مَكَّةَ مِن مَكَّةَ. صحيح البخاري، رقم (٢٥٧٢٩).

(عين البردان)، ثم ينحدر فيجتمع مع سيل نخلة اليمانية فيسمى وادي الزبارة.[(١)]

واتُخِذَ وادي الشامية بامتداده الغربي (المضيق) دربـًا للحاج العراقي، والذي عُرف بدرب زُبيدة،[(٢)] وشكل المضيق، إحدى محطات هذا الدرب الشهير. فمن خلال المسح الأثري وجد أن آثار هذا الدرب تمتد على مسافة أربع كيلومترات، وتقع المحطة عند خطي ٢١ ْ ٤٠/ شمالاً و٤٠ ْ ٨/ شرقًا على بعد (٥) كم شمال شرقي قرية سالة (وتنطق أيضـًا سولة)، وعلى المنحدر الشرقي لامتداد وادي الشامية، حيث يضيق ليتراوح عرضه بين (٢٠٠) و (٥٠٠)م. أما الجانب الغربي من الوادي فإنه يضم بعض أجزاء بسيطة من الجدران، ويحتوي الموقع على بركة بمنطقة الشعبة التي تبعد حوالي (٥٠٠)م شرقي الطريق، كما توجد بقايا بركة أخرى في منطقة «إمباتا»(نباتة) عند منعطف الوادي والتقائه بوادٍ صغير يسمى «مر».[(٣)]

ويذكر جار الله بن فهد: أن في عهد الشريف قتادة بن إدريس الحسني أمير مكة[(٤)] بني في هذا الوادي بناء ما بقي منه على شكل جدار حجري ضخم ممتد

---

(١) معجم معالم الحجاز، ج٩، ص١٧٣٢.

(٢) درب زبيدة: «طريق الحج الكوفي» يمتد من مدينة الكوفة في العراق وصولاً إلى مكة المكرمة، وسمّي بذلك نسبة للسيدة زبيدة بنت جعفر زوج الخليفة العباسي هارون الرشيد، وذلك نظير الأعمال الخيرية التي قامت بها، إضافة إلى المحطات العديدة التي أمرت بإنشائها على امتداد الطريق، وكان درب زبيدة من الطرق التجارية قبل الإسلام وازدادت أهميته مع بزوغ فجر الإسلام، وشهد الطريق المزيد من الاهتمام وازدهر خلال عصور الخلافة الإسلامية المبكرة. وبلغ الدرب ذروة ازدهاره خلال الخلافة العباسية ١٣٢ -٦٥٦هـ/ ٧٥٠ -١٢٥٨م، عندما تم تحديد الطريق ورصفه كما تم إنشاء محطات الطريق وحفرت الآبار والبرك وأقيمت السدود وبنيت المنازل والدور. انظر: لمزيد من التفاصيل حول محطات الدرب: أطلال: حولية الآثار العربية السعودية،» مشروع استكشاف درب زبيدة، العدد الثاني،١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف.

(٣) أطلال: حولية الآثار العربية السعودية، العدد الثاني، ص٦٤-٦٥.

(٤) الأمير الشريف قتادة بن إدريس الحسني، (٥٢٧ - ٦١٧هـ/ ١١٣٢ - ١٢١٩م) أبو عزيز الينبعي المكي حاكم مكة في القرن السادس الهجري بعد أن قضى على دولة الهواشم وحكم مكة (٢٠) عاما، حتى مات سنة (٦١٧) هـ؛ مؤسس الطبقة الرابعة من أمراء مكة المكرمة الأشراف، التي حكمت الحجاز حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري/ العشرون الميلادي. انظر: الحارثي: الشريف محمد بن حسين، الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف، مؤسسة الريان- بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص١١٧-١١٨.

في بطن الوادي بالقرب من جبل البسيط، تساقطت بعض أجزائه، ليمكس[(١)] عنده حجاج العراق، ويضيف ابن فهد قائلاً: «لكن في الوادي جملة خيوف خضرة نضرة، بين جبلين طويلين، مبارك لأهلها في زرعها وثمارها، أعلاها وادي البردان ثم التنضب، وبسره -بشرا-، وخيف بني عمير، وكان في كل منها عين غزيرة ومزارع شهيرة، ثم خرب الأخيران وبقي البردان والتنضب عامران»[(٢)].

ويصف إبراهيم رفعت[(٣)] «وادي المضيق» لدى مروره به في أواخر شهر ذي الحجة عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م بقوله: «ويحتوي هذا الوادي على بيوت في أحضان الجبال وحدائق ذات بهجة بها النخيل والليمون والبطيخ والخيار والبامية والقطن الذي يرتفع نحو مترين وفتلته كالحرير، ولبعض الحدائق أسوار بنيت من الحجارة الصماء ذات اللون الأزرق والحجم الكبير غير أنها متهدمة وتوجد بها آثار أبنية قديمة تدل على أنه كان لهذه الجهة شأن في سالف العصور.[(٤)] وبهذا الوادي قناة بنيت بالحجارة والملاط المتماسك عمقها ثلاثة أرباع المتر وعرضها ستة أعشاره وعمق الماء في قاعها (٥٠) سم وماؤها عذب فرات صاف كأنه مقطر يجري ليلا نهاراً صيفاً وشتاءً ولكنه ينتهي في الآخر

---

(١) م ك س: مَكَسَ في البيع من باب ضرب و ماكَسَ مُماكَسَةً و مِكاساً و المَكْسُ أيضا الجِباية و الماكِسُ العَشَّار و المَكْسُ أيضا ما يأخذه العَشَّار. انظر: مختار الصحاح للرازي، ص٢٦٣؛ والمَكْسُ: الضَّريبةُ يأْخذها المُكَّاس ممَّن يدخل البلد من التُّجّار، والجمع: مُكُوسٌ. انظر: المعجم الوسيط، ص٨٨١.

(٢) حُسن القرى في أودية أم القرى، ص٢٨٨، والمقصود (خرب الأخيران) ظاهر قول ابن فهد، هو نضوب العيون في ذلك الوادي، ولم يتبقى منها إلا عينا التنضب والبردان فقط، في زمانه في القرن العاشر الهجري، ونضبت عين التنضب من أكثر من ١٠٠ عام.

(٣) اللواء إبراهيم رفعت باشا (ت١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م) أمير ركب الحج المصري وصف في كتابه رحلة الحج لعام ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م.

(٤) العبارة نصاً لإبراهيم رفعت.

إلى الصحاري حيث تستشفه ولا تشكر بالإنبات، فلو أنه حول حيث ينبت الزرع والأشجار لأجدى ذلك عظيم الإجداء؛ وهذه القناة تسير نحو الشرق في سفح الجبل على مدى بعيد قطعناه في نصف ساعة وجزء كبير من أبنيتها متهدم، وقد سألت شيخاً هرماً عن أصل هذه القناة فأخبرني أنها تأتي من عين[1] في قاع بئر غؤور في أرض صلبة بلغ عمقها (٢٠) قامة وغطيت بالأحجار فوقها الأتربة ثلاث قامات أخرى ولا تكشف هذه العين إلا إذا أريد إجراء عمارة بها وهي على يمين السالك نحو يثرب. وبوادي الليمون «سوق» باعته من مكة فيه اللحوم والأرز مطبوخة وغير مطبوخة، وبه الخيار والقثاء والبطيخ والكراث والعيش والجبن والبصل الأخضر والجاف والإبل والغنم وغير ذلك أزواجاً شتى»[2].

من ذلك يتبين لنا أن «وادي المضيق» شكل في القرن الرابع عشر الهجري ـ العشرين الميلادي ـ قاعدة زراعية كبيرة، ومورداً مهماً من موارد منطقة مكة المكرمة الغذائية حتى عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م؛ فمن أبرز منتجاته الزراعية التمور بأنواعها الشهية وأصنافها ومسمياتها المختلفة، (كالسُكري، والحمْري، والخُضري، واللُبان، والمُشوك، والمتلبنة، وغيرها)، كذلك أنتجت مزارع المضيق على حافتي الوادي الشمالية والجنوبية، الأنواع العديدة والمتنوعة من الخضروات، وكذلك بعض الحبوب والفواكه[3]. كما أُشتهر المضيق بزراعة

(١) العبارة نصاً لإبراهيم رفعت.

(٢) مرآة الحرمين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج١،ص٣٧١-٣٧٢.

(٣) الحبوب: كالذرة الصفراء والبيضاء، والفواكه: كالبطيخ (الحبحب)، والخربز (الشمام) في مواسم معينة، ولكن بكميات قليلة.

أشجار الليمون؛ حتى سُمي في فترة متأخرة «وادي الليمون» لكثرته ولذة طعمه وزكاوة رائحته، ويسمى هذا النوع من الليمون بـ «ابن زهير»[1].

وأيضًا وقُبيل سحب مياه عين المضيق (البردان) النصف الثاني بعدة سنوات انتشرت زراعة أشجار فاكهة «البابايا»، الذي يُنطق محليًا بـ « البمبي».

ب) التنضب والبردان:

- التَّنْضُب:[2]

بالفتح ثم السكون، وضم الضاد المعجمة، والباء موحدة: قرية من أعمال مكة بأعلى نخلة، فيها عين جارية ونخل.[3]

وأما عين التَّنْضُب فقد أشار جارالله بن فهد إلى أن هذه العين - كما نقل عن والده - كانت لورثة محمد بن علي بن أبي طالب[4] الشهير بابن الحنفية،[5] ويضيف ابن فهد قائلاً: « وبقي -عينا- البردان والتنضب عامران».[6]

---

(١) الحارثي: الشريف محمد بن حسين، الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف، ص٣٠١.

(٢) التَّنْضُبُ في الأصل مسمى شجر بري حجازي ويقول عنه ابن منظور: التَّنْضُبُ: شَجَرٌ ينبت بالحجاز، وليس بنجدٍ منه شيء إلا جزعة واحدة بطَرَفِ ذِقانٍ، عند التُّقَيِّدة، وهو ينبت ضخمًا على هيئة السرح، وعيدانه بيض ضخمة، وهو محتظر، وورقه متقبض، ولا تراه إلا كأنه يابس مغبر وإن كان نابتًا، وله شوك مثل شوك العوسج، وله جنى مثل العنب الصغار، يؤكل وهو أحيمر. انظر: لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت. ج١، ص٧٦٣.

(٣) ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٣٧٥؛ الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي: (ت ٨٣٢هـ). شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، المشرف على التحقيق: سعيد عبد الفتاح، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ج١، ص٦٦-٦٧.

(٤) حُسن القرى في أودية أم القرى، ص١٩٦.

(٥) ابن الحنفية: هو محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، توفي سنة (٨١ه)، ودُفن بالبقيع، وله خمسة وستون سنة، وقد كان عَقِبُهُ سنة (٢٢٧هـ) من الذكور (٢٥)، ومن الإناث (٣٥) امرأة. انظر: أبونصر البخاري: سر السلسلة العلوية، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٢م - ١٣٨١هـ، ص (٨٠ - ٨٧).

(٦) حُسن القرى في أودية أم القرى، ص٢٨٨.

ويبدو أن هذه العين كانت جارية في مزارع وادي المضيق حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري، بما يوافق أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، كما وردت الإشارة إلى ذلك في بعض وثائق الأشراف آل باز، ثم نضُبت ولم تعد تجري، ولكن مازال لها مجرى (دبل) أي قناة أرضية.(١)

- البَرَدَانُ:

بالتحريك: عين بأعلى نخلة الشامية من أرض تهامة، قال نصر: البَرَدَانُ جبل مشرف على وادي نخلة قرب مكة، وفيها قال ابن ميّادة:

ظلّت بروض البَرَدَان تغتسل ... تشرب منها نهلات وتعل(٢)

وورد في حُسنِ القِرى: « البَرَدَانُ » علو وادي نخلة الشامية، وورد في الحاشية «وبهامش الأصل: «البردان»: مشهورة بعين المضيق، وكان يملك غالبها الأشراف الحُرَّث، ثم انتقل بالشراء للعبادلة وذوي زيد،(٣) وبه قريتان للحُرَّث ونباتة من هُذيل».(٤) ويضيف ابن فهد قائلاً: «لكن في الوادي جملة خيوف خضرة نضرة، بين جبلين طويلين، مبارك لأهلها في زرعها وثمارها، أعلاها وادي البردان ثم

(١) الحارثي: الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف، ص٤٨٣.

(٢) ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٣٧٥.

(٣) ذكر لي «مالك بن محمد الحكمي» في رسالة نصية هاتفية: أنه بسؤال بعض كبار السن من قبيلته عن عين المضيق (المقصود: عين البردان فقط) ومن يشترك في وجابها (مفردها وجبة): بأن وجاب العين يشترك في تملكها: ذوي (آل) باز وذوي (آل) حمزة من الأشراف الحُرَّث فقط، وقبيلة الحكمان (بنو الحكم)، والأشراف ذوي (آل) عون العبادلة، والأشراف آل غالب. والنباتي (من هُذيل) له مقدار ساعة ونصف فقط. والآخرون من سكان الوادي ليس لهم حق في وجاب عين المضيق. نقلاً عن: محيل بن سعود الحكمي، والأستاذ تركي بن عايش الحكمي.

(٤) جار الله بن فهد: حُسن القرى في أودية أم القرى، ص١٨٣ - ١٨٤؛ وانظر الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٦٦ - ٦٧.

التنضب، وبشر، وخيف بني عمير، وكان في كل منها عين غزيرة ومزارع شهيرة، ثم خرب الأخيران وبقي البردان والتنضب عامران»[(١)].

واستمرت مياه عين البَرَدَان تتدفق وتجري - بكامل طاقتها الإنتاجية - لسقيا مزارع وادي المضيق، حتى عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م سُحِبَ النصف الأول من هذه العين التاريخية، واستُكمل السحب الثاني بعام١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، فانقطعت مياه العين عن الجريان لسقيا المزارع نهائيًا حتى يومنا الحاضر.

ففي عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ؛ صدر الأمر بشراء نصف حصة عين البردان بالمضيق ونصف حصة عين سولة وجلبهما إلى مكة المكرمة وذلك بنظام الوجبات المتبع ثم بعد ذلك شراء باقي الحصص بالكامل، وبلغت القيمة الإجمالية لشراء العينين وسحبهما إلى مكة المكرمة (١٤,٩٥٠,٠٠٠) أربعة عشر مليونًا وتسع مئة وخمسين ألف ريال وذلك في عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، وبلغت كمية المياه المستفادة منها (١,٠٠٠,٠٠٠) مليون جالون يوميًا.[(٢)]

وسُحِبَ النصف الثاني من مياه عين المضيق «البَرَدَان» في عهد الملك خالد بن عبد العزيز، عام ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، لمصلحة مياه مكة المكرمة، لسقيا الحجاج، وتنقل عبر خطوط أنابيب بطول ٦٠ كم، وأقطار «٨٠٠ ملم و٣٠٠ملم»، وفي عام ١٣٩٨هـ بلغ تصريف عين المضيق ١٣٠٠م٣ يوميًا.[(٣)]

---

(١) حُسن القرى في أودية أم القرى، ص٢٨٨.

(٢) فيروزي: هاني ماجد، مياه مكة المكرمة في العهد السعودي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ص٣٢. (والجالون أو الغالون وحدة قياس للسوائل تبلغ ٤،٥ لتر في المملكة العربية السعودية)، وأجرت قياس وحساب الكمية المطلوبة من المياه (إدارة مصلحة المياه بمكة، وبأمر ملكي سُحبت مياه عيني واديي المضيق وسولة، كما تم بيانه في متن الدراسة أعلاه.

(٣) الحارثي: الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف، ص٣٠٣.

المبحث الثاني

حق الشِّرْب ومشروعيته

ارتفاق المياه في الفقه الإسلامي

١. حق الشِّرْب:

الماء من نعم الله، التي أفاض بها الله سبحانه علينا وعلى الكون بأسره، وبيان ذلك في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[(١)]، فالماء هبة إلهية وعطية ربّانية، ورد ذكره في القرآن الكريم ثلاثًا وستين مرة، فهو أساس الحياة.

أما الارتفاق فعند الفقهاء مأخوذ من معناه اللغوي، وهو معنى الانتفاع والفائدة. وقد ورد أن كلمة ارتفاق ومتعلقاتها في استعمال الفقهاء في مواضع عديدة في إرادة معنى الانتفاع.[(٢)]

والشِّرْب في اصطلاح الفقهاء يوافق معناه اللغوي أيضًا، وقد عرفه السرخسي بقوله: « اعلم بأن الشرب هو النصيب من الماء للأراضي كانت أو لغيرها».[(٣)] وعرّفه بن عابدين بقوله: « وشرعًا نوبة الانتفاع بالماء، أي وقته وزمانه. وهو معنى لغوي أيضًا».[(٤)]

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص١١٨؛ الرازي، مختار الصحاح، ص٢٦٧.

(٣) المبسوط: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣هـ) ، دار المعرفة - بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ج٢٣، ص١٦١.

(٤) ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت ١٢٥٢ هـ) ، حاشية رد المحتار على الدر المختار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (وصورتها دار الفكر - بيروت) الطبعة: الثانية، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م، ج ٦ ، ص ٤٣٨.

ومعنى حق الشرب: الشِّرْب (بكسر الشين المشددة) في اللغة: النصيب من الماء، قال صالح عليه السلام فيما قصه الله في القرآن: ﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[1] ويطلق أيضاً على زمن الشرب. ويستعمله الشرعيون في المعنيين؛ فالشِّرْبُ في الشرع: النصيب من الماء لسقي الزرع والأشجار، وقد يستعمل في نوبة الانتفاع بالماء أو زمن الانتفاع لسقي الشجر أو الزرع.[2]

ومن أنواع الشِّرْب: ماء العيون والآبار والحياض: وهو الذي يستخرجه الشخص لنفسه: وحكمه عند الحنفية[3]: أنه ليس بمملوك لصاحبه، بل هو مُباح في نفسه ولصاحبه حق خاص فيه، سواء أكان في أرض مُباحة، أو مملوكة؛ لأن الماء في الأصل مباح لجميع الناس.[4]

وبين الفقيه الزُّحيلي: أن حق الشِّرْب يورث، وتصح الوصية بالانتفاع به، حتى عند الحنفية، الذين يرون عدم توارث الحقوق والمنافع إلا ما استثني، ويجوز بيعه تبعاً للأرض، لا مستقلاً منفرداً عنها عند الحنفية؛ لأنه مجهول الكمية، وبيع المجهول لا يصح لما فيه من الضرر أو الظلم، ولأن الحقوق عند الحنفية ليست بمال متقوم في ظاهر الرواية، فلا تقبل الإفراد بالبيع أو الهبة أو الإجارة أو التصدق بها.[5]

---

(١) سورة الشعراء، آية رقم (١٥٥).

(٢) الزُّحيلي: وهبة: الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر - سورية - دمشق الطبعة الرَّابعة، ج٦، ص٤٦٦١.

(٣) القضاء السائد في الحجاز (لدى حكومة أشراف مكة المكرمة تحت الإدارة العثمانية) على الفقه الحنفي، حتى دخول الحجاز تحت الحكم السعودي عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م.

(٤) الزُّحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، ج٦،ص٤٦٦٢.

(٥) الفقه الإسلامي وأدلته، ج٦،ص٤٥٢.

٢. مشروعيته:

لقد ثبتت مشروعية حق الشِّرْب بالقرآن ومن ذلك قوله عز شأنه: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[(١)]، ووجه الدلالة: في الآية الكريمة، دلالة على جواز قسمة الشرب بالأيام لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخبر عن نبيه سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام قبل ذلك، ولم يعقبه، بالنسخ فصارت شريعة لنا مبتدأه[(٢)].

وقد وردت آثار تبين قسمة الشرب منها ما روي عن الضحاك بن خليفة أنه ساق خليجا[(٣)]، له من العريض، فأراد أن يمر به في أرض محمد بن مسلمة فأبى محمد، فقال له الضحاك: لم تمنعني وهو لك منفعة، تشرب به أولا وآخرا ولا يضرك فأبى، محمد فكلم فيه الضحاك عمر بن الخطاب، فأمر عمر محمد بن مسلمة أن يخلي سبيله فقال محمد: لا، فقال عمر: لم تمنع أخاك ما ينفعه وهو لك نافع تسقي به أولا وآخرا، وهو لا يضرك، فقال محمد: لا والله، فقال عمر: «والله ليمرن به ولو على بطنك» فأمره عمر أن يمر به ففعل الضحاك»[(٤)].

---

(١) سورة الشعراء، آية رقم (١٥٥).

(٢) علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي (٥٨٧هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط١، المكتبة الحبيبية، باكستان، (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)، ج٦، ص١٨٨؛ لمزيد من التفاصيل: انظر: حقوق الارتفاق المتعلقة بالمياه في الشريعة الإسلامية – دراسة فقهية مقارنة، د. جابر إسماعيل الحجاحجة، وإبراهيم أحمد أبو العدس «المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية»، المجلد السادس، العدد (٤)، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠م، ص٦.

(٣) أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (٥٤٤هـ-٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الأثر، تحقيق طاهر الزاوي وآخرون، الناشر المكتبة العلمية، بيروت، سنة النشر (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، ج٢، ص١٣٨؛ حقوق الارتفاق المتعلقة بالمياه في الشريعة الإسلامية – دراسة فقهية مقارنة، د. جابر إسماعيل الحجاحجة، وإبراهيم أحمد أبو العدس، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠م، ص٦.

(٤) مالك بن أنس: الموطأ رواية يحيى الليثي الأندلسي، كتاب الأقضية، القضاء في المرفق، حديث (٢١٧٣)، ج٢، ص٢٩١؛ انظر: حقوق الارتفاق المتعلقة بالمياه في الشريعة الإسلامية – دراسة فقهية مقارنة، د. جابر إسماعيل الحجاحجة، وإبراهيم أحمد أبو العدس، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠م، ص١٠.

وجه الدلالة، أن أمير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حكم على محمد بن مَسْلَمَة[1] في إجراء الماء في أرضه رغماً عنه، ولم يرد له مخالف من الصحابة،[2] فدل ذلك على مشروعية الشرب في السنة النبوية.

وبهذه المشروعية لحق الشِّرْب؛ يتضح للقارئ التأصيل الشرعي في الفقه الإسلامي لقانون الخيف ـ الآتي ذكره ـ الذي يتمثل في تنظيم وتقعيد تقسيم حقوق المياه بين الشركاء، وتنظيم التعامل بمصادرها، وكيفية تنظيم الأدوار المائية بين الشركاء.

(١) محمد بن مَسْلَمَة الأوسي الأنصاري: صحابي جليل، أسلم بالمدينة على يد مُصْعَب بن عُمَيْر، وشهد بدرًا وأُحُدًا. وشهد الخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، ما خلا تبوك فإنّ رسول الله استخلفه على المدينة حين خرج إلى تبوك، ومات بالمدينة في صفر سنة ستٍّ وأربعين. انظر: الطبقات الكبير لابن سعد، جـ٣، ص ٤٠٨.

(٢) ابن حجر: أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ) ، فتح الباري بشرح الجامع الصحيح، دار الغد الجديد- القاهرة، الطبعة الأولى،١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ج٥، ص٤٣-٥٥ ؛القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت ،١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م ، ج٥، ص١٧٩؛ الشافعي: محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ) ، الأم ، تحقيق: محمد زهري النجار، دار المعرفة بيروت، ج٧، ص٢٣١؛ حقوق الارتفاق المتعلقة بالمياه في الشريعة الإسلامية - دراسة فقهية مقارنة، د. جابر إسماعيل الحجاحجة، وإبراهيم أحمد أبو العدس ،١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠م، ص٧.

المبحث الثالث:

قانون الخيف

(مزارع آل باز من «الأشراف الحُرَّث»[(١)] أنموذجًا.

١ . معنى القانون اصطلاحًا:

استعملت كلمة قانون «droit» للتعبير بصفة عامة عن:» مجموعة القواعد المنظمة لسلوك وعلاقات الأشخاص في المجتمع على وجه ملزم».[(٢)]

٢ . تعريف الخيف:

خَيْفٌ: جمع: أَخْيَافٌ، خُيُوفٌ. [خ ي ف]: مَا ارْتَفَعَ عَنْ مَجْرَى السَّيْلِ وَانْحَدَرَ عَنْ غِلَظِ الجَبَلِ. خَيْفُ مِنىً.[(٣)]

خَيْفٌ: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وآخره فاء، والخيفُ: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف من منى، وقال ابن جنّي: أصل الخيف الاختلاف، وذلك أنه ما انحدر من الجبل فليس شرفا ولا

(١) آل باز فرع من الأشراف الحُرَّث: الذين ينتسبون لجدهم الجامع الجناب العالي الأمير (الشريف محمد الحارث: ت١٠٣٩هـ/ ١٦٣٠م) بن الشريف الحسن (أمير مكة المكرمة في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي) بن الشريف محمد أبو نُمَي الثاني (أمير مكة المكرمة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)- إلى-الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. لمزيد من التفاصيل انظر كتاب « الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف - دراسة تاريخية وثائقية»، للشريف محمد بن حسين الحارثي، مؤسسة الريان- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص١٨٣.

(٢) معجم القانون: القاهرة- الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص١٢٣؛ المعجم الوسيط، ص٧٦٣.

(٣) الرازي: مختار الصحاح، ص٨٢

حضيضا فهو مخالف لهما، ومنه: الناس أخياف أي مختلفون، قال:

الناس أخياف وشتّى في الشّيم، ... وكلهم يجمعهم بيت الأدم.[(١)]

ويقول البلادي: الخَيْف: بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء ثم فاء: في الحجاز أكثر من عشرة مواضع بهذا الاسم، منها ثلاثة حول مكة. غير أن الوارد في الشعر العربي هو خيف منى، الذي ينسب إليه مسجد الخَيْف، وهو في سفح جبل منى الجنوبي، وكان هذا الجبل يسمى الصابح، ثم غلب عليه اسم جبل منى، ولأهل اللغة تعليل لاسم الخَيْف وتعريف ـ بحسب ما ذُكر أعلاه في التعريف بالخيف ـ، غير أنه يطلق اليوم في الحجاز على كل مكان نخله كثيف ملتف.[(٢)]

٣. نظام الوجبات المائية:

فمزارع النخيل في المجموعة الواحدة تسمى «خيف» والخيف يمتد أحيانا إلى عدة كيلو مترات. وتُسقى نخيل الخيف الواحد من عين واحدة أو أكثر بحيث يضمن كل مالك وصول الماء إليه في الوقت المحدد. ويتم توزيع فترة اليوم والليلة إلى وجبات، «واحدتها وجبة وقد يجمعها الأهالي أحيانا وجاب» تبدأ من طلعة الشمس، ثم ربع الضحى ثم النص (نصف)، وهذه الوجبات لما قبل الزوال، ثم بعد ذلك ربع العصر ثم الصفيراء(العشي) ثم الغيبة أي غيبة الشمس. هذه الوجبات السبع جميعها في فترة النهار. أما وجبات الليل

(١) ياقوت: معجم البلدان، مادة خيف، ج٢، ص٤١٢.

(٢) البلادي: عاتق: معالم مكة التاريخية والأثرية، دار مكة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص٩٩.

فهي ربع الليل، نصف الليل، السُّدْفَةُ، وبعدها طلعة الشمس مرة أخرى. ويتم توقيت هذه الوجبات خلال النهار عن طريق قياس الظل بالأقدام، وهذا القياس دقيق نوعًا ما، ويكون التحكم في الوقت ليلاً عن طريق النجوم وتأخذ الخبرة دورها في هذا المجال. ولا تخضع العيون للملكية في العرف السائد حتى وإن كانت داخل ملك شخص ما، بل إن كثيرًا من العيون يكون منبعها داخل بلاد (تسمى المزرعة الواحدة بلادا) لا تسقى منها ومع هذا فمالك البلاد مسؤول عن إعطاء الفرصة لأعمال الصيانة وعدم المعارضة في حال دخول شخص ما لأمر يتعلق بالعين.[(١)]

وقد أشار إلى شيء من ذلك النظام (وهو تقسيم حصص مياه العين على مزارعهم) الرحالة الإنجليزي تشارلز م. دوتي[(٢)] أثناء مروره واستقراره فترة (بخيبر)[(٣)] في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي إلى نظام تقسيم المياه بين مزارع النخيل قائلاً: «حقوق الري الخاصة بكل قطعة من الأرض الزراعية مسجلة في سجل شيخ القرية؛ وأيام الأسبوع بساعاتها مقسمة ومحددة بحيث تتيح لكل مشترك حق الانتفاع العام. والساعات ليست معروفة بين

---

(١) طلال البلوي: خيبر بلاد العيون والنخيل، صحيفة الجزيرة السعودية، العدد: ١١٢٦١، الثلاثاء ٢٩، جمادى الأولى ١٤٢٤هـ.

(٢) تشارلز م. دوتي (١٨٤٣ - ١٩٢٦) (بالإنجليزية Charles Doughty) شاعر ورحالة إنجليزي. (من صنف الرحالة العلماء)، درس الجيولوجيا في جامعة كمبردج. في الخامس من يوليو / تموز ١٨٧٨م توجه مع قافلة للحجاج إلى الحجاز، ووصل الطائف ثم توجه إلى جدة في أغسطس / آب ١٨٧٨م، وكتب كتابه الجزيرة العربية الصحراوية، ورسم فيه صورة فريدة من نوعها عن الجزيرة. أهم أعماله كتاب الترحال في صحاري العرب (Travels in Arabia Deserta) الذي كتبه عام ١٨٨٨ وهو عبارة عن قصته عندما جاء عام ١٨٧٦م ومكث عدة سنوات جال من خلالها أجزاء من الجزيرة العربية تحت اسم مستعار «خليل». لمزيد من التفاصيل: انظر مقدمة كتاب: ترحال في صحراء الجزيرة العربية، تشارلز م. دوتي، المركز القومي للترجمة - القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م، الجزء الأول- المجلد الأول، ص١٠-٥٠.

(٣) خيبر: تقع شمال غرب المملكة العربية السعودية - شمال الحجاز الجغرافي - وعلى بعد حوالي (١٦٨) كيلو مترا من المدينة المنورة.

هؤلاء القرويين... وهم يستعملون ذكاءهم في تقسيم النهار، وذلك عن طريق ظل عصى صغيرة يغرسونها على حافة قناة الري، وتلك هي المِزْوَلة...[1]، ويرى تشارلز م. دوتي: أنهم يحسبون الوقت أثناء الليل بطريقة غير دقيقة»[2].

٤. المزولة الشمسية لتحديد مواقيت الري:

أما (الطنطورة) في البلدة التراثية في محافظة العُلا[3]؛ مِزْولة شمسية[4] على شكل مسلة أو ساعة شمسية تقع في الجزء الجنوبي الشرقي للقرية، تظهر للزائر بشكل واضح على مدخل القرية الشرقي المسمى «سوق الدرب» ووظيفتها الرئيسة تحديد دخول فصول السنة، وتوزيع مياه العيون لري وسقاية المزارع نهاراً، وهي عبارة عن بناء حجري هرمي يتميز بالدقة الهندسية، ولها في الجهة المقابلة حجر يتم القياس عن طريقه بحسب ميلان الشمس لمعرفة فصول السنة والأوقات. كما تستخدم في توزيع مياه العيون على المزارعين، لتوزيع

(١) المِزْولة: توضح الزمن عن طريق قياس زاوية الظل التي تُحْدثها الشمس. ومعظم المزاول لها أوجه مرقمة بالأعداد الرومانية ابتداء من الساعة الخامسة صباحًا، وحتى السابعة مساءً. عندما تقع أشعة الشمس على عقارب المزولة، وهي قطعة معدنية مسطحة، تلقي ظلاً يوضح الزمن. انظر: الموسوعة العربية العالمية: الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، المجلد الثالث والعشرون، ص١٥٥.

(٢) تشارلز م. دوتي: ترحال في صحراء الجزيرة العربية، المركز القومي للترجمة – القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م، الجزء الثاني – المجلد الأول، ص٢٨٤.

(٣) العُلا: إحدى مدن شمال غرب المملكة العربية السعودية (شمال الحجاز الجغرافي) وتتبع إدارياً لإمارة منطقة المدينة المنورة.

(٤) استُخدمت المزوال في الحرمين الشريفين لتحديد دخول أوقات الصلوات الخمس، حيث أورد السنجاري: ومن ذلك مزولة عملها الوزير الأصفهاني الملقب بالجواد (عام ٥٥١هـ)، وكانت محاذية للركن الشامي بالمسجد الحرام، وفي سادس ذي الحجة سنة ١٠٧٩هـ وضع الشيخ محمد بن سليمان المغربي مزولة تجاه باب السلام بنى لها بترة (عمود من الخراسنة المسلحة أو من الأحجار المرصوصة بالجص) طول قامة الرجل ويرى الإنسان رسومها حيال الركن الشرقي على ممشى باب السلام. منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق: ماجدة زكريا، جامعة أم القرى-مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج٣، ص٤٩٠، ج٤، ص٢٨٨.

( ) مروان قصاص: «الطنطورة» الساعة الشمسية لفصول السنة وتوزيع مياه العيون بالعلا، صحيفة الجزيرة السعودية، الجمعة ٢٩ صفر ١٤٣٧ العدد ١٥٧٧٩.

الوجبات المائية على المزارعين، وهي توزيع الماء عليهم بقدر معين، وجبة كاملة ونصف وربع، وهكذا حسبما يملك المزارع من مساحة زراعية.[1]

ومما سبق يتضح أن نظام الري اعتمد على المِزْوَلَة الشمسية، وهدف استخدامها لتحديد مواقيت الري ولتنظيم تقسيم حصص الماء على أصحاب البساتين وفق ما يمتلكه كل مزارع؛ بالتالي فإن المزولة أداة تنظيم علمية تعتمد على هندسة فريدة ورائعة لا يعرف أسرارها سوى المختصين من المزارعين. فمن المعلوم أن اليوم يتكون من (٢٤) ساعة مقسمة (١٢) ساعة في النهار و(١٢) ساعة في الليل في حالة تساويهما، والمزولة الشمسية تستخدم لساعات النهار فقط حيث ترسم على جانبيها خطوط طولية بينها مسافات متباينة يطلق عليها بالمصطلح المحلي «آثار» مقسمة (١٢) خط في أتجاه الشرق و(١٢) خط في اتجاه الغرب، بين الخط والآخر مدة زمنية متساوية تقدّر بنصف ساعة تقريبا يقطعها ظل الشمس بينهما. وطريقة استخدام المزولة الشمسية تعتمد على مراقبة ظل الشمس، حيث البدء مع طلوع الشمس، فعندما تشرق الشمس يتحول ظل العمود إلى جهة الغرب إلى أقصى مدى حيث آخر خط أو «أثر» وكلما ارتفعت الشمس تراجع الظل إلى الخط الذي يسبق الخط الأخير وتقدر الفترة الزمنية للتراجع من خط إلى آخر بنصف ساعة (تقل عن ذلك في الشتاء وتزيد قليلاً في فصل الصيف) وهكذا يتراجع الظل بارتفاع الشمس إلى أن تصل إلى كبد السماء عندها يكون الظل عموديا حيث منتصف النهار

(١) مروان قصاص: «الطنطورة» الساعة الشمسية لفصول السنة وتوزيع مياه العيون بالعلا، صحيفة الجزيرة السعودية، الجمعة ٢٩ صفر ١٤٣٧ العدد ١٥٧٧٩.

وانتصاب العمود، وبذلك يكون الظل قد تراجع من الخط الأخير إلى منتصف النهار وقطع (١٢) خطا في فترة زمنية تقدر بـ(٦) ساعات. ثم تبدأ العملية بشكل عكسي حيث إن الشمس تميل باتجاه الغرب وظل العمود يميل باتجاه الشرق ويقطع (١٢) خطا في ظرف (٦) ساعات أيضا. علما بأن اختلاف المسافات بين كل خط وآخر يحددها سرعة الظل، ففي الساعات الأولى من الصباح الباكر يتحرك الظل سريعا بالتالي تكون المسافة بين كل خط وآخر شاسعة تتعدى ثلاثة أمتار بعكس عندما يكون الظل في الساعة الحادية عشرة مثلا فهناك تجد أن المسافة بين الخط والآخر تكون شبرا أو أكثر قليلا أو أقل قليلا.[١]

هذا التنظيم شائع بشكل أو بآخر في معظم مناطق الحجاز وشرقي الجزيرة العربية، ولكن قد يختلف هذا التنظيم من بلد إلى بلد سواء في مناطق الحجاز، أو باقي مناطق الجزيرة العربية، بحسب الظروف والتقاليد والعادات المحلية، وبحسب كمية المياه المتوفرة والمتدفقة من العين، ومساحات الأراضي الزراعية، والقدرة على تملك وجبات العين.

٥. قانون الخيف بمزارع وادي المضيق:

كما سبقت الإشارة في أهمية الدراسة؛ فقد انطلقت فكرة هذه الدراسة من عبارة قصيرة نصها: «على قانون الخيف» وردت في ختام وثيقة تاريخية مهمة بتاريخ شهر ذي القعدة/ ١٢٠٥هـ/ يوليو-تموز/ ١٧٩١م، للشريف باز

(١) موقع جعلان بني حسن، «نظام الري نهارا»، إعداد/ جهة الإشراف على الموقع، تاريخ النشر ٨/ أبريل/ ٢٠١٨م.
https://jaalan.net/alaflaj/araialnahari.htm

بن محسن الحارث جد فرع (فخذ) آل باز المعاصرين.

ولم أجد من يعرف مسمى القانون - أي مصطلح قانون الخيف - من المعاصرين بالوادي، بالرغم من أن تقسيم المياه من عين البردان (المضيق)، كان معلوماً في أصله، ولكنه لم يعد قائماً على الواقع بعد سحب ماء العين لمكة المكرمة منذ ستة وأربعين عاماً، بل - وللأسف الشديد - لم أجد أحداً هذه الأيام من الأشراف الحُرَّث من يعرف حتى بعض تفاصيل حصص سقيا مزارع الأشراف الحُرَّث من تلك العين، فقد طواها النسيان.

مما دفعني إلى البحث والتدقيق والتحقيق في الإرث التاريخي (الوثائق والحجج والصكوك الشرعية التاريخية القديمة)، التي خلفها لي والدي الشريف حسين بن حامد آل باز الحارثي - رحمه الله - الذي كان ناظراً لوقف جده الشريف علي بن حامد بن محمد بن باز - رحمهم الله - وما اطلعت عليه من (وثائق وحجج وصكوك بقية فرع آل باز) لمزارعهم من المسقوي[1] والعثري[2].

حيث تقع هذه المزارع (بلاد) آل باز المسماة « ودن العين»، بنخلة الشامية (وادي المضيق) شرق مكة المكرمة، وعلى قوقل إيرث Google Earth: خط العرض: ٢١°٤٠'٣٠,٢٨"شمال / خط الطول: ٤٠°٨'٦٢,١٠"شرق.[3]

---

(١) الحَرْث المسقوي: الأرض الزراعية المحروثة، والتي تسقى بمياه ثابتة من مياه عين وادي المضيق (البردان).

(٢) الحَرْث العَثَري: الأرض الزراعية المحروثة، والتي تسقى بمياه الأمطار أو السيول فقط.

(٣) انظر صفحة الملاحق، خرائط قوقل إيرث Google Earth Map؛ لمزارع آل باز المسماة « ودن العين».

٦. الدراسة الوثائقية لاستنباط مصطلحات قانون الخيف وتطبيقاته:

فكانت **الوثيقة الأولى التاريخية** النادرة التالية[(١)] منطلق الدراسة:

١- تصنيفها: أهلية.

٢- تاريخها: ذو القعدة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م.

٣- مصدرها: وثائق والد الباحث.

٤- موضوعها: وقف من بلاد زراعية وما يتبعها من الماء من عين التَّنْضُب.

٥- أسماء الواردين: السيد باز[(٢)]، الشريفة فاطمة بنت المرحوم السيد زين العابدين الحارث.

والشهود: كاتب الأحرف: سعيد بن عباس.

٦- دراسة النص:

تتحدث هذه الوثيقة عن عين التَّنْضُب بالمضيق التي نضُبت، ولم تعد تجري منذ سنوات طويلة.

وورد في الوثيقة المذكورة يتبع هذه البلاد (المزرعة) الموقوفة من ماء عين التَّنْضُب قِلْدٌ[(٣)] نهاري وقِلْدٌ ليلي، ما نصه: (ولها من ماء التَّنْضُب الوجبتين إلا ربع من وجبة السبت نصف وجبة النصف الثاني للوقف الذي بيد السيد باز

---

(١) انظر صور الوثائق في الملاحق ؛ وانظر: الحارثي: الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف، ص٤٨٣.

(٢) هو الشريف باز بن محسن بن إدريس بن حسن الحارث بن أحمد الحارث بن محمد الحارث (والشريف محمد الحارث هو الجد الجامع للأشراف الحُرَّث) كما سبق بيان نسبه.

(٣) القِلْدُ: النَّصيبُ من الماءِ. يقال: سقينا أرضنا قِلْدَها، وسقتنا السماءُ قِلْدًا كل أُسبوع. انظر: المعجم الوسيط، ص٧٥٤؛ والقلد: السقي يقال قلدت الزرع إذا سقيته، ابن الأثير: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (٥٤٤هـ-٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الأثر، تحقيق طاهر الزاوي وآخرون، الناشر المكتبة العلمية، بيروت، سنة النشر (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، ج٤، ص١٥٤.

المذكور ومن الوجبة إلا ربع من الجمعة لها ربع وجبة من ماء التَّنْضُب وما بقي من ماء التَّنْضُب بيد السيد باز المذكور والوقف المذكور الذي له نصف الوجبة الذي للسيد باز).

أُختمت الوثيقة بعبارة: وهذا على قانون الخيف.

الوثيقة الثانية:

١. تصنيفها: أهلية

٢. تاريخها: ١١/ ربيع الآخر / ١٢٦٧هـ

٣. موضوعها: مبايعة أراضي زراعية بوادي المضيق.

٤. من وثائق الأشراف آل باز الحارث.

(الأرض الكائنة بأرض المروة المسماة الشقرة من أراضي وادي المضيق من أعمال مكة المشرفة... يتبعها من السقيا من قرار عين البردان ساعة وربع ساعة من أصل اثنا عشر منها ساعة إلا ربع من وجبة اثنين الغبيب ومنها نصف ساعة من جمعة ذوي مالك من أصل ثمانية وعشرين وجبة من كامل عين البردان).

الوثيقة الثالثة:

١-تصنيفها: أهلية.

٢-تاريخها: ٢٩/ صفر الخير / ١٢٧٤هـ.

٣-مصدرها: وثائق والد الباحث.

٤-موضوعها: وقف السيد حامد بن محمد بن باز.

٥ - دراسة النص:

بخط جيد، ابتدأت الوثيقة بالحمد لله وحده، والعبارة التقليدية هذه حجة صحيحة شرعية ووثيقة محررة مرعية، وتتجلى في هذه الوثيقة الوقفية المنهج الشرعي الحنفي لإنشاء الأوقاف، وتنحصر الأملاك الموقوفة في وادي المضيق من أعمال مكة المشرفة.

الموقوف الكامل: «.. الودن[(١)] المسمى ودن لاحق الأرض الحرث العَثَري[(٢)] الكائن بأرض الشبيكة[(٣)] الذي له وكامل بلاد الشبيكة؛ البلاد المذكورة جميعا من الطريق والمشارب والعُقُوم والرُسُوم والتوابع واللواحق[(٤)] وما يعد ويحسب ويُنسب إليها وكامل الودن المسمى ابن صبغة الحرث المَسْقَوي[(٥)] .. بما له من العُقُوم والرُسُوم والطريق والمَشَارب وما يعد ويُحسب ويُنسب إليه ويتبعه من السُقيا[(٦)] ساعة من الماء من قرار عين البردان من السبت الصغير ملك ذي ـ آل ـ باز دوران قلد بالليل وقلد بالنهار، من أصل ثمانية وعشرين وجبة كامل العين المذكورة.[(٧)]

---

(١) الودن: مصطلح زراعي: المقصود به: قطعة أرض زراعية محدودة بحدود ترابية (عقوم).

(٢) الحَرْث العَثَري: الأرض الزراعية المحروثة، والتي تسقى بمياه الأمطار أو السيول فقط.

(٣) الشُبيكة: تصغير شبكة، وهي مسمى منطقة تقع جنوب شرق وادي المضيق بالشامية.

(٤) الطريق والمشارب والعقوم والرسوم والتوابع واللواحق: الطريق المؤدي للمزرعة. والمشارب: مفردها مشْرب أي مسقى الماء والسيل للمزرعة. والعقوم: أي الحواجز الترابية المحيطة بالأرض الزراعية. والرسوم أي العلامات. والتوابع واللواحق: هي قطع زراعية صغيرة ومنافذ مجاورة وتشكل حماية للأرض الزارعية.

(٥) الحَرْث المسقوي: الأرض الزراعية المحروثة، والتي تسقى بمياه ثابتة من مياه عين وادي المضيق (البردان).

(٦) السقيا: المقصود: ما يخص هذه المزارع من حصص مياه عين وادي المضيق (البردان).

(٧) ضمن التقسيم الدقيق المشار إليه من مياه عين البردان، فقد قُسمت إلى حصص ووجبات (أوجاب) قُدرت بثمان وعشرين وجبة، أو حصة، منها، ما تتدفق مياهه بساعات الليل، ومنها ما تتدفق مياهه بساعات النهار، بين المزارع.

الوثيقة الرابعة

ويظهر في الركن الأيمن الأعلى من هذه الوثيقة شارة مثل الختم تأتي على الأوراق الرسمية التي تقدم للدوائر الحكومية، وفيها طغراء السلطان عبدالحميد الثاني.

١. تصنيفها: أهلية.

٢. تاريخها: ١٨/ ذي الحجة / ١٢٩٥هـ.

٣. مصدرها: وثائق والد الباحث.

٤. موضوعها: مبايعة « فلج»[(١)]

٥. دراسة النص:

«اشترى ... الفلج الذي تحده حدوداً أربعة... وله من السقيا ربع ساعة من عين البردان من وجبة السبت حقت ذوي محمد من أصل ثمانية وعشرين وجبة».

الوثيقة الخامسة:

١. تصنيفها: أهلية.

٢. تاريخها: ١٧/ ربيع الثاني / ١٣٠٨هـ.

٣. مصدرها: وثائق والد الباحث.

٤. موضوعها: وقف السيد علي بن حامد بن محمد بن باز.

(١) الفلج: هو مجرى الماء الذي تسقى به المزرعة. ويعرف ابن منظور: «الفَلَجُ» بالتحريك يعني النهر الصغير، وقيل الماء الجاري و«الفلج الماء» هو الماء الجاري من العين وكذلك الفُلُجُ هي الساقِيةُ التي تَجْري إِلى جميع الحائطِ. جمعها الفُلْجانُ أي سواقي الزَّرْع ومنها والفَلَجاتُ أي المَزارِعُ. لسان العرب، ج٢، ص٣٤٧.

٥. من النص:

عين الوقف في كامل الودن المسمى أبو نملة وفي كامل خليج مطر وفي كامل بقعة صالحة... وهذه البلاد المذكورة أعلاه المسقوي المسماة ودن العين بالمضيق من أعمال مكة المشرفة، ويتبعها من السقيا من عين البردان عين المضيق خمس ساعات من وجبة سبت علي بن حامد الحارث من قرار عين المضيق... والماء على حسبة أراضيهم دورا قلد الليلي وقلد النهاري.

الوثيقة السادسة:

١. تصنيفها: حكومية رسمية.

٢. تاريخها: ٢١/ صفر الخير / ١٣٠٩هـ.

٣. موضوعها: وقف أراض زراعية.

٤. مصدرها / حجة شريعة صدرت عن محكمة مكة المكرمة.

٥. وقف الشريفة قمر بنت مستور بن باز.

٦. من النص:

الموقوف هو كامل الثلاثة البساتين وكامل القطع من الأرض المزروع الحرث المسقوي الكائن ذلك كله بوادي المضيق من أعمال مكة المكرمة. لها من السقيا ساعتان كاملتان في ثلاثاء وجبة ذوي باز وساعة ونصف ساعة وربع ساعة في يوم الجمعة وجبة ذوي مالك فجملتها ثلاث ساعات ونصف ساعة وربع ساعة من ثمانية وعشرين وجبة هي كامل قرار عين البردان موزع ذلك على الستة المواضع الموقوفة المذكورة فللبستان الكبير نصف ساعة في

يوم الثلاثاء المذكور وللبستان أبوتين ربع ساعة وثمن ساعة فيه أيضا ولودن سليمان نصف ساعة فيه أيضا وللودن أبو نملة نصف ساعة وثمن ساعة فيه أيضا والبستان ساعة كاملة في يوم الجمعة المذكور وللودن أبو جرين نصف ساعة وربع ساعة فيه أيضا.

الوثيقة السابعة:

١. تصنيفها: حكومية شرعية (وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية).

٢. تاريخها: ١٤/ ١ / ١٤٠٢هـ.

٣. مصدرها: وثائق والد الباحث.

٤. موضوعها: وقف علي بن حامد بن محمد بن باز.

٥. من النص:

صك شرعي صدر من المحاكم الشرعية السعودية؛ حديث نُقل أصل محتواه وبُنيت معلوماته على الحجج الشرعية القديمة الشاملة للمزارع والبيوت أوقافًا وأملاكًا:

الحمد لله وحده وبعد لدي أنا صالح العبدالله الحواس قاضي المضيق المنتدب...

(كامل البلاد الوقف العائد لجدنا علي بن حامد الحارث في المضيق المسماة أمهات الحرجة في بلاد ودن العين... لها من السقيا ست ساعات واثنان وعشرون دقيقة ونصف من وجبة السبت المسماة وجبة علي بن حامد الحارث).

الخاتمة:

أ. نتائج الدراسة

١. في المبحث الأول تم توضيح: مكانة وادي نخلة الشامية الجغرافية والتاريخية بعينيه « البردان والتنضب»، الواقع شرق مكة المكرمة ويبعد عن أعلام حدها الشرقي بحدود خمسة وأربعين كيلا.

٢. في المبحث الثاني تم بيان التأصيل الشرعي المتمثل في التقعيد الفقهي لقانون تقسيم حصص مياه العيون على المزارع، المتمثل في «حق الشِّرْب» ارتفاق المياه في الفقه الإسلامي.

٣. اشتمل المبحث الثالث على شرح دقيق لقانون الخيف، ونماذجه في مناطق الحجاز، ودراسة وثائقية لعدد من الوثائق والصكوك والحجج الشرعية القديمة لاستنباط مصطلحات قانون الخيف وتطبيقاته بمزارع آل باز بالمضيق؛ منها ما يلي :

١. نصت الوثيقة الأولى على مسمى « قانون الخيف» والمقصود به هو نظام تقسيم حصص مياه العين على مزارع مُلَّاك وجبات «وجاب» العين.

٢. نستنتج من الوثيقة الأولى أن ماء عين التَّنْضُب مُلْكٌ للسيد باز وشريكته الشريفة فاطمة الحارث.

٣. اتضح من دراسة بقية الوثائق والصكوك والحجج الشرعية أن «عين البردان» تبلغ ثمانية وعشرين وجبة، وتُجمع على «وجاب»، والوجبة اثنتان وعشرون ساعة، مقسمة على ساعات الليل والنهار « قلد نهاري، وقلد ليلي».

٤. يتم توزيع فترة اليوم والليلة إلى وجبات «(وجاب): تبدأ من طلعة الشمس، ثم ربع الضحى ثم النص (نصف)، وهذه الوجبات إلى ما قبل الزوال، ثم بعد ذلك ربع العصر ثم الصفيراء (العشي) ثم الغيبة أي غيبة الشمس. هذه الوجبات السبع جميعها في فترة النهار. أما وجبات الليل فهي ربع الليل، نصف الليل، السُّدْفَةُ، وبعدها طلعة الشمس مرة أخرى. كما سبق بيانه.

٥. ما تم عرضه ودراسته وتحليله من وثائق وصكوك؛ لا يشكل كامل حصص ووجبات عين المضيق إطلاقًا، إنما عرضت الدراسة نماذج شرعية لهذا القانون وتطبيقاته المحلية على مزارع آل باز من الأشراف الحُرَّث فقط.

ب) – توصيات الدراسة:

١. وادي نخلة الشامية وبصفته أحد أودية مكة الشرقية؛ ثريٌ بالأحداث التاريخية والآثار والمعالم، وأشهرها محطات درب زبيدة وبقايا القصور العباسية والقنوات الأرضية، والنقوش الحجرية، فهو يحتاج إلى المزيد من البحث التاريخي والحضاري والتنقيب الآثاري.

٢. ماتزال أنظمة الري والزراعة القديمة بنمطيها (المسقوي والعثري) في قرى وأرياف الحجاز شمالاً وجنوبًا تحتاج إلى مزيد من الدراسة البحثية والوثائقية.

ختامًا: قال الله تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة يونس، آية رقم (١٠).

الملاحق:

الخرائط وصور الوثائق والصكوك والحجج الشرعية

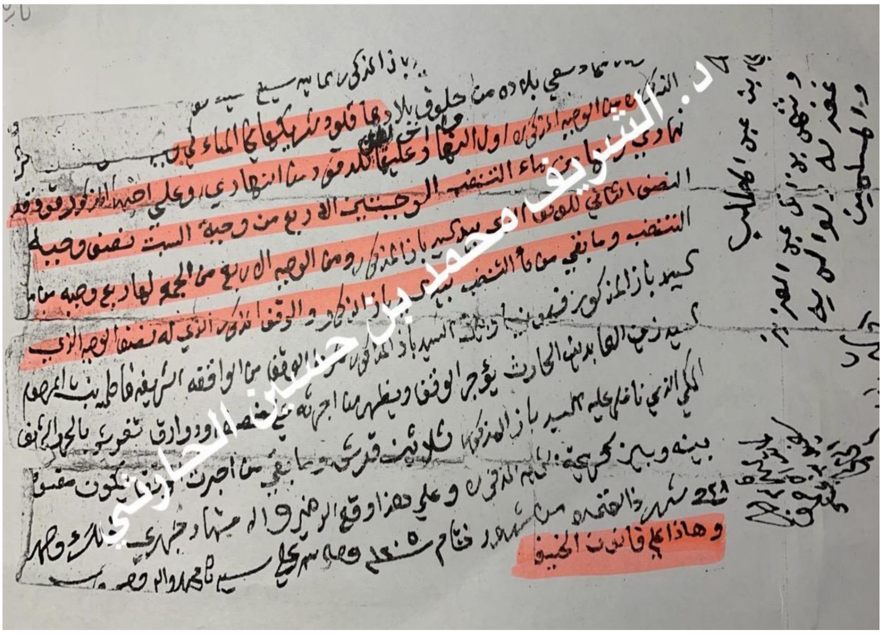
١ . خريطة عن Google Earth لوادي المضيق.



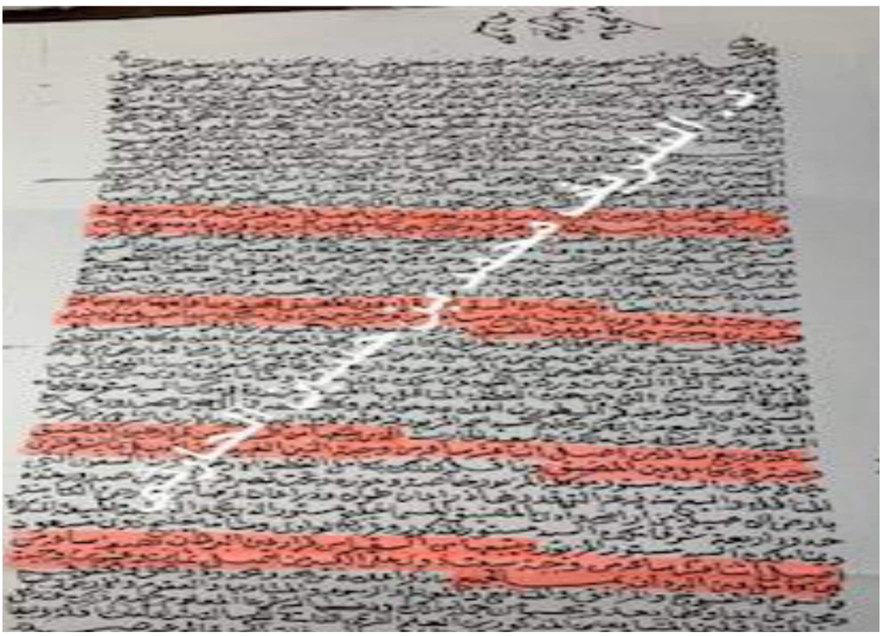
٢ . خريطة Google Earth حديثة لأراضي مزارع آل باز وهي جرداء ليست بها زرع، خلافاً لما كانت عليه قبل خمسون عاماً، مع تدفق مياه عين المضيق.



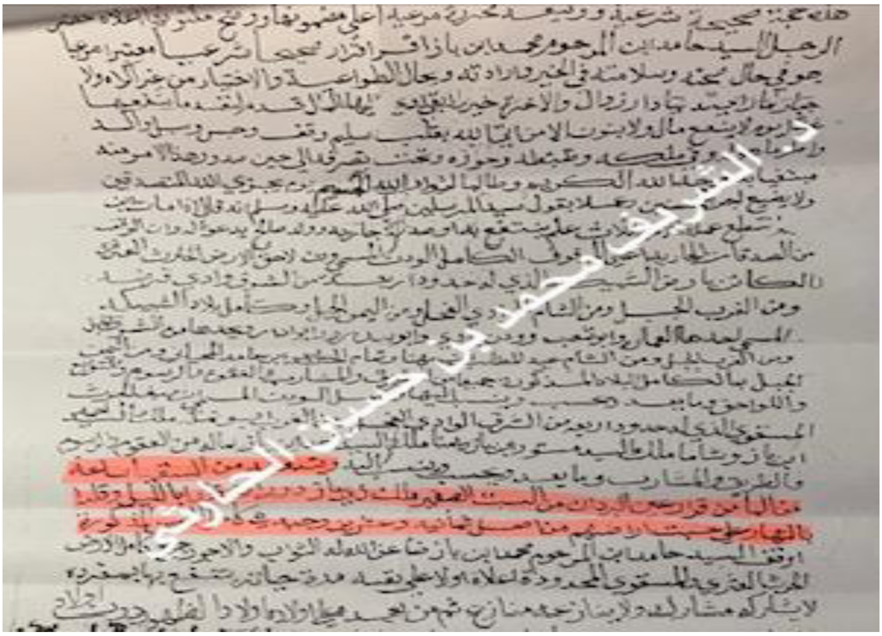
٣. الوثيقة الأولى



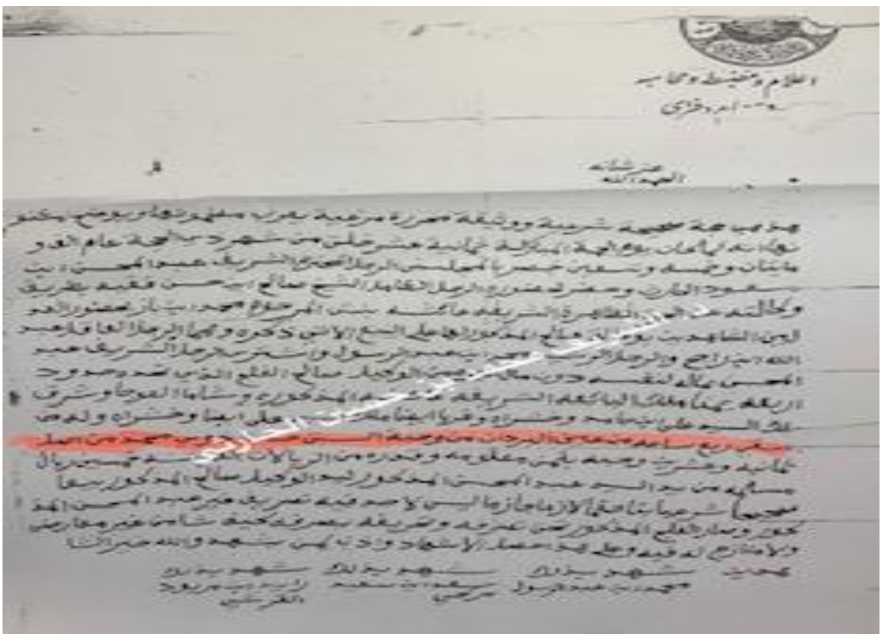
٤. الوثيقة الثانية:



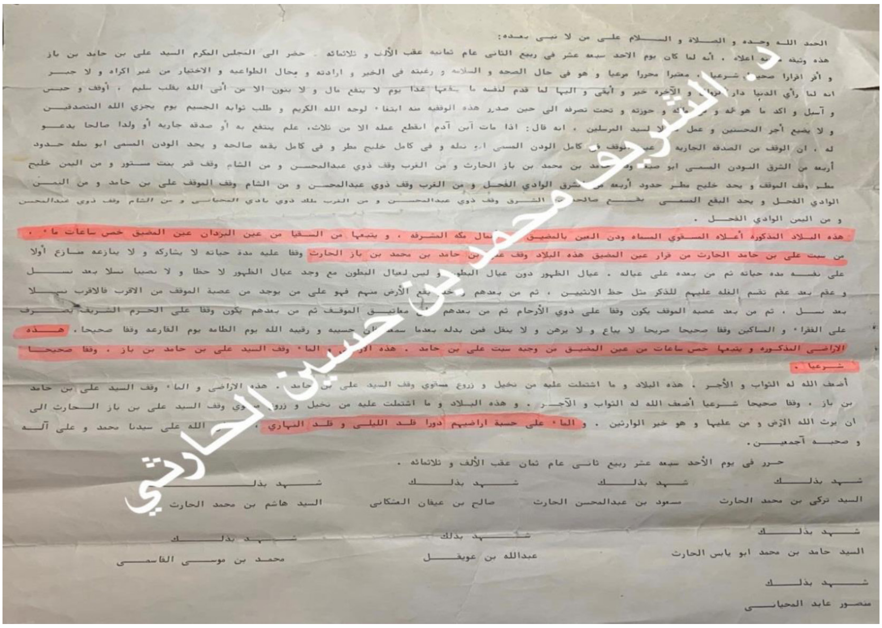
٥. الوثيقة الثالثة:



٦. الوثيقة الرابعة

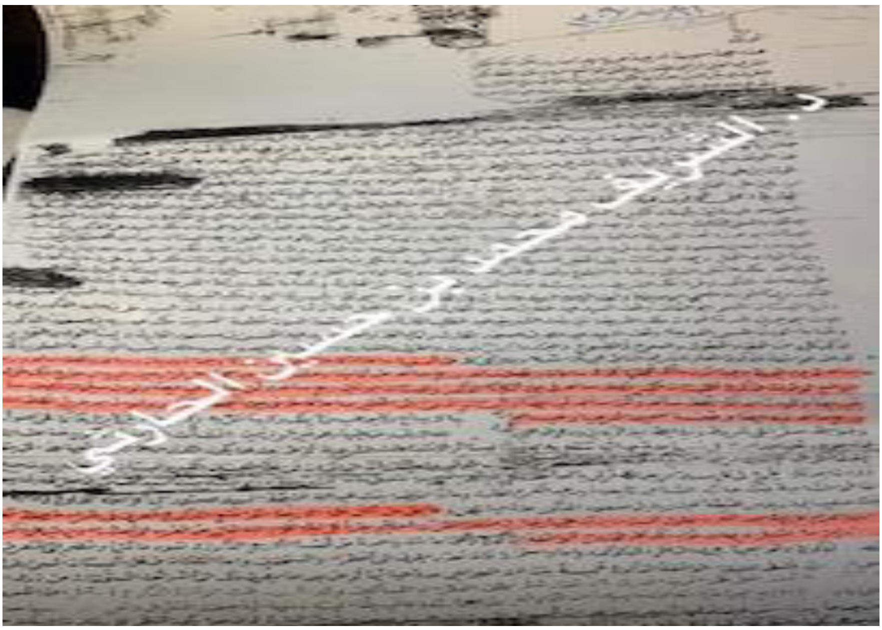


٧. الوثيقة الخامسة:(قبيل تلف الوثيقة الأصل، تم نقل محتواها بالشكل أعلاه)

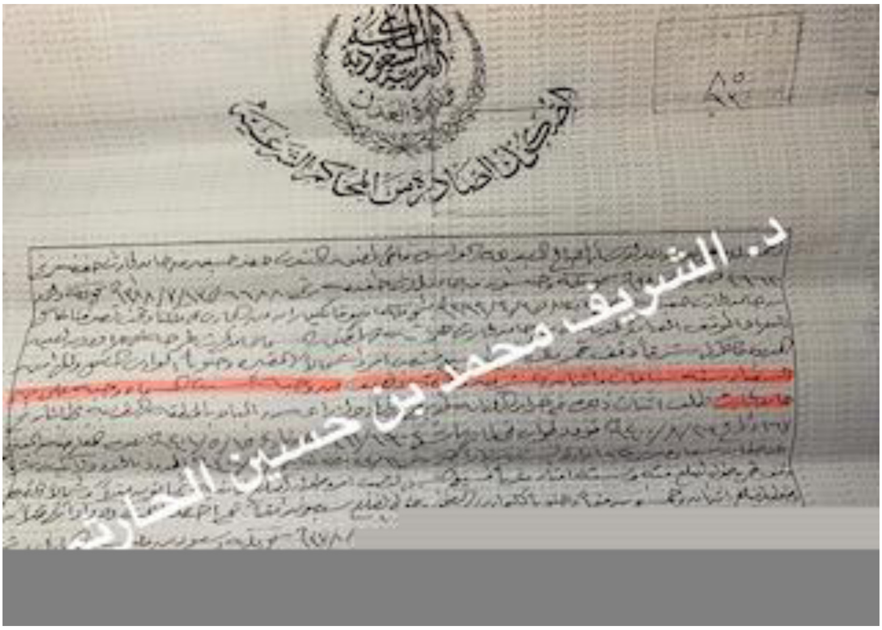

الحمد الله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده:
هذه وثيقة [illegible] اعلاه ، أنه لما كان يوم الاحد سبعه عشر في ربيع الثاني عام ثمانيه عقب الألف و ثلاثمائه . حضر الى المجلس المكرم السيد علي بن حامد بن باز
و أقر اقرارا صحيحا شرعيا ، معتبرا محررا مرعيا و هو في حال الصحه و السلامه و رغبته في الخير و ارادته و بحال الطواعيه و الاختيار من غير اكراه و لا جبر
انه لما رأى الدنيا دار [illegible] و الآخره خير و أبقى و اليها لما قدم لنفسه ما ينفعها غدا يوم لا ينفع مال و لا بنون الا من أتى الله بقلب سليم . أوقف و حبس
و آسبل و اكد ما هو له و [illegible] ماله و حوزته و تحت تصرفه الى حين صدور هذه الوقفيه منه ابتغاء لوجه الله الكريم و طلب ثوابه الجسيم يوم يجزي الله المتصدقين
و لا يضيع أجر المحسنين و عمل [illegible] لسيد المرسلين ، انه قال: اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث، علم ينتفع به أو صدقه جاريه أو ولدا صالحا يدعو
له ، ان الوقف من الصدقة الجاريه [illegible] الموقف في كامل الودن المسمى ابو نمله و في كامل خليج مطر و في كامل بقعه صالحه و يحد الودن المسمى ابو نمله حدود
أربعه من الشرق الودن المسمى ابو صبة [illegible] حامد بن محمد بن باز الحارث و من الغرب وقف ذوي عبدالمحسن و من الشام وقف قمر بنت مستور و من اليمن خليج
مطر وقف الموقف و يحد خليج مطر حدود أربعه من الشرق الوادي الفحل و من الغرب وقف ذوي عبدالمحسن و من الشام وقف الموقف علي بن حامد و من اليمن
الوادي الفحل و يحد البقع المسمى بقيع صالحه من الشرق وقف ذوي عبدالمحسن و من الغرب ملك ذوي بادي المحياني و من الشام وقف ذوي عبدالمحسن
و من اليمن الوادي الفحل .
هذه البلاد المذكوره أعلاه المسقوي المسماه ودن العين بالمضيق [illegible] شمال مكه المشرفه ، و يتبعها من السقيا من عين البردان عين المضيق خمس ساعات ماء .
من سبت علي بن حامد الحارث من قرار عين المضيق هذه البلاد وقف عن [illegible] بن حامد بن محمد بن باز الحارث وقفا عليه مدة حياته لا يشاركه و لا ينازعه منازع أولا
على نفسه مده حياته ثم من بعده على عياله . عيال الظهور دون عيال البطون و ليس لعيال البطون مع وجد عيال الظهور لا حظا و لا نصيبا نسلا بعد نسل
و عقب بعد عقب تقسم الغله عليهم للذكر مثل حظ الانثيين ، ثم من بعدهم [illegible] بقع الأرض سهم فهو على من يوجد من عصبة الموقف من الاقرب فالاقرب نسلا
بعد نسل ، ثم من بعد عصبه الموقف يكون وقفا على ذوي الأرحام ثم من بعدهم [illegible] معاتيق الموقف ثم من بعدهم يكون وقفا على الحرم الشريف يصرف
على الفقراء و المساكين وقفا صحيحا صريحا لا يباع و لا يرهن و لا ينقل فمن بدله بعدما سمعه [illegible] حسيبه و رقيبه الله يوم الطامه يوم القارعه وقفا صحيحا . هذه
الاراضي المذكوره و يتبعها خمس ساعات من عين المضيق من وجبه سبت علي بن حامد . هذه الاراضي و الماء وقف السيد علي بن حامد بن باز ، وقفا صحيحا
شرعيا .
أضعف الله له الثواب و الأجر . هذه البلاد و ما اشتملت عليه من نخيل و زروع مسقوي وقف السيد علي بن حامد . هذه الاراضي و الماء وقف السيد علي بن حامد
بن باز ، وقفا صحيحا شرعيا أضعف الله له الثواب و الآجر . و هذه البلاد و ما اشتملت عليه من نخيل و زروع مسقوي وقف السيد علي بن باز الحارث الى
ان يرث الله الأرض و من عليها و هو خير الوارثين . و الماء على حسبة اراضيهم دورا قلد الليلي و قلد النهاري . [illegible] الله على سيدنا محمد و على آله
و صحبه أجمعين .
حرر في يوم الأحد سبعه عشر ربيع ثاني عام ثمان عقب الألف و ثلاثمائه .

شهد بذلك	شهد بذلك	شهد بذلك	شهد بذلك
السيد تركي بن محمد الحارث	سعود بن عبدالمحسن الحارث	صالح بن عيفان المشكاني	السيد هاشم بن محمد الحارث
شهد بذلك		شهد بذلك	شهد بذلك
السيد حامد بن محمد ابو يابس الحارث		عبدالله بن عويقل	محمد بن موسى القاسمي
شهد بذلك			
منصور عابد المحياني			

٨. الوثيقة السادسة:



٩. الوثيقة السابعة:



مصادر ومراجع الدراسة:

١. ابن الأثير: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (٥٤٤هـ-٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الأثر، تحقيق طاهر الزاوي وآخرون، الناشر المكتبة العلمية، بيروت، سنة النشر (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).

٢. أطلال: حولية الآثار العربية السعودية، العدد الثاني،١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف، ص٦٤-٦٥ « مشروع استكشاف درب زبيدة».

٣. أنيس: إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، الناشر: مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية، سنة النشر: ٢٠٠٤.

٤. البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ.

٥. البلادي: عاتق: معالم مكة التاريخية والأثرية، دار مكة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦. البلادي: عاتق: معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر والتوزيع - مكة، ومؤسسة الريان - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ/ ١٩٨٢م.

٧. البلوي: طلال: خيبر بلاد العيون والنخيل، صحيفة الجزيرة السعودية، العدد: (١١٢٦١)، الثلاثاء ٢٩، جمادى الأولى ١٤٢٤هـ.

٨. تشارلز م. دوتي: ترحال في صحراء الجزيرة العربية، المركز القومي للترجمة - القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م، الجزء الثاني- المجلد الأول.

٩. جار الله بن فهد (ت ٩٥٤هـ): حُسن القرى في أودية أم القرى، تحقيق: الشريف أحمد ضياء العنقاوي، دار القاهرة - مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

١٠. الحارثي: الشريف محمد بن حسين: الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف- دراسة تاريخية وثائقية، مؤسسة الريان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

١١. الحجاحجة: جابر إسماعيل، وإبراهيم أحمد أبو العدس: حقوق الارتفاق المتعلقة بالمياه في الشريعة الإسلامية - دراسة فقهية مقارنة، «المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية»، المجلد السادس، العدد (٤)، ١٤٣٢هـ / ٢٠١٠م.

١٢. ابن حجر: أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح الجامع الصحيح، دار الغد الجديد- القاهرة، الطبعة الأولى،١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

١٣. الحربي: الإمام أبو إسحاق (ت٢٨٥هـ): المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق: حمد الجاسر، الرياض، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

١٤. ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ) جمهرة أنساب العرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١٥. الرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ): مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.

١٦. رفعت: إبراهيم: مرآة الحرمين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

١٧. الزُّحَيْلِيّ: وَهْبَة بن مصطفى: الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر - سورية - دمشق الطبعة: الرَّابعة.

١٨. السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣هـ) المبسوط، دار المعرفة - بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٩. ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٥م): كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: د. علي محمد عمر، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، الشركة الدولية للطباعة،٦ أكتوبر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٢٠. السنجاري: علي تاج الدين بن تقي الدين: (ت ١١٢٥هـ)، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق: ماجدة زكريا، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٢١. السويدي: أبي الفوز محمد أمين البغدادي (ت ١٢٤٦هـ): سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، مكتبة دار حراء- جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٢. الشافعي: محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ)، الأم، تحقيق: محمد زهري النجار، دار المعرفة بيروت.

٢٣. ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت ١٢٥٢ هـ)، حاشية رد المحتار على الدر المختار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (وصورتها دار الفكر - بيروت) الطبعة الثانية، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م.

٢٤. الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي: (ت ٨٣٢هـ). شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، المشرف على التحقيق: سعيد عبدالفتاح، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة.

٢٥. فيروزي: هاني ماجد، مياه مكة المكرمة في العهد السعودي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٦. القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٢٧. قصاص: مروان: «الطنطورة» الساعة الشمسية لفصول السنة وتوزيع مياه العيون بالعلا، صحيفة الجزيرة السعودية، الجمعة ٢٩ صفر ١٤٣٧هـ العدد (١٥٧٧٩).

٢٨. القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العلمية-بيروت.

٢٩. الكاساني الحنفي: علاء الدين أبو بكر بن مسعود (٥٨٧هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المكتبة الحبيبية، باكستان، الطبعة الأولى، (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).

٣٠. مالك بن أنس: الموطأ برواية يحيى الليثي، (١٥٢-٢٤٤هـ)، حققه بشار عواد معروف، دار الغرب، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٣١. معجم القانون: القاهرة- الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٣٢. الموسوعة العربية العالمية: الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، المجلد الثالث والعشرون.

٣٣. أبو نصر البخاري: سهل عبدالله، من أعلام القرن الرابع الهجري: سر السلسة العلوية، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٢م-١٣٨١هـ.

٣٤. موقع جعلان بني حسن، «نظام الري نهارا»، إعداد / جهة الإشراف على الموقع، تاريخ النشر ٨/ أبريل/ ٢٠١٨م.

https://jaalan.net/alafaj/araiahari.htm

٣٥. ياقوت: أبو عبد الله ياقوت الحموي البغدادي الرومي: (ت ٦٢٦هـ). معجم البلدان، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، دار صادر، بيروت.

تفشي الأوبئة والحجر الصحي للحجاج
في القرن التاسع عشر الميلادي

دراسة تاريخية حضارية

مقدمة /للمؤتمر الدولي الإلكتروني الأول

بعنوان: الأوبئة عبر التاريخ

٢٠-٢١ أبريل ٢٠٢٠م

المحور الرابع: الأوبئة في العصرين الحديث والمعاصر

بجامعة الكويت/ قسم التاريخ والآثار

نُشرت بـ:

المجلة العربية للعلوم الإنسانية-جامعة الكويت

إصدار خاص

٢٠٢١م



المجلة العربية للعلوم الإنسانية

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

إصدار خاص

أبحاث التاريخ الحديث

- الأوبئة في الحجاز خلال العصر العثماني 923–1334 هـ/ 1517–1926م
  سحر دعدع
- وباء عام 1867 ببلاد المغرب من خلال مخطوط المشرفي
  الشيخ لكحل
- تفشي الأوبئة والحجر الصحي للحجاج في القرن التاسع عشر الميلادي: دراسة تاريخية حضارية
  محمد بن حسين الحارثي الشريف
- الوضع الصحي الوبائي في الحجاز من خلال الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العزيز دولتشين 1316هـ/1898م
  مها اليزيدي
- الأوبئة في العراق في العصر العثماني
  نصير خير الله

جامعة الكويت

مجلس النشر العلمي

ISSN: 1026 - 9576

2021

الملخص

• **المدخل: الأهمية والمقاربة المنهجية:**

١ . أهمية البحث، وأهدافه.

أ) الأهمية: تتمثل أهمية الدراسة في خطورة هذه الأوبئة والأمراض على ملتقى الحجاج.

ب) أهداف البحث:

١) وصف بيئة وجغرافية مكة وجدة، والوضع السياسي.

٢) بيان نشأة الحجر الصحي، والمحاجر الصحية في الحجاز.

٣) استعراض وتحليل شهادات الرحالة الأجانب عن الأوبئة والمحاجر الصحية.

• **منهج البحث:** من منطلق أن طبيعة الموضوع (في كلياته وجزئياته) هي التي ترسم بالأساس ملامح المقاربة المنهجية التي ينبغي اعتمادها في البحث؛ ونظراً لطبيعة هذه الدراسة التاريخية، فقد فرض موضوع البحث استخدام الباحث المنهج الوصفي التحليلي؛ لبيان ظروف ظهور الأوبئة والمحاجر الصحية، في الحجاز، وجهود الحكومات لمقاومة هذه الأوبئة.

• هيكل البحث:

- **المدخل:** الأهمية والأهداف:

- **المبحث الأول:** بيئة وجغرافية مكة وجدة، والوضع السياسي القائم في القرن التاسع عشر الميلادي.

- **المبحث الثاني**: نشأة الحجر الصحي، والمحاجر الصحية في الحجاز، وجهود السلطات العثمانية لمقاومة هذه الأوبئة.

- **المبحث الثالث**: شهادات بعض الرحالة الأجانب عن الأوبئة والمحاجر الصحية.

- **الخاتمة**:

- **الهوامش والإحالات والمصادر والمراجع.**

- **الملاحق**: الصور والوثائق.

- **الكلمات المفتاحية**: مكة المكرمة، الحج، الأوبئة، الحجر الصحي، القرن (١٩) م.

Abstract

Epidemics and quarantine for pilgrims

In the nineteenth century AD

A recent historical study

Presented to: The First International Online Conference

Entitled: Epidemics throughout History

20/21 April 2020

The Fourth Topic: Epidemics in Modern and Recent Eras

Kuwait University / Department of History and Archeology

Prepared by:

Dr. Muhammad bin Hussein al-Harthi al-Sharif

Makkah Al Mukarramah

- used Introduction: The importance and methodological approach:

The importance of research, and its objectives.

A) Importance: The importance of the study is represented in the seriousness of these epidemics and diseases at the Hajj Union.

B) Research objectives:

1) Description of Makkah and Jeddah environment, geography, and political situation.

2) Explanation of the origins of quarantine and quarantines in Hijaz.

3) Review and analysis of foreign travelers› witnesses for epidemics and quarantines

The research methodology: The nature of the topic (in its minor and complete parts) determines the features of the methodological approach that should be adopted in the research. According to the nature of such a historical study, the research topic has imposed the researcher to use of the descriptive analytical method; to show the circumstances of the emergence of epidemics and quarantines in Hijaz, and the efforts of the governments to combat these epidemics.

- The Structure of the Research:

Introduction: Importance and Objectives :

The first topic: Environment and geography of Makkah and Jeddah, and the political situation existing in the nineteenth century AD .

The second topic: the emergence of quarantine, quarantines in the Hijaz, and the efforts of the Ottoman authorities to combat these epidemics.

The third topic: Witnesses of some foreign travelers for epidemics and quarantines.

- Conclusion :

  Margins, referrals, sources and references.

- Appendices: photos and documents.

  Key words: Mecca, Hajj, pestilence, quarantine, 19th century A.D.

المبحث الأول:

بيئة وجغرافية مكة وجدة، والوضع السياسي القائم في القرن التاسع عشر الميلادي.

ما إن يذكر الحجاز إلا وتتوق النفوس شوقًا إلى تلك الديار المقدسة؛ فهو عند المسلمين في موقع القلب من الجسد؛ وموقع النون من العين، ففيه مكة البلد الأمين سُرّة الحجاز وقاعدته، وبها بيت الله الحرام وكعبته المشرفة، ومشاعر الحج (منى وعرفات ومزدلفة)، وفي الحجاز طيبة الطيبة دار هجرة المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، المدينة النبوية وبها مسجده، ومرقده الشريف.

فاصطفى الله مكة لتكون موضع بيته ومحج قصاده، وقبلة عباده، حرمًا آمنًا مقدسًا، وأقسم بها في موضعين من كتابه، فقال جل وعلا: ﴿وَهَـٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَـٰذَا الْبَلَدِ﴾[2]. (الصورة رقم (١)).

فتميزت الطبيعة الجغرافية للمشاعر المقدسة بالمميزات الصحية، فطبوغرافيتها التضاريسية تشمل ثلاثة نطاقات مشابهة لامتداد البحر الأحمر وجبال السروات متناسقة عامة مع الارتفاع التدريجي من جهة البحر غربًا، إلى جهة السروات شرقًا، ويلاحظ أن السمات التضاريسية، والمناخية للمشاعر المقدسة، لها أثرها في النواحي الصحية لقاطني هذه الأماكن وزائريها؛ وذلك لارتفاع درجات الحرارة، إضافة إلى طبيعة جبالها واختلاف تضاريسها، قد ترك أثراً واضحًا في صحة بيئتها، وخلوها من الأمراض البلدانية المستوطنة؛ غير أن تأثير

الرياح وتغير فصول السنة كان من أقوى أسباب الأمراض والأوبئة في المشاعر، فيلاحظ أنها خلت من الأمراض البلدانية، لكن تغير الهواء يتبعه تغير في الأبدان والصحة، وهو ما يحدث للحجاج بها إذ تتغير عليهم الأهوية والمناخ عما اعتادوه في بلدانهم.(٣)

- الوضع السياسي في الحجاز:

عندما استولى السلطان العثماني سليم الأول على سوريا وفلسطين بعد معركة مرج دابق في ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م وعلى مصر بعد معركة الريدانية في عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م. وبقضائه على دولة المماليك اعترف الحجاز الذي كان تحت نفوذ المماليك بالحكم العثماني، وقد أرسل أمير مكة آنئذٍ الشريف بركات بن محمد الحسني ابنه الشريف محمد أبا نُمَيّ الثاني، البالغ لتوه الثانية عشرة من عمره إلى مصر مظهراً التبجيل للسلطان العثماني.(٤)

وتعين الدولة العثمانية والياً من قبلها على جُدة (الخارطة رقم (١)) يرتبط بوالي مصر العثماني. وفي الوقت نفسه كان للشريف وكيل له في إدارة جُدة مما ترك نتائجه السلبية على وحدة الحجاز لانقسام السلطة بين حاكمين يحاول كل منهما عرقلة مساعي الآخر لأجل تحقيق مآربه الخاصة ، أن كان الباشا العثماني يتدخل في أمر تعيين أمراء مكة أو عزلهم على الرغم من أنه كان يقدم أحياناً دعماً لهم لأجل تثبيت سلطتهم السياسية، وعلى الرغم من محاولات العثمانيين الحد من سلطة الأشراف بوسائل غير مباشرة عن طريق نشر عساكرهم في مراكز المدن وتدخل والي جدة في شؤون البلاد ، إلا أن الأشراف الأقوياء كانوا

يتجاهلون كل ذلك، فوطد ذلك من حكمهم على المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية بعد قيامهم بعدة غارات ناجحة عليها لإخماد المعارضة فيها أو لكسب المال أحياناً.[٥]

وتعد فترة التنظيمات الخيرية التي شهدتها الدولة العثمانية، والتي امتدت ما بين عامي ١٢٧٣-١٣٢٦هـ/ ١٨٥٦-١٩٠٨م مرحلة جديدة في علاقة الحجاز عامة وأمراء مكة خاصة بالسلطة العثمانية، فخلال هذه الفترة بدأت الدولة العثمانية محاولاتها المستمرة للتدخل بشكل أوسع في شؤون الحجاز، وتقليص نفوذ أمراء مكة الأشراف؛ بتوسيع نفوذ وسلطات الوالي العثماني، مما نتج عنه احتدام الصراع بين والي جدة وأمير مكة، فكل واحد منهما كان يحاول أن يكون الممثل الحقيقي للسلطان، وصاحب السلطة العليا في الحجاز، مما سبب للدولة العثمانية وللحجاز العديد من المشكلات؛ فكان بعض أشراف مكة يتحينون الفرصة ليتدخلوا في شؤون الحكومة النظامية، ويتوقف ذلك على قوة الوالي العثماني أو ضعفه. وقد بدأ أمراء مكة يتصرفون بحرية مطلقة منذ عهد الشريف محمد بن عون عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، والشريف عبدالمطلب بن غالب عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م، مما أدى إلى أن يتقدم عثمان نوري باشا بشكوى إلى السلطان، يبين فيها ازدياد نفوذ الأمراء بل وصل بهم الأمر إلى أنهم بدأوا يتصرفون بتلقائية واستقلال كاملين، حتى أنهم حاولوا عقد اتفاقات سرية مع الدول الأجنبية؛ للحد من نفوذ الدولة العثمانية، بل حتى إخراجها من الحجاز تماماً.[٦]

- **أسباب انتشار الأمراض والأوبئة:**

ولعل من أبرز أسباب الأمراض والأوبئة الفتاكة التي كانت تنتشر في مكة والمشاعر المقدسة، هي انتقال الأمراض الوافدة مع الحجاج عن طريق الهواء، خصوصـًا..

الأمراض البلدانية سريعة الانتقال عن طريق الهواء؛ إذ كان لتجمع الحجاج في مكان واحد وزمان واحد وهم يحملون معهم قلة الوعي الصحي، والفقر، والتلوث البيئي بالأمراض الوافدة معهم، فيحدث من تلك الأمراض أسوأ أنواع الحميات، والأمراض المزمنة والموتان.(٧)

المبحث الثاني:

نشأة الحجر الصحي، والمحاجر الصحية في الحجاز، وجهود السلطات العثمانية لمقاومة هذه الأوبئة.

- مفهوم الحجر الصحي:

الحجر الصحي quarantine، هو تقييد حركة الأشخاص والبضائع من أجل الوقاية من انتشار الأمراض أو الآفات. عادة ما يكون الحجر الصحي مرتبطاً بمرض ما، حيث يستخدم لوقاية الأشخاص الذين قد ينقلون العدوى للآخرين مع عدم وجود تشخيص طبي يؤكد إصابتهم بالمرض.

عادة ما يُخلط بين الحجر الصحي والعزل الطبي، حيث تكون العدوى مؤكدة لدى الشخص الموضوع قيد العزل الطبي ويتم عزله كي لا ينقل المرض للآخرين، لذا يعتبر الحجر الصحي من أهم الوسائل للحَدِّ من انتشار الأمراض الوبائية في العصر الحاضر، وبموجبه يمنع أي شخص من دخول المناطق التي انتشر فيها نوع من الوباء، والاختلاط بأهلها، وكذلك يمنع أهل تلك المناطق من الخروج منها، سواء أكان الشخص مصاباً بهذا الوباء أم لا.

ويعتبر الحجر الصّحي عزلاً مؤقتاً يفرض على أشخاص أو سفن وافدة من بلدان تشهد مرضاً معدياً، وقد سُجّل أول فرض لإجراءات عزل لسفن قادمة من مناطق ضربها «الطاعون» في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، خشية من امتداده، في مدينة دوبروفنيك الأوكرانية عام ١٣٧٧، وفي مدينة البندقية الإيطالية عام ١٤٢٣؛ أمّا مدة الحجر فكانت ٤٠ يوماً لتظهر الأعراض وتتضح، لعدم

وجـود الأدوات المتطـورة في ذلـك الزّمـن، كمـا في يومنـا هـذا، ومنهـا اشـتقت الكلمة الفرنسية للحجر «كارانتين» نسبة إلى «كارانت»، وهو الرقم (٤٠) باللغة الفرنسية في مصادر أخرى هي كلمه أجنبية، وتعني «مَحْجَرٌ صِحِيّ» ـ حجر صحي، وقد اعتمدت عمليات الحجر بعد ذلك مراراً في أوروبا، كما حصل مع انتشار وباء «الكوليرا» في ثلاثينات القرن التاسع عشر.[٨]

- معرفة الحجر الصحي في صدر الإسلام:

بين النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم في عدد من الأحاديث الشريفة، مبادئ الحجر الصحي، بأوضح بيان، فمنع الناس من الدخول إلى البلدة المصابة بالطاعون، ومنع كذلك أهل تلك البلدة من الخروج منها، بل جعل ذلك كالفرار من الزحف الذي هو من كبائر الذنوب، وجعل للصابر فيها أجر الشهيد. وفي سنة (١٧) هـ أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزور الشام للمرة الثانية، فخرج إليها، ومعه المهاجرون، والأنصار حتى نزل بِسَرْغٍ[٩] على حدود الحجاز والشام، فلقيه أمراء الأجناد، بالقرب من اليرموك، لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، فقال عمر ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام. فأورد البخاري في صحيحه، عن عبد الله بن عامر ابن ربيعة: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام، فلما جاء سرغ، بلغه أن الوباء وقع بالشأم، فأخبره عبد الرحمن بن عوف: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض

وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه). فرجع عمر من سرغ.[١٠] وعن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله: أن عمر إنما انصرف من حديث عبد الرحمن. وحديث عامر بن سعد بن أبي وقَّاص: أنه سمع أسامة بن زيد يحدث سعداً: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الوجع فقال: (رجز، أو عذاب، عُذِّب به بعض الأمم، ثم بقي منه بقية، فيذهب المرة ويأتي الأخرى، فمن سمع به بأرض فلا يقدمنَّ عليه، ومن كان بأرض وقع بها فلا يخرج فراراً منه).[١١]

وقد روى الإمام أحمد، وصاحبا الصحيح. من طريق الزهري. عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن عبد الله بن عباس، أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد، أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء وقع بالشام.[١٢]

والإعجاز النبوي يتجلى في هذه الأحاديث في منع الشخص المقيم في أرض الوباء أن يخرج منها حتى وإن كان غير مصاب، فإن منع الناس من الدخول إلى أرض الوباء قد يكون أمراً واضحاً ومفهوماً، ولكن منع من كان في البلدة المصابة بالوباء من الخروج منها، حتى وإن كان صحيحاً معافى، أمر غير واضح العلة، بل إن المنطق والعقل يفرض على الشخص السليم الذي يعيش في بلدة الوباء، أن يفر منها إلى بلدة أخرى سليمة، حتى لا يصاب بالعدوى، ولم تعرف العلة في ذلك إلا في العصور المتأخرة التي تقدم فيها العلم والطب الحديث.[١٣]

وعرفت دمشق عاصمة الخلافة الأموية تطبيق العزل الصحي، فكان الخليفة الوليد بن عبد الملك أول من بنى البيمارستان في الإسلام ودار المرضى وذلك

سنة ٨٨هـ ٧٠٦م وجعل في البيمارستان الأطباء وأجرى لهم الأرزاق وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق.[(١٤)]

- ظهور الحجر الصحي في الحجاز:

من أكثر الأمراض انتشارًا في العهد العثماني، مرض (الكوليرا)؛ إذ كان أول ظهوره في الحجاز عام ١٢٤٦هـ/ ١٨٣١م والسنوات التي تلتها، حيث ظهرت الكوليرا في الحجاز ست مرات، فقد ظهرت ظهوراً خفيفاً في مواسم عام ١٢٥٣هـ/ ١٨٨٣م، ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٩م، ١٢٥٥هـ/ ١٨٤٠م، كما ظهر بشكل أخف وباء عام ١٢٤٦هـ/ ١٨٣١م وتسبب في وفاة كثير من الحجاج؛ فكان أول ظهور لمرض القيء والإسهال (الكوليرا) ، ويذكره الدحلان: أنه كان في عام ١٢٤٦ هـ ،ومن المعروف أن ذلك الوباء قضى على أكثر من ٨٠٪ من الحجاج في ذلك العام، وكان محافظ مكة أحمد باشا مُقاماً من محمد علي باشا من سنة خمس وثلاثين كما تقدم ثم عزله محمد علي باشا سنة أربع وأربعين وتوجه إلى مصر وولَّى محافظة مكة سليم بيك أمير اللواء الذي كان مجيئه أولاً مع العساكر التي جاءت مع الشريف محمد بن عون، فأقام سليم بيك في محافظة مكة نحو شهرين ثم عزله محمد علي باشا وولى عابدين بيك أمير اللواء واستمر إلى أن توفي بمكة سنة ست وأربعين بمرض الوباء الإسهال والقيء، وكانت تلك السنة هي أوّل السنين التي حدث فيها ذلك الوباء بمكة ولم يعرفه الناس قبل تلك السنة ثم بعد هذه السنة تكرر مجيئه بمكة مرات لكنه ما جاء في السنين التي بعد هذه السنة مثل هذه السنة فإنه كان شديد الكثرة، مات فيه

خلق كثير لا يمكن ضبطهم ولا إحصاؤهم وكان ابتداؤه من شهر شوال من السنة المذكورة وكان ابتداء وقوعه في التكرور، والجبرت[١٥] فلم يكترث الناس به ولم ينزعجوا منه، ثم إنه في النصف من شهر ذي القعدة أصاب كثيراً من أهل مكة ومن الحجاج من كل صنف ولم يزل يتزايد واشتد أمره في أيام منى حتى صار الموتى مطروحين في الطرقات ونزل الناس من منى والجمال محملة من الأموات واشتد أيضًا بمكة بعد النزول من منى وامتلأت الأسواق والطرقات من الأموات وعجز الناس عن تجهيزهم ودفنهم فخرج الشريف محمد بن عون بنفسه راكبًا ومعه بعض أتباعه وصار يمر على بعض الطرقات والأسواق ويأمر الناس بتجهيز الموتى ودفنهم وأعطاهم ما يحتاجون إليه من الأكفان وامتلأت القبور من الأموات فحفروا حفائر كثيرة وصاروا يضعون في كل حفرة جملة من الأموات وقاسى الناس من ذلك الوباء هولاً شديداً، واستمر ذلك الوباء إلى عشرين من ذي الحجة ثم ارتفع شيئًا فشيئًا فكان ممن توفي في منى من ذلك الوباء عابدين بيك محافظ مكة فولى محمد علي باشا بدله أمير اللواء خورشيد بيك ثم صار بعد مدة باشا فكانت ولايته في افتتاح سنة سبع وأربعين.[١٦]

وتلك من الأمراض البلادية الوافدة مع الحجاج القادمين من الهند وشرق آسيا، وهي من أكثر البلاد التي يستوطن فيها هذا المرض بسبب معايشة أقوام منهم للفئران المسببة لهذا المرض الخطير، فينتقل مع الحجاج القادمين من تلك الديار ويتفشى في المشاعر المقدسة وسط الزحام بين وفود الحجيج، زيادة إلى تدني النظافة البيئية في منى مثلاً لذبح الهدي والأضاحي بشكل عشوائي، وتلوث مياه الخزانات والآبار.[١٧]

وتم وضع لبنة أحد أهم «الكرنتينات» منذ الخمسينات على ساحل البحر الأحمر وميناء جدة، الذي كان يستقبل الحجاج القادمين بالسفن؛ فساهمت كثيراً في تخفيف الإصابة بالأمراض المعدية، وعدم التزام بعض الحجيج في القدوم بالعزل والحجر أدى إلى تفشي (الشوطة)، وهي الوباءات عبر التاريخ، كما عرفت في الحجاز؛ وكان الحجر الصّحي في جزيرة سعد والواسطة القريبة من جدة، وفي مرحلة لاحقة نُقل المحجر الصّحي إلى منطقة الميناء القديم، التي أصبحت اليوم في قلب المدينة بجانب مقر وزارة البريد، من ثمّ انتقل منذ ما يقرب من ٥٠ عاماً من موقعه الأخير في منطقة الميناء القديم إلى موقعه الحالي في منطقة المحجر جنوب جدة، محيط الميناء القديم»، فالكرنتينا تطلق في مدينة جُدة على منطقة الحجر الصحي بجوار ميناء جُدة الإسلامي، حيث يُحجز الحجاج القادمون من خارج المملكة عبر البحر، المصابون بالأمراض المعدية، فيها، لتقديم الرعاية الصحية لهم، وأنشئ بعد ذلك ما سمي بمستشفى المحجر الصحي الذي تحول موقعه إلى مستشفى الملك عبد العزيز جنوب جدة.[(١٨)]

- الحجر الصحي في العهد العثماني والحملة الأوربية ١٨٦٥-١٩١٤م:

تحدثت الدكتورة جولدن صاري يلدز في كتاب لها بعنوان (الحجر الصحي) عن الدَّور الكبير الذي قامت به الدولة العثمانية في صدِّ الهجمة الأوروبية، والتفاعل مع القضايا الصحية في الحجاز، وإبعاد هذه المنطقة عن المداولات الاستعمارية. وعن الجهود التي قام بها العثمانيون في إصلاح الأحوال الصحية

في الحجاز؛ وذلك بإرسال الهيئات الطبية، وإنشاء المستشفيات، وإقامة المحاجر الصحية، وسنِّ النظم والقوانين الصحية.

لقد ظهر وباء الكوليرا أول مرة في الحجاز عام ١٨٣١م وتكرر ظهوره بعد هذا العام خمس مرات أخرى فتحركت دوائر السياسة الغربية والأوروبية تجاه هذه الأزمة، وحاولت التدخل ليكون الحجاز -وهي المنطقة الثانية -ضمن استراتيجياتها الاستعمارية، فأدرجت هذه المشكلة ضمن جدول أعمالها السياسية الدولية، وتنبهت الحكومة العثمانية لخطورة هذا الأمر، فتحركت لإجهاض المحاولة الأوربية، وبدأت في عمل الاحتياطات اللازمة للتخفيف من حدة المرض أو القضاء عليه. ثم تنتقل المؤلفة إلى مناقشة موضوع يمس الحياة الاجتماعية في الحجاز، من حيث البيوت والوضع السكني، ودورها في الأحوال الصحية، وخاصة في فترة الحج حيث يزداد عدد السكان بشكل ملحوظ في زمن معين، ومكان محدد مما يشكل كثيراً من الضغط الاجتماعي والسكاني على المساكن والمنازل المعدة لإسكان الحجاج، الأمر الذي يؤدي إلى مزيد من سوء الأحوال الصحية للمواطنين والحجاج على حد سواء.(١٩)

وهنا تشير المؤلفة إلى مجموعة من السلبيات التي تؤدي إلى انتشار الأوبئة والأمراض، مثل:

- قلة دورات المياه النظيفة في المساكن المعدة للحجاج.
- عدم وجود قنوات للصرف الصحي.
- انتشار القاذورات والمخلفات وعدم وجود إدارة خاصة بالنظافة العامة (البلديات)

- قلة الوعي الصحي لدى الحجاج وأخطائهم في عرفة ومنى.[٢٠]

-المؤتمرات الدولية الصحية:

حيث عُقدت مجموعة من المؤتمرات الصحية لمناقشة هذه المسألة، وفرض تدخل الدول الأوربية في شؤون الحجاز، ولعل أهم تلك المؤتمرات هو المؤتمر الصحي في باريس عام ١٨٥١م حيث نتج عنه معاهدة باريس الصحية، والتي أكدت على مجموعة من التنظيمات الصحية، لمنع انتشار الأوبئة والأمراض بين الحجاج؛ مؤكدة على دور الدولة العثمانية تجاه التطلعات الأوربية للسيطرة على الحجاز؛ بحجة المرض والوباء المنتشر في مواسم الحج بمكة المكرمة، والفعاليات العثمانية لإصلاح النواحي الصحية في الحجاز، وإقامة المحاجر الصحية. وكانت الصحافة الأوروبية تنظر إلى مكة على أنها «بوابة للتلوث» لأوروبا خوفاً من انتشار الكوليرا وغيرها من الأمراض بعد كل موسم حج. ولقد سُجلت أولى حالات كوليرا عام ١٨١٧ في الهند، والتي انتقلت إلى الحجاز في عام ١٨٢١م، وبعدها في ١٨٣١م مما أدى إلى وفاة قرابة (٢٠) ألف شخص في الجزيرة العربية. فوضع ملف الحج وتداعياته على الصحة العامة على قائمة أعمال المؤتمر الصحي الدولي في باريس عام ١٨٥١م لأول مرة، مما جعل فرنسا تضع نفسها في طليعة الحملة الدولية لتنظيم السفن والحجاج المتوجهين إلى مكة المكرمة، وذلك لتخفيف حدة الدعوة لحظر الحج في المستعمرات، والتي كانت بدأت تتردد في بعض أوساط الرأي العام في بعض الأحيان. وفي عام ١٨٦٥م حصد وباء الكوليرا أرواح (١٥) ألف

حاج من (٩٠) ألفا حتى وصل إلى بقاع عديدة في العالم منها أوروبا؛ وقتل أكثر من (٢٠٠) ألفا شخص. وأضحى هذا التهديد الوبائي للأوروبيين سلاحًا سياسيًا في يد الحكومات لتسليط الضوء على الحج كناقل للأمراض. وكان هذا الملف الصحي، وتسليط الضوء على حالات سوء معاملة الحجاج تحت حكم البريطانيين، يستخدم أحيانًا كوسيلة ضغط سياسي، كما كانت بريطانيا تفعله كوسيلة لممارسة النفوذ البريطاني في المنطقة على الحكام المحليين في الجزيرة العربية. ومن أجل وضع استراتيجيات واضحة للتعامل مع ملف الحج قامت القنصليات الأوروبية في جدة بتفعيل دورها في نهاية القرن التاسع عشر وذلك عن طريق تعيين موظفين من ذوي أصول إسلامية حتى وصل بعضهم لمناصب نواب قناصل، مثل الهندي مُنشي إحسان الله نائب القنصل البريطاني في ذلك الوقت، والذين كانوا يقومون بدورهم في إعداد تقارير سياسية عن مكة والحجاج كانت ترسل إلى وزارات الخارجية والمستعمرات.[٢١]

ولقد تمخضت الإجراءات الإصلاحية العثمانية لمسائل الصحة في الحجاز عن: تشكيل الإدارة الصحية بمكة المكرمة، وما يتبع ذلك من لوائح وتنظيمات صحية، كان لها أكبر الأثر في إيقاف التطلعات الأوربية نحو الحجاز، واستطاعت هذه الإدارة إقامة المصحات والصيدليات ودور الضيافة للفقراء، كما أسست في كمران وجدة وينبع محطات لضخ وتنقية مياه الشرب، وإنتاج الثلج، وحُلت مشكلة المياه إلى حد كبير، ولم تتقاعس عن تسيير حركة الحجاج بشكل منظَّم.[٢٢]

وهو بعينه ما سبقها إليه البتنوني في رحلته الحجازية، قائلاً: ولما زاد الاهتمام الدولي بالناحية الصحية؛ جرى وضع قوانين للمحاجر الصحية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك لمنع انتقال الأوبئة من إفريقية وآسيا إلى أوروبا، اهتمت الدولة العثمانية بمراقبة الأوضاع الصحية في الحجاز،[٢٣] فأنشأت المحاجر الصحية على مداخله البحرية والبرية، وذلك لمنع دخول الأوبئة عن طريق الحجاج؛ كان منها محجر قمران على الساحل الجنوبي للبحر الأحمر، وتلاه إنشاء محجر صحي في جزيرتي أبي سعيد وأبي سعد القريبتين من جُدة، هذا إلى جانب محجر تَبوك من جهة الشام، الذي زادت أهميته بعد وصول السكة الحديدية الحجازية للمدينة المنورة سنة ١٩٠٨م، إذ توجه كثير من الحجاج المصريين لاستخدامها.[٢٤] (الشكل (١)، (٢)).

وذكر ذلك أيضًا محمد صادق باشا عن في حديثه عن الحج عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م أنه كان في جدة دائرة صحية ومحجر صحي له طبيب مرسل من الأستانة، يتلقى أوامره من والي الحجاز بمكة.[٢٥]

ويقول إبراهيم رفعت: قضت قوانين الدولة العلية بأن يؤخذ من كل حاج ثمانية قروش رسم المحجر الصحي، أي مقابل الخدمات الصحية.[٢٦] (الشكل (٣) وثيقة أجرة المحجر الصحي).

وكان وباء ١٨٨١م أشد من وباء ١٨٧٧م، وقد ظهر في ذي القعدة «٢٢ سبتمبر ٢١ أكتوبر»، ونقلته سفينة إنجليزية تحمل الحجاج الهنود، اسمها هسبيريا «hesperia» إلى جزيرة قمران، وبعد حجزها سبعة وأربعين يومًا، منحت براءة نظافة، وكذلك تم احتجاز سفينة كولومبية، ترفع العلم الإنجليزي، في

الحجر الصحي بقمران، عشرة أيام، ثم منحت براءة نظافة صحية، وهكذا جلبت السفينة هسبيريا الكوليرا إلى قمران، وحملته السفينة الكولومبية إلى الحجاز، ونظراً لأن السفينة الكولومبية وصلت عدن وهي تحمل براءة نظافة، فإن الموظفين الإنجليز في عدن، أخفوا وجود الكوليرا لمدة خمسة عشر يوماً لأسباب مجهولة، كما ظهر وباء ١٨٨٢م في شهر سبتمبر، وتلك إحصائية بعدد الضحايا، أرسلها الدكتور وارتابت «vartabet» الذي كان موجوداً في جُدة، أثناء ظهور الوباء: فوفيات مكة من ١٦ سبتمبر حتى ٥ يناير (٢٣٢١) فرداً، وكذلك الوفيات بين مكة والمدينة (٢٤٨) سبتمبر (٣٦٧) فرداً. وبينما كان يحتمل أن يكون عدد الوفيات في الحجاز كلها (٣٠٩٩) فرداً ، فإن هذا العدد ارتفع إلى (٤٤٢١) فرداً، في نهاية شهر ديسمبر، وعندما أذاعت وكالات الأنباء خبر اشتداد الكوليرا في مكة، أمر السلطان عبدالحميد الثاني باتخاذ كافة التدابير الصحية العاجلة، للقضاء على المرض ، وأفادت برقية قادمة من الحجاز، أنه اتخذت كافة التدابير، وجهز مستشفى مؤقتاً يتسع لألف مريض، وفي عام ١٨٨٣م، حمل الحجاج القادمون إلى قمران الكوليرا معهم إلى الحجاز، وبناء على انتشار أوبئة الكوليرا في الحجاز في مواسم الحج، أعوام ١٨٨١م، و١٨٨٢م، و١٨٨٣م، قامت الإدارة المصرية بتطبيق الحجر الصحي على الحجاج الذاهبين إلى شمال البحر الأحمر، وأعلن المجلس الصحي المصري، أنه لن يسمح للسفن القادمة بالتحرك من جدة، أو المرور في القناة، إلا بعد انتهاء المرض الموجود في جدة انتهاءً تاماً، بخمسة عشر يوماً ، وعلاوة على أن القرارات الحاسمة، التي اتخذتها الإدارة الصحية المصرية، غالباً ما كانت تزيد حالة الحجاج

الفقراء عسراً، فإنها كانت تزيد أيضـًا أزمة الطعام والشراب، وفي الوقت الذي كان القناصل، يطلعون فيه سفاراتهم على وضع الحجاج المتكدسين في جدة، كان القائد العثماني في الحجاز يبحث عن حل للمشكلة، فطالب بتنفيذ الحجر الصحي بصورة مناسبة، والسماح بمرور الحجاج من قناة السويس، وقامت الصدارة العظمى بإرسال برقية عثمان باشا إلى المجلس الصحي، كما طلب السلطان إلى المجلس سرعة اتخاذ التدابير اللازمة.[(٢٧)]

- تقرير القصر العيني بمصر عن وباء الكوليرا. (الشكل (٤)، (٥)).

وضع الطبيب (سندوث)، أحد أطباء القصر العيني في مصر، رسالة في الكوليرا بعد انتشارها وفتكها بالمصريين وانتقالها من الحجاز للأراضي المصرية، واعترف سندوث في بحثه الطبي بأن البلاد العربية شهدت الكثير من أوبئة الكوليرا تقدر بـ ١٦ مرة، عدا مصر. وقال سندوث في بحثه الطبي الذي نشر في الصحف والمجلات المصرية بعنوان «من أين يأتينا الوباء» إن الكوليرا ظهرت في مصر عام ١٨٣١م، وقد انتقلت إليه من الحجاز عن طريق الحجاج، ثم ظهرت شديدة في عام ١٨٤٨م، وكانت بداية انتشارها في مولد السيد البدوي حيث اجتمع ١٩٥ ألف شخص في حضور المولد، وعادت للظهور في أعوام ١٨٥٠ و١٨٥٥م و١٨٦٥م بواسطة الحجاج أيضـًا، ولم تظهر شديدة الوطأة إلا في عام ١٨٨٣م. وفي هذا العام وبعد الاحتلال الإنجليزي لمصر بعام واحد، ظهرت الكوليرا أكثر وطأة، مما جعل الباحثين يختلفون حول سبب ظهورها، مثلما قال سندوث: «قالوا إنها جاءت من الهند، والبعض الآخر قال إنها باقية

منذ ١٨٦٣م، أما الدكتور سمسن فقد قال إنها أتت من الحجاز مع الحجاج».

وظهرت الكوليرا أولًا في مكة المكرمة في شهر أكتوبر عام ١٨٨٣م، ثم انتقلت إلى منى وجدة والمدينة المنورة، ومات (٦٠٠) شخص جراء الوباء، إلا أن بعض الباحثين يرون أن الذين ماتوا كانوا أكثر من ذلك بكثير، وتم فرض الحجر الصحي على الحجاج المصريين، وكانت مدة الحجر (١٦) يومًا.[٢٨]

المبحث الثالث:

شهادات بعض الرحالة الأجانب عن الأوبئة والمحاجر الصحية.

بحلول القرن التاسع عشر الميلادي انصب اهتمام أوروبا بمنطقة الحجاز، ووجهت الرحلات المتعددة لاستكشاف المدن المقدسة في الحجاز، حتى إنه خلال هذا القرن تمت اثنتا عشرة رحلة قام بها أوربيون من مختلف مناطق القارة إلى الديار المقدسة تحت أسماء إسلامية، فالرحلات الأوربية هي امتداد لحركة الاستشراق والمستشرقين، وحتى الرحلات العلمية ذات الطابع الأكاديمي كانت مرتبطة بالسياسة أكثر من ارتباطها بالعلم والحضارة؛ وفي استعراض الرحلات التي تمت إلى الديار المقدسة يمكن رؤية المصالح التي كان يطمح إليها عدد من الدول الأوربية، ابتداءً من إسبانيا والبرتغال غربًا مرورًا ببريطانيا وفرنسا وألمانيا وانتهاءً بروسيا شرقًا. ولقد جاء هؤلاء من معظم العواصم الأوربية، وتحت كل الذرائع، غير أن هناك خيطًا واحداً يجمع معظم هؤلاء جميعًا، هو خدمة مصالح بلادهم السياسية، ودراسة أفضل السبل التي تُمكِّن دول هؤلاء الرحالة من إيجاد مواطئ أقدام لها في الجزيرة العربية.[٢٩]

جدول الرحالة الذين زاروا مكة المكرمة خلال القرن التاسع عشر الميلادي(٣٠)

الرقم	الاسم بالعربية	الاسم باللاتينية	سنة الزيارة
١	باديا ليبلخ (علي باي العباسي)	Badia Y. Leblich	١٨٠٧م
٢	أوليريخ ياسبر سيتزن (الحاج موسى)	Ulrich Jasper Seetzen	١٨٠٩-١٨١٠م
٣	يوهان لودفيج بوركهارت (الحاج إبراهيم)	John Ludwig Burckardt	١٨١٤-١٨١٥م
٤	جيوفاني فيناتي (الحاج محمد)	Giovanni Finati	١٨١٤م
٥	ليون روشيه (الحاج عمر)	Leon Roches	١٨٤١-١٨٤٢م
٦	جورج أُوغسطس والين (ولي الدين)	George Augustus Wallin	١٨٤٥م
٧	ريتشارد بيرتون (الحاج عبد الله)	Sir Richard Burton	١٨٥٣م
٨	إينريك فون مالتزان (عبد الرحمن بن محمد السكيكوي)	Heinrich Freiher Von Maltzen	١٨٦٠م
٩	هرمان بيكنل (الحاج عبد الواحد)	Herman Bicknell	١٨٦٢م
١٠	جون فرايركين (الحاج محمد أمين)	John Fryer Keane	١٨٧٧-١٨٧٨م
١١	كرستيان سنوك هورخرونيه (عبد الغفار)	Christian Snouk Hurgronje	١٨٨٥م
١٢	جيرفاس-كورتيلمون (الحاج عبد الله)	Gervas - Courtellemont	١٨٩٤م

ومن هؤلاء الرحالة وآخرين:

١. الإيطالي جيوفاني فيناتي Giovanni Finati:

الذي بدأ حياته قسيساً، ثم انتقل للعمل مع جيش نابليون، لكنه هرب من الخدمة العسكرية ليقع أسيرا في أيدي القوات العثمانية، ورفض خلال أسره الدخول في الإسلام فأجبر على العمل في المحاجر، ثم أعلن إسلامه وتسمى

بمحمد (حاجي محمد)، وأصبح حاملاً للمزمار وضمن الجنود المرتزقة الذين التحقوا بجيش محمد علي ضد الدعوة السلفية في نجد بقيادة طوسون باشا بن محمد علي، وقد نجا من القتل عدة مرات، وكان قدومه لمكة المكرمة عام ١٨١٤م؛ لذا تسنى لفتيناتي أن تطأ قدمه شوارع المدينة المقدسة، وقد لاقى من الغمز واللمز حول الخطر المحدق وغير المبرر الذي أرسلوا فيه، استحسانا حينما وصلوا الساحل. وجدوا شوارع جدة خالية والدكاكين مغلقة. كانت الجثث تتناثر على الجانبين. لم يهتم أحد بدفن الموتى أو إزالتهم من الشوارع. وأصيب هو نفسه الإيطالي فيناتي بالطاعون، ولكن نجاه الله، وتماثل للشفاء. وأدى الطاعون المتفاقم والأهوال الأخرى إلى هلاك رفاقه، ومن سرية قوامها (٥٥٠) رجلاً وصل السويس منهم (١٠٩) فقط. وانطلقوا في آخر مسير صحراوي، وحين بدت مآذن القاهرة هللوا بفرح.[٣١]

٢. جون لويس بوركهارت:

زار الرحالة السويسري جون لويس بوركهارت Gohann Ludwing Burckhart مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وجدة وينبع، وتجول فيها مدة من الزمن تبلغ عشرة أشهر، من منتصف سنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م إلى الربع الأول من سنة ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م، وسجل كل ما شاهده، وكل ما عنّ له عن تلك البلاد وأهلها، وأنماط حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.[٣٢]

ويتحدث بوركهارت عن الوباء فترة زيارته للحجاز بقوله: (لكن في ربيع العام ١٨١٥ الميلادي، انتشر الطاعون انتشارا واسعا وعنيفا على النحو الذي

سوف أتناوله في موضع آخر، الأمر الذي جعل مكة وجدة تخسران سدس سكانهما. وكان وباء الطاعون قد بدأ ينتشر منذ حوالي عشرة أيام، وكان في الوقت نفسه على أشده في القاهرة، وقد استثار ذلك موجة من الغضب العارم بين الناس طوال أشهر عدة؛ في السويس على سبيل المثال، مات عدد كبير من السكان؛ من ميناء السويس أبحرت باخرتان محملتان بالمصنوعات القطنية، ومعهما فيروس الطاعون الذي انتقل عن طريقهما إلى جدة، لينتقل من جدة إلى ينبع. لم يشهد الحجاز قبل ذلك أية حالة من حالات الطاعون، كما أن ذاكرة البشر لا تعي حتى ولو حالة واحدة من حالات الطاعون، يزاد على ذلك أن المواطنين لم يقتنعوا بإمكانية حدوث ذلك حتى ولو مرة واحدة، وبخاصة عند ما أعاد الوهابيون غزو المدينتين المقدستين مرة ثانية. وبعد خمسة أيام أو ستة من وصولي بدأ يتزايد معدل الوفيات، إلى أن أصبح معدل الوفيات اليومي يتردد بين أربعين نفسًا وخمسين نفسا يوميًا، الأمر الذي يعد معدلا خطيرا وسط عدد من السكان يقدر بما يتراوح بين خمسة آلاف وستة آلاف نسمة. وهنا أصيب سكان ينبع بموجة من الذعر والفزع ، قلة قليلة من الناس هم الذين كانوا يميلون إلى الصبر على الخطر مثلما يفعل الأتراك في أي مكان آخر من الشرق ، ولذلك نجد أن السواد الأعظم من سكان ينبع هربوا إلى العراء والخلاء ، الأمر الذى أدى إلى أن أصبحت ينبع بلدا مهجورا ، ومع ذلك طارد المرض الهاربين ، الذين كانوا يخيمون بالقرب من بعضهم البعض، الأمر الذى أعجزهم عن إيجاد علاج لذلك الوباء ، ولذلك عاد الكثيرون منهم إلى ينبع من جديد، وكان الخراب والدمار الناتجين عن الطاعون يرثى لهما في جُدة

أكثر منهما في ينبع؛ كان متوسط الوفيات بسبب الطاعون في جدة يقدر بحوالي مئتين وخمسين شخصا يوميا. وترتب على ذلك هروب أعداد كبيرة من سكان جُدة إلى مكة، ظنًا منهم أنهم سيكونون في مأمن من الطاعون عند ما يقيمون في هذه المدينة المقدسة، لكنهم كانوا يحملون المرض معهم عند ما انتقلوا إلى تلك المدينة، كما توفي بعض السكان المكيين أيضا، على الرغم من أن ذلك العدد كان أقل بكثير بالمقارنة مع الوفيات في جدة. زد على ذلك أن قاضي جدة، وهو عربي، هرب هو الآخر إلى مكة، وبصحبته العلماء كلهم، ولكن حسّان باشا، الذي كان محافظا للمدينة المقدسة في ذلك الحين، أمره وهو على فراش الموت، بالعودة فورا إلى مهام وظيفته، ومات الرجل وهو في طريق عودته إلى جدة. كان السوق التجاري الرئيسي في جدة مهجورا تمامًا، وكانت بعض الأسر قد أصابها الخراب والدمار الكامل. ونظرا لوجود عدد كبير من التجار الأجانب في جدة، فقد أدى ذلك إلى زيادة مداخيل خزانة محمد على باشا زيادة كبيرة، وقد عرفت من بعض شهود العيان، أن المهمة الوحيدة في ذلك الوقت كانت تتمثل في نقل جثث الموتى إلى المدافن من ناحية، ونقل ممتلكات الموتى ومقتنياتهم القيمة إلى منزل آمر المدينة، فخلت المدينة المنورة من الطاعون، وحدث الشيء نفسه في الأرض الواقعة بين ينبع وجدة)[٣٣].

٣. الضابط الروسي عبد العزيز دولتشين وتقريره السري عن أوضاع الحجاز:

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر مرحلة تعاظم نفوذ روسيا في الشرق الأوسط وفي آسيا الوسطى، وشهد عام ١٨٩٨ ضم تركستان الإسلامية

إلى روسيا، وأنضم إلى الإمبراطورية الروسية الملايين من المسلمين علاوة على الشعوب الإسلامية التي كانت تعيش فيها من قبل، وبلغ عدد الرعايا المسلمين في الإمبراطورية الروسية ١٦ مليون نسمة. فحرصت روسيا على تقييم الحج من جميع جوانبه السياسية والدينية والطبية والوبائية، وعلى الحصول على معلومات شاملة وصادقة من مصدرها الأول، لذا نشأت فكرة إرسال ضابط روسي مسلم إلى مكة، ووقع الاختيار على عبد العزيز دولتشين، وهو ضابط روسي مسلم ولد في عام ١٨٦١ لعائلة تترية، وكان والده ضابطا كبيرا في الجيش الروسي، تخرج عبد العزيز ضابطا في مدرسة الإمبراطور بافل العسكرية في بطرسبورج، ودرس بعدها اللغات الشرقية وأتقن العربية والتركية والفارسية إضافة إلى الإنجليزية والفرنسية، ولغته القومية الروسية. فكلفت هيئة الأركان العامة عبد العزيز دولتشين بالسفر إلى مكة وكتابة تقرير شامل ومفصل عن رحلته ومرئياته وانطباعاته، وبدأ دولتشين رحلته عام ١٨٩٨م، ولما عاد من مكة أعد تقريره للطباعة، ونشر عام ١٨٩٩م، وفي التسعينيات قام يفيم زيزفان بتأليف كتاب «الحج قبل مائة سنة، الصراع الدولي على الجزيرة العربية والعالم الإسلامي» ضمن فيه هذا التقرير كاملا إضافة إلى عدة ملاحق.[٣٤]

وأشار دولتشين في تقريره إلى أن هذا الوباء يبدأ أحيانًا عند عرفات، ولكن بشكل ضعيف، لذا لا يسترعي الانتباه، لكنه ينتشر بكثرة في منى، ويبلغ قوته القصوى. وإذا سارت جميع الأمور على ما يرام عند الانطلاق إلى عرفات وحتى مساء اليوم الأول من الإقامة في منى، فقد يكون هناك أمل في أن الوباء لن ينشب هذه السنة. من أشهر الأوبئة التي أصابت موسم الحج، كان سنة ١٨٣١، وجاء من الهند إلى

الحجاز، ومات بسببه ثلاثة أرباع الحجاج، ونشب الوباء التالي سنة ١٨٣٤ ثم سنة ١٨٣٧ وسنة ١٨٤٠. ثم عاثت الكوليرا فساداً طوال خمس سنوات على التوالي من سنة ١٨٤٦ حتى ١٨٥٠، ثم أطل الوباء برأسه في سنة ١٨٦٥ وكذلك في سنة ١٨٨٣. وفي ١٨٩٥ حصل أيضاً وباء يشبه حمى التيفوئيد أو الزحار «الدوسنتاريا»، فبدأ في قافلة انطلقت من المدينة المنورة إلى مكة، واستمر بدرجةٍ ضعيفة عند عرفات ولم ينتشر فيما بعد، وانتهى في منى. عام ١٨٦٦ بدأ تطبيق قاعدة تفرض على الحجاج تقديم أضاحيهم في الأمكنة المعينة وحدها دون غيرها، وطمر جيف الحيوانات المذبوحة، باعتبارها مصدراً لانتشار الأمراض والأوبئة، في حفر مُعدّة سلفًا، ولكن هذا التدبير لم يوضع تقريبًا موضع التنفيذ.[٣٥]

ويضيف: «وفي مكة المكرمة والمدينة المنورة، يوجد ما يسمى بالمحجر الصحي، وتوجد لوازم مستشفى متنقل يتسع لثلاثين سريراً، يتعين فتحه في الخيام، إذا انتشر أي وباء. والمحجر الصحي المكي ينتقل مع الحجاج إلى عرفات، ثم إلى منى، حيث يوجد مبنى خُصص من أجله، وفي هذين المكانين، كما في مكة، يغطي المستشفى الأدوية مجاناً، ويقدم الإسعاف الطبي الجوال للحجاج المرضى، وهذا المستشفى يكون عاجزاً تماماً إذا نشب وباء جدي خطير بين هذا العدد من الحجاج. قامت محاولة لإنشاء مقصورة بخارية في جوار مكة، لتعقيم ألبسة وأمتعة الحجاج العائدين من منى. وختم الملاحق بوثيقة وزارة الداخلية الصادرة في ٢١ آذار (مارس) ١٩٠٢ عن الدائرة الطبية، القسم الخاص بالأمراض الوبائية، حول الموافقة على مشروع «القواعد المؤقتة بصدد حج المسلمين».[٣٦]

ثـم يختـم دولتشـين بعـد ذلـك تقريـره مطالبـا بتطبيـق التدابيـر التـي اقترحهـا في أسـرع وقـت ممكـن لتنظيـم قضايـا الحـج.(٣٧)

٤ . رحلة شارل ديديه:

في عـام ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م، وصـل إلـى الحجـاز شـارل ديديـه Charles Didier وأقـام في جـدة مـدة، ثـم غادرهـا إلـى الطائـف لمقابلـة الشـريف عبدالمطلـب بـن غالـب الـذي كان يقضـي إجازتـه في قصـره بالطائـف. جـاء ديديـه مبعوثًـا سـريًّا مـن الحكومـة الفرنسـية لمعرفـة مـدى صلابـة الوجـود العثمـاني في الحجـاز، لذلـك نـراه يجتمـع ويلتقـي بأكـبر رجـالات الحكومـة في الحجـاز، وبالتجـار وبعـض المبعوثيـن الأوروبييـن، وخاصـة القنصـل البريطـاني.(٣٨)

وتحـدث ديديـه عـن جُـدَّة، فذكـر أنَّ عـدد سـكانها في سـنة ١٨٥٤م كان مـا بيْـن (١٥) إلـى (٢٠) ألـف نَسَـمة، وإنها تقسـم إلـى قسـمين: حـي اليمـن، وحـي الشـام، وهـي تسـمية جغرافيـة، وهنـاك أحيـاء صغيـرة تسـكُنها أقليَّـات متباينـة ومتناحـرة، شـوارعها عريضـة، نظيفـة إلـى حـدٍّ مقبـول، ولا يَكْتفـي المؤلِّـف بذِكْـر الوجـه الإيجابـي، وإنمـا يتعـرَّض أيضًـا للوجـه السـلبي، ويدخـل في هـذا الوجـه قِلَّـة المـاء الجيِّـد، وسـوء الهـواء الـذي يكـون خـلالَ فصْـل الصيـف حـارًّا، ومحمَّـلاً بالرطوبـة، وخصوصًـا الريـح الجنوبيـة، ثـم يذكـر بعـضَ الأمـراض التـي تنتشـر فيهـا، مثـل «الزحـار» و»الحمـى المقلعـة، والعفنيـة».(٣٩)

وأشـار لآثـار الوبـاء في الحجـاز، وخاصـة في ينبـع السـاحلية التـي مـر بهـا؛ منتقـداً عـدم عنايـة العـرب بالرعايـة الصحيـة، فيقـول: إنهـم كثيـرو التطيـر: فقـد كانـوا عندمـا

بلغ انتشار الطاعون ذروته في ينبع، يطوفون أحياء المدينة وهم يقودون جملاً، لكي يحَمّلون الوباء كله ويركزونه عليه، ثم يذبحونه في مكان مخصص، وهم يتخيلون أنهم بقتله إنما يقتلون في الوقت نفسه انتشار الوباء.(٤٠)

٥. سنوك هورخورنيه

ولد د.هورجرونيه في «دوسترهوت - Dusterhout» الواقعة في الشمال الشرقي من مدينة «بريدا - Breda» بهولندا عام ١٨٥٧، وفي عام ١٨٨٠م، حصل على درجة الدكتوراه، وكان عنوان رسالته «الحج عند المسلمين وأهميته في الدين الإسلامي»، وتم ترتيب رحلة د. هورجرونيه إلى مكة، من خلال منحة دراسية من جامعة ليدن سنة ١٨٨٤م، ولقد أعدت ترتيبات الرحلة بالتنسيق مع القنصلية الهولندية بجده، فسافر بحرًا برفقة القنصل العام لهولندا إلى جدة، وأقام لمدة خمسة أشهر بالقنصلية الهولندية بجدة، تعلم خلالها اللهجة المحلية الدارجة، بالإضافة إلى إتقانه اللغة العربية إبان دراسته الجامعية وفترة إعداد رسالته للدكتوراه.(٤١)

«لقد أثار (كتاب مكة) اهتمامًا كبيرًا في دوائر الاستشراق في العالم الغربي، فكتب في تقريظه الكثير من علماء الاستشراق، بوصفه الكتاب الوحيد الذي اعتمد فيه المؤلف على السماع المباشر من أفواه الناس والمشاهدة الحية. فلم يكن الكتاب كغيره من كتب الرحالة الذين وجدوا في مكة لبضعة أيام خلال موسم الحج، فدونوا ملحوظات عابرة وسطحية، اعتمدوا في أكثرها على ما هو موجود في بطون الكتب، فجاءت هشة ينقصها العمق. وإزاء الشهرة التي

ذاع صيتها لهذا المؤلف القيم، قام قنصل بريطانيا في جدة المستر هـ. موناهان Monahan بترجمة الجزء الثاني من الكتاب، والمتعلق بالحياة الاجتماعية للمدينة المقدسة إلى اللغة الإنجليزية، وظهر بعنوان (مكة في نهاية القرن التاسع عشر)، وقد طبعت الترجمة أول مرة في عام ١٩٣١م (١٣٥٠ هـ) في مدينة ليدن، ولقد نالت الترجمة شهرة واسعة في أوائل القرن العشرين بين قراء الإنجليزية، مماثلة للشهرة التي نالها الكتاب بالألمانية عند صدوره، واعتمد عليها أكثر من كتب عن تاريخ مكة في العصر الحديث». لقد جاء الكتاب بجزأيه سفرًا كبيرًا يلقي الضوء على تاريخ مكة المكرمة وعلى أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والسكانية.[٤٢]

٦. سنوك والكوليرا:

ويذكر سنوك: وفي منتصف عام ١٨٣١م/ ١٢٤٦هـ أصابت الكوليرا سكان مكة المكرمة لأول مرة، وكان من بين ضحاياها أعداد لا حصر لها من الناس، من بينهم الباشا التركي، وقد تولى نائبه من بعده.[٤٣]

الخاتمة:

نستنتج مما سبق عرضه خطورة تفشي الأوبئة والأمراض التي تُبتلى بها الأمم والشعوب والبلدان، ومنها الشعوب الإسلامية، التي تفتقد إلى الوعي الكافي والثقافة الصحية اللازمة لحماية نفسها من الوقوع فريسة سهلة لتلك الأوبئة، وخاصة وقت تجمعها في الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، في ظل قلة وضعف المنشآت الصحية والرعاية الصحية المقدمة من الحكومات القائمة آنذاك، في ظل التصارع السياسي المحلي والإقليمي، والأطماع الدولية في المنطقة العربية في تلك الفترة.

الهوامش والإحالات والمصادر والمراجع

*دكتوراه في التاريخ والحضارة من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى. (باحث مستقل).

١) سورة التين، آية رقم (٣)

٢) سورة البلد، آية رقم (٣)

٣) المقدسي: شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: دي غوري، ليدن، ١٩٠٦م، مصورة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص٩٥-٩٧؛ مرزا معراج: الأسس الجيولوجية ودورها في نشأة مظاهر السطح لمنطقة الحرم، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٢٥هـ، ص١٧؛ أميرة مداح وآخرون: المشاعر المقدسة عبر العصور، كرسي الملك سلمان لدراسات تاريخ مكة، مكة المكرمة، ١٤٣٧هـ، ص٢٢٣.

٤) العصامي: عبدالملك بن حسين: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ج٤، ص٣٠٦؛ السنجاري: علي تاج الدين بن تقي الدين: منائح الكرم في تاريخ مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق: جميل المصري وآخرون، جامعة أم القرى، مكة، ط١، (١٤١٩ه). ج٣، ص٢٣١؛ الطبري المكي: محمد بن علي بن فضل: إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، تحقيق محسن محمد حسن سليم، دار الكتاب الجامعي، القاهرة ط١، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٣م)، ج٢، ص٣٤٧؛ دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء

البلد الحرام، ص٥٠؛ السباعي: أحمد: تاريخ مكة، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ص٣٤٤؛ حقي: إسماعيل حقي جارشلي: أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني، الدار العربية للموسوعات-بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ، ص٤٥، ص١٣٢.

٥) دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ص٣٠٠-٣٢٠؛ السباعي: تاريخ مكة، ص٥٥٠-٦٠٠،٦٠٠-٦٤٠؛ الحمدي: صبري فالح: أشراف الحجاز في القرن الثامن عشر، مؤسسة المختار-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٣٠-٣٣.

٦) صابرة مؤمن إسماعيل: جدة خلال الفترة ١٢٨٦-١٣٢٦هـ/ ١٨٦٩-١٩٠٨م، دارة الملك عبدالعزيز-الرياض، ١٤١٨هـ، ص١٢-١٤.

٧) أميرة مداح وآخرون: المشاعر المقدسة عبر العصور، كرسي الملك سلمان لدراسات تاريخ مكة، مكة المكرمة، ١٤٣٧هـ، ص٢٢٤-٢٢٦.

٨) البتنوني: الرحلة الحجازية، مكتبة المعارف-الطائف، الطبعة الثالثة، ص٣٠٥؛ الكردي: محمد طاهر: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، مكتبة النهضة الحديثة-مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٨٥ه، ج٢، ص٢٢٩.

٩) سَرْغ: بفتح السين وسكون الراء المهملتين وآخره معجمة: هو السهل الذي تقع فيه محطة المُدَورة على الطريق شمال تبوك على (١٢٠) كم، ولا زالت في المدورة بئر تعرف بسرغ لبني عطية. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر والتوزيع-مكة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر -بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ج٤، ص٨٠٤.

١٠) صحيح البخاري: كتاب الحيل، باب: ما يكره من الاحتيال في الفرار من الطاعون، حديث رقم (٦٩٧٣)، ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط١، (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، دار الغد الجديد-القاهرة. ج١٢، ص٤٩٥.

١١) صحيح البخاري: كتاب الحيل، باب: ما يكره من الاحتيال في الفرار من الطاعون، حديث رقم (٦٩٧٤)، ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١٢، ص٤٩٥.

١٢) ابن كثير: أبي الفداء إسماعيل بن كثير: البداية والنهاية، حققه: محيي الدين ديب مستو، راجعه: عبدالقادر الأرناؤوط وبشار معروف، ج٢، ص١٥٤؛ ج٦، ص٣٠٢؛ ج٧، ص ١٦٠.

١٣) الشريف: أحمد إبراهيم: دراسات في الحضارة الإسلامية، دار الفكر العربي، ص ٢٥٤-٢٥٣؛ النجار: عبد الوهاب: الخلفاء الراشدون، (١٩٨٦)، دار القلم، بيروت، ص ٢٢٢-٢٢٤.

١٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات -بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ج٢، ص٢١٤؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، مكتبة النهضة المصرية-القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٦٤م، ج١، ص٥١٢؛ عاقل: نبيه: تاريخ خلافة بني أمية، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٥، ص٢٣٣.

١٥) بلاد التكرور ومفردها التكروري في وسط وغرب أفريقيا، وهي مملكة امتدت من غرب السودان إلى سواحل المحيط الأطلسي، ذكرها الإدريسي في رحلته» نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، عالم الكتب، الطبعة الأولى،

١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ج١، ص١٧-٢٠؛ وبلاد الجبرت ومفردها الجبرتي، شرق أفريقيا، قال الجبرتي: «وبلاد الجبرت هي بلاد الزيلع بأراضي الحبشة»، عجائب الآثار، حققه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر ٢٠١٠م، ج١، ص٣٠٥.

١٦) دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ص٣٠٩.

١٧) البقاعي: محمد خير: رحلات الفرنسيين إلى الجزيرة العربية، الرياض، ١٤٢٥هـ، ص١٦.

١٨) عائشة جعفري: حجر الأساس لبناء «المحجر الصحي» قبل تحوله إلى حي سكني، صحيفة الشرق الأوسط، الإثنين -٢٩ رجب ١٤٤١ هـ -٢٣ مارس ٢٠٢٠ مـ رقم العدد [١٥٠٩١].

١٩) يلدز: جولدن صاري: الحجر الصحي في الحجاز ١٨٦٥-١٩١٤م، تحقيق: عبدالرزاق بركات، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص٣٥-٤٧.

٢٠) يلدز: الحجر الصحي في الحجاز ص٤٨-٦٥، ص١٥٦-١٦٢.

٢١) يلدز: الحجر الصحي في الحجاز، ص١٩٢-٢٤٠.

٢٢) يلدز: الحجر الصحي في الحجاز، ص٢٤١-٢٥٠.

٢٣) البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٣٠٥.

٢٤) المومني: نضال: مصر والأوضاع الصحية في الحجاز خلال موسم الحج أواخر العهد العثماني، مجلة دراسات تاريخية-العددان ١٠١-١٠٢-آذار-حزيران لعام ٢٠٠٨م، ص٢١١؛ الروقي: المنشآت الطبية في الحرمين الشريفين

خلال العهد العثماني، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، عدد (٨٨)، السنة (٢٢)، خريف ٢٠٠٤م، ص ٣٣-٣٦.

٢٥) باشا: محمد صادق: الرحلات الحجازية، تحرير محمد همام فكري، بدر للنشر، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٩م، ص١٧٩، ص٣٠٤.

٢٦) مرآة الحرمين، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، ج١، ص١٦. وانظر الوثيقة في الملاحق.

٢٧) العتيق: يوسف بن محمد: الوباء الأكبر والأشد في تاريخ الحجاز، صحيفة الجزيرة، العدد: ١٠٧٣٨، الخميس ٩، ذو الحجة ١٤٢٢هـ.

٢٨) محمود الدسوقي: الكوليرا (تقرير القصر العيني)، صحيفة الأهرام المصرية، ١٠-٨-٢٠١٧م. وفي الملاحق صور التقرير.

٢٩) أغسطس رالي: مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى، ترجمة: حسن سعيد غزالة، راجعه وعلق عليه: محمد محمود السرياني، ومعراج نواب مرزا، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٠هـ، ص٢٣-٢٦.

٣٠) أغسطس رالي: مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى، ص٢٣.

٣١) أغسطس رالي: مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى، ص١٦٣؛ صابرة مؤمن إسماعيل: جدة خلال الفترة ١٢٨٦-١٣٢٦هـ/ ١٨٦٩-١٩٠٨م، ص ١٥٠.

٣٢) بوركهارت: جون لويس: ترحال في الجزيرة العربية، ترجمة: صبري محمّد حسن، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ج١، ص٢-٨.

٣٣) بوركهارت: ترحال في الجزيرة العربية، ج٢، ص١٩٩-٢٠٧.

٣٤) دولتشين: الحج قبل مائة سنة، الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العزيز دولتشين إلى مكة المكرمة ١٨٩٨-١٨٩٩، جمعه ورتبه ونسقه وترجمه إلى العربية: يغيم ريزفان، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية -بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ -١٩٩٣ م، ص٧-١٥.

٣٥) دولتشين: الحج قبل مائة سنة، ص٢٤١-٢٤٥.

٣٦) دولتشين: الحج قبل مائة سنة، ص٢٤٦-٢٥٣.

٣٧) دولتشين: الحج قبل مائة سنة، ص٢٥٥-٢٥٧.

٣٨) ديدييه: شارل: رحلة إلى رحاب الشريف الأكبر شريف مكة في النصف الثاني عشر الميلادي ١٨٥٤م، ترجمة وتعليق: محمد خير البقاعي، دار الفيصل الثقافية: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص١١-٢٠.

٣٩) ديدييه: شارل: رحلة إلى رحاب الشريف الأكبر، ص١٣٧-١٤٥.

٤٠) ديدييه: شارل: رحلة إلى رحاب الشريف الأكبر، ص١٣٠.

٤١) سنوك: هورخرونيه: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمه: علي عودة الشيوخ، أعاد صياغته وعلق عليه: محمد محمود السرياني، معراج نواب مرزا، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩هـ، ج١، ص٢٧-٣٠.

٤٢) سنوك: هورخرونيه: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ج١، ص٥١-٦٢. (من دراسة/ د.معراج مرزا ود.محمود السرياني في تقديمهما لكتاب «مكة»).

٤٣) سنوك: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ج١، ص٢٧٩.

الملاحق: الصور والوثائق.

- الصورة (١) المسجد الحرام في القرن التاسع عشر الميلادي.



- الخارطة رقم (١) ميناء جدة.



• الشكل (١) (أ) برقية إلى ولاية الحجاز حول التشديد على حظر اختلاط السالكين بين مكة المكرمة وجدة لمنع انتقال العدوى سنة ١٣١٥هـ ١٨٩٧ م. (من وثائق أ.د.هشام عجيمي).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْم

وثائق الحرمين الشريفين : مكة المكرمة ، المدينة المنورة ، مدن الحجاز ، وطرق الحاج

عنوان الوثيقة : برقية الى ولاية الحجاز حول التشديد على حظر اختلاط السالكين بين مكة المكرمة وجدة لمنع انتقال العدوى سنة ١٣١٥ هـ ١٨٩٧ م .

رقمها في المدونة : ٨١٣ heshamojaimi.com

الفهرسة الوصفية :

المصدر : الجمهورية التركية .

مكان الحفظ : أرشيف رئاسة مجلس الوزراء التركي . إسطنبول .

التصنيف في المصدر : BOA . A . MKT. MHM

الرقم في المصدر : 14 – 574

النوع : برقية التاريخ : ٢١ / ١ / ١٣١٥ هـ ٢٢ / ٦ / ١٨٩٧ م

المادة : ورق حكومي . عدد الأوراق : ١

عدد الصفحات : ١ الحالة : جيدة .

مساحة الوثيقة : صورة اليكترونية الخطوط المستخدمة : رقعة دارج .

اللسان : عربي وتركي عثماني وتركي حديث .

١

• الشكل (١) (ب) برقية إلى ولاية الحجاز حول التشديد على حظر اختلاط السالكين بين مكة المكرمة وجدة لمنع انتقال العدوى سنة ١٣١٥هـ ١٨٩٧ م. (من وثائق أ.د.هشام عجيمي).

نص الوثيقة :

الى ولاية الحجاز الجليلة

جواب ، وصلنا في ٣ حزيران ١٣١٣ (رومي) من نظارة الصحة الجليلة ، بأنها ابلغتكم ، كما أبلغت وكالة مديرية الصحة ، حول السماح بتمرير بعض المؤن التي لا تحمل خطر العدوى ، من بحرة حسب الأصول . مع الحرص على منع اختلاط السالكين بين مكة المكرمة وجدة ، وتبخير المواد التي قد تحمل العدوى . ونوصيكم في اجراء ذلك بحرص شديد حسب التوجيه .

بموجبه تم تحويل الأوراق الى المديرية المحلية .

١٠ حزيران سنة ١٣١٣ (رومي) .

٣

• الشكل (٢) (أ) منحة السلطان عبد الحميد الثاني لمصاريف المنشآت الصحية في الحجاز سنة ١٣١١هـ ١٨٩٣م (من وثائق أ.د.هشام عجيمي).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْم

وثائق الحرمين الشريفين : مكة المكرمة ، المدينة المنورة ، مدن الحجاز ، وطرق الحاج

عنوان الوثيقة : منحة السلطان عبد الحميد الثاني لمصاريف المنشآت الصحية في الحجاز سنة ١٣١١ هـ ١٨٩٣ م .

رقمها في المدونة : ٧٨٥ heshamojaimi.com

الفهرسة الوصفية :

المصدر : الجمهورية التركية .

مكان الحفظ : أرشيف رئاسة مجلس الوزراء التركي . إسطنبول .

التصنيف في المصدر : BOA . Y . A . HUS

الرقم في المصدر : 67 – 283

النوع : مذكرة التاريخ : ٢٥ / ٤ / ١٣١١ هـ ٤ / ١١ / ١٨٩٣ م

المادة : ورق حكومي . عدد الأوراق : ١

عدد الصفحات : ١ الحالة : جيدة .

مساحة الوثيقة : صورة اليكترونية الخطوط المستخدمة : ثلث ، رقعة دارج .

اللسان : عربي وتركي عثماني وتركي حديث .

١

• الشكل (٢) (ب) منحة السلطان عبد الحميد الثاني لمصاريف المنشآت الصحية في الحجاز سنة ١٣١١هـ ١٨٩٣م (من وثائق أ.د.هشام عجيمي).

نص الوثيقة :

بسملة

الباب العالي

دائرة الصدارة

ديوان آمدي السلطاني

١٤٢٤

نقدم برفقه أسماء الصحف التي نشرت واشادت بالمدائح خبر منح صاحب مقام الخلافة مبلغ ثلاثون الف ليرة ، لتغطية مصاريف دور الضيافة والمستشفيات والمحاجر الصحية التي امر بإنشائها في كل من مكة المكرمة وجدة ، سيدي .

في ٢٥ ربيع الاخر سنة ١٣١١ هـ ٢٣ تشرين اول سنة ١٣٠٩ رومي

الصدر الأعظم والياور الاكرم

جواد

٣

• الشكل (٣) أجرة المحجر الصحي لكل حاج (مرآة الحرمين: إبراهيم رفعت باشا، ج١، ص١٨).

١٨ نقد نظام أخذ الرسوم والأجرة بجدّة

إدارة المحجر الصحى بجدّة . مكتوب رقم ١٧٢ . الى محافظ المحمل المصرى الشريف .

صاحب السعادة . قضى النظام المتبع بأن يوخذ من كل حاج يقدم الى مكة عشرة قروش للادارة الصحية . وقد حضرت بالأمس الى جدّة باخرة النجيلة فيها ٢٨ حاجا تحت رعايتكم دفع خمسة منهم الرسوم و ٢٣ لم يدفعوا فنرجو أخذ ٢٣٠ قرشا منهم وارسالها الينا والأمر لكم .

٢٧ ذى القعدة سنة ١٣٢٠هـ (١٢ شباط سنة ٣١٨)

- الشكل (٤) تقرير طبي من القصر العيني بمصر عن الوباء.

من اين يأتينا الوباء

لا شبهة في ان الكولرا (الهواء الاصفر) يتولد في بلاد الهند وتنتشر منها الى غيرها من الاقطار ثم لا تلبث في تلك الاقطار الّا بضعة اشهر او بضعة سنين فتزول منها ولا تعود اليها الّا اذا اتتها من بلاد الهند ثانية محمولةً اليها على اجسام الآتين من الهند او البضائع الواردة منها اي انها لا تتولد من نفسها الّا في بلاد الهند ولا تنتقل منها الى غيرها الّا بواسطة الناس والبضائع

وقد وضع جناب الدكتور سندوث احد اطباء مستشفى قصر العيني رسالة في الكولرا جاء فيها على خلاصة تاريخ هذا الوباء بالنسبة الى القطر المصري ومما قاله فيها ان الكولرا ظهرت اولاً في القطر المصري عام ١٨٣١ وقد انتقلت اليه من الحجاز بواسطة الحجاج. ثم ظهرت شديدة عام ١٨٤٨ وكان بدء انتشارها في مولد طنطا حيث اجتمع ١٩٥ الف نفس. وعادت فظهرت سنة ١٨٥٠ و١٨٥٥ و١٨٦٥ بواسطة الحجاج ايضاً ولم تظاهر بعد ذلك شديدة الوطأة حتى سنة ١٨٨٣

وقد اختلف الباحثون في سبب ظهورها سنة ١٨٨٣ فقال البعض انها جاءت القطر المصري من بلاد الهند توّاً وقال البعض الآخر انها كانت باقيةً في القطر المصري من سنة ١٨٦٥ . وقد اسهب الدكتور سندوث في هذا الموضوع وذكر كثيراً من ادلة الفريقين ولا نطيل الكلام فيها لانها ذُكرَت في المُقتطف منذ بضع سنين

ثم ذكر رأياً آخر في سبب انتقال الكولرا الى القطر المصري سنة ١٨٨٣ وهو رأيه

- الشكل (٥) تقرير طبي عن الوباء من القصر العيني بمصر.

من اين ياتينا الوباء ١٨١

٤٠٦٧ و بطريق خليج العجم عشرين الفاً والمظنون ان عدد الحجاج كلهم بلغ ثمانين الفاً الى مئة الف وبلغ عدد الوفيات في جدة ٣٠، في اليوم من الحجاج وكان عددهم ١٢ الفاً ثم قلّ عدد الوفيات رويداً رويداً فبلغ ٧٦ في العاشر من اوغسطس (آب) و٧٩ في الحادي عشر وكان حينئذ ١٠٨ و١١٧ في مكة. وكان متوسط عدد الوفيات عموماً من اربع مئة الى خمس مئة في اليوم على ما في التقارير الرسمية . والمظنون ان عدد الوفيات في الحجاز بلغ في ثلاثة اسابيع من خمسة وعشرين الفاً الى ثلاثين الفاً بالوباء وبغيره من الامراض ولقد احسنت الحكومة المصرية في منعها المساكين من الذهاب الى الحجاز قبل ذلك لان اكثر المتوفين من المساكين والعاجزين

والحجّاج الذين بلغوا الطور في العام الماضي كانوا عشرة آلاف و١٢١ نفساً توفي منهم في الطور ٤٢٢ نفساً ولكن الذين توفوا بالوباء كانوا ١٢٥ نفساً فقط وذلك بين الحادي عشر من اوغسطس (آب) والعشرين من نوفمبر (ت ٢) وكان اكثر من نصف الحجّاج من المصريين ولكن لم يمت منهم في الطور بالكولرا الّا شخص واحد ومات منهم ثلاثون بامراض اخرى . وتوفي من الحجّاج المصريين بالكولرا في الحجاز نحو مئتين فقط . اما الاحتياطات الصحية التي اتخذتها الحكومة المصرية لتطهير القطر ومنع الوباء من الدخول اليه في العام

دراسةٌ وثائقيةٌ

لشهادةِ نَسَبٍ نُمَويةٍ

لفرع من آل الشريف محمد أبي نُمَي الثاني حاكم الحجاز وأمير الحرمين بالقرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي

دراسة وتحقيق:

حكمتها ونشرتها دورية كان التاريخية

في عددها [٥١]

الملخص:

- **المقدمة: الأهمية، الأهداف.**
- **مدخل الدراسة: الأهمية والمقاربة المنهجية:**

تعد الوثائق من المصادر الأصلية والأساسية لدراسة التاريخ والحضارة العربية لكونها منبعاً مادياً يرد فيه الكثير من المعلومات الأصلية لكل باحث يرغب في الوصول إلى الحقائق العلمية في مجال التاريخ والأنساب وغيرهما، ومن هنا تكمن أهمية شهادات الأنساب، في أنها من وسائل حفظ النسب للأجيال، ودعم أواصر الترابط والتكافل الاجتماعي بين الأسر والقبائل، ولتحقيق هذه الأهمية، كان لا بد من التوثيق بوسائل عدة كالمشجرات والكتب والصكوك، وشهادات الأنساب.

(وقد تمت الدراسةُ للشهادةِ النَّسَبيةِ بطلب شخصي من الشريف الحسين بن أحمد أبوطالب آل خيرات النُمَوي الحسني «ابن صاحب الشهادة»).

- **أهداف الدراسة:**

١- بيان أهمية الوثائق كأساس مهم في بناء الحقائق،كونها تمثل الأصول الدقيقة التي يجد الباحث في محتواها ما يكمل به الحلقات التاريخية المفقودة.

٢- التعريف بشخصية الشريف محمد أبونُمَيّ الثاني، حاكم الحجاز وأمير الحرمين في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي. «الجد الشامل لجل قبائل أشراف الحجاز وما تفرع منهم في المخلاف السليماني».

٣- دراسة الوثيقة بتطبيق قواعد علم الوثائق «علم الديبلوماتيك» لمعرفة أجزاء الوثيقة، وأسلوبها من الناحيتين الفقهية، والوثائقية، كالسمات العامة للوثيقة (الخارجية والداخلية).

٤- توثيق سير شهود الوثيقة من أعيان أشراف مكة المكرمة في تلك الفترة.

- **منهج البحث:**

من منطلق أن طبيعة الموضوع (في كلياته وجزئياته) هي التي ترسم بالأساس ملامح المقاربة المنهجية التي ينبغي اعتمادها في البحث؛ ونظراً لطبيعة هذه الدراسة الوثائقية، فقد استخدم الباحث المنهج التحليلي (لشهادة النسب)؛ المؤدي إلى تفسير نص الوثيقة، وإظهار محتواها، والكشف عن غايات كُتَّابها ودقتهم، ونتائجها. وقد قسمت البحث إلى مدخل وستة مباحث وخاتمة.

- **الفترة الزمنية والمكانية «النطاق»**: دراسة لوثيقة نسبية أُنشئت بمكة المكرمة بتاريخ ٢/ ١٢/ ١٣٩٢هـ الموافق ٦/ ١/ ١٩٧٣م.

- **الدراسات السابقة أو المثيلة:**

لأن الحجاز مهد الأسر والقبائل الهاشمية خاصة (الحسنيين) سلالة حكام بلاد الحرمين، فقد عُرف عنهم تواتراً اهتمامهم بتوثيق أنسابهم جيلاً بعد جيل، ونسلاً بعد نسل، ومن ذلك يقول النسابة الشهير ابن عنبة في مقدمة كتابه عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: هذه بيوتات العلوية العارية عن العار متوافرة،

وقبائل الفاطمية الطاهرة عن الغبار متكاثرة، قد قام بتصحيح اتصالهم في كل زمان علاَّمون من الأمة، ونهض بتنقيح حالاتهم في كل أوان فهَّامون من الأئمة.

وهنا فقط أشير إلى بعض الدراسات المعاصرة التي اعتنت بأنساب الأشراف، خاصة في مجال حفظ المشجرات والوثائق ودراستها: كتاب/ عناية أشراف الحجاز بأنسابهم والمصنفات التي عنيت بتدوينها للشريف إبراهيم بن منصور الهاشمي الأمير، وكتاب/ معجم أشراف الحجاز في بلاد الحرمين للشريف أحمد ضياء العنقاوي.

• **الكلمات المفتاحية**: الوثيقة، الشهادة، الأشراف، النسب، آل أبي نُمَي الثاني، مكة المكرمة.

Abstract

A documentary study

to declare the Numyah pedigree

For a branch of Al-Sharif Muhammad Al-Abi Numy Al-Thani ruler of Hijaz and the prince of the Two Holy Mosques

In the tenth century AH / sixteenth century AD

Study done by

Dr. Mohammed bin Hussein Al-Harthi Al-Sharif

AH- 2020 AD/1441

Structure Search:

The research was divided into an introduction , six sections and a conclusion.

Introduction: The Importance and Methodological Approach.

The first topic: The Importance of the Pedigree Documents.

The second topic: The Grandfather of Numiah of AlAshraf.

The third topic: the Study of the Pedigree Declaration.

The fourth topic: The Biographies of the Pedigree Documents Declarers.

The fifth topic: The most important effects of the Pedigree Documents.

The sixth topic: The Text and a Copy of the Original Pedigree Documents.

Conclusion:

Key words: document, declaration, Alashraf , Pedigree Al-Abi Numai Al-Thani, Makkah Al-Mukarramah, Jizan.

المبحث الأول:

أهمية الوثائق النسبية:

تعد الوثائق أساساً مهماً في بناء الحقائق كونها تمثل الأصول الدقيقة التي يجد الباحث في محتواها ما يكمل به الحلقات التاريخية المفقودة، ولهذا فإن الدراسات التاريخية تعتمد اعتماداً كبيراً على الوثائق كونها من المصادر الأصلية والأساسية لكل مؤرخ وباحث يريد إضافة مادة جديدة للتاريخ.[(١)]

وفي اللغة تعني الوثيقة: الإحكام في الأمر، والجمع وثيق، والوثيقُ: الشيء المُحكم، والموثِقُ الأمانة، ووثق وثاقه: مصدر الشيء المحكم، ووثقه توثيقاً أحكمه، والميثاق العهد، والجمع مواثيق.[(٢)]

وقدم الحجيلي[(٣)] لتعريف الوثيقة لدى علماء التوثيق المعاصرين؛ التعريفات التالية:

١-عرفها الألماني «مولر» بقوله: «كل ما هو مكتوب أو مرسوم أو مطبوع، والذي يصدر أو يستلم من أي دائرة أو مؤسسة رسمية، والذي تقرر الاحتفاظ به لأهميته وفائدته لتلك الدائرة».

٢- عرفها الإيطالي «يوجينو» بقوله: «التجميع المنظم للوثائق الناتجة عن فعاليات الدوائر والمؤسسات أو الأشخاص، والتي تقرر حفظها لأهميتها

(١) الشاهين: محمد عمر، نصوص ووثائق تاريخية، دار الفكر - الأردن- عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م- ١٤٣٠هـ، ص١٩.

(٢) الشاهين: نصوص ووثائق تاريخية، ص٢١؛ الحجيلي: عبدالله بن محمد بن سعد، علم التوثيق الشرعي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٣٥.

(٣) علم التوثيق الشرعي، ص١٩-٢٠.

السياسـية أو القانونيـة أو الشـرعية لتلـك الدائـرة أو الشـخص».

٣- عرفهـا الألمـاني «أودلـف برنيكـه» بقولـه: «كافـة الأوراق والسـجلات التـي وجـدت وتجمعـت خـلال الأعمـال القانونيـة أو الرسـمية للمؤسسـات الحكومية والتـي تقـرر حفظهـا بصـورة دائمـة في مـكان معيـن كمصـدر إثبـات للماضـي».

وهـذه تعريفـات ذكرهـا بعـض علمـاء العـرب عـن علـم الوثائـق «الدبلوماتيـك التاريخيـة والقانونيـة»:-

١- عرفهـا الأستاذ/ الموسوي بقولـه: «هـي الوثيقـة العامـة المتعلقـة بأعمـال جهاز إداري رسـمي أو غيـر رسـمي «حكومـي أو غيـر حكومـي» أو فـرد أو جمعيـة، والتـي انتهـى العمـل منهـا بحيـث يمكـن الرجـوع إليهـا مستقبلاً، وتحفـظ بطـرق خاصـة لغـرض صيانتهـا والمحافظـة عليهـا، ولهـا قيمـة تاريخيـة أو أهميـة قانونيـة، أو ماليـة، أو إداريـة».

٢- عرفهـا د . محمـد ماهـر حمـادة بقولـه: «صـك يحتـوي علـى معلومـات تصدرهـا هيئـة رسـمية معتـرف بهـا. ومعتـرف لهـا بالحـق في إصـدار تلـك الأشـياء. ويحمـل مـن السـمات العائـدة إلـى تلـك الهيئـة مـا يمكـن الاطمئنـان إلـى صحـة صدورهـا عـن تلـك الهيئـة لقطـع دابـر التزويـر».

٣- عرفـت: سـلوى مـيلاد الوثائـق العامـة بقولهـا: «مكتوبـات بطريقـة وشـكل محـدد ومعيـن صـدرت عـن سـلطة عامـة أو شـخصية معنويـة مـن السـلطة العامـة بصفتهـا الوظيفـة العامـة» أمـا الوثيقـة القانونيـة «الدبلوماتيكيـة» فعرفتهـا بقولهـا: «مكتـوب كدليـل قانـوني يحتـوي فعـلاً أو تصرفـاً قانونيـاً صـادر بـإدارة المتصـرف أو المتصرفيـن».

- **شروط الوثيقة النسبية:**

كما سبق بيان أن للوثائق دورًا مهمًا لا يقلُّ شأنًا عن دور الكتب والمصنفات وهو مكمل لها وقد مرت الجزيرة العربية وغيرها من المناطق بفترة ركود تفشى فيها الجهل فأصبحت الكتب لا تفي بهذا الغرض مما جعل الناس يعتمدون على الوثائق المحفوظة لدى كثير من الناس التي هي عبارة عن حجج وصكوك ومشاهد قديمة شيء منها معتمد من قبل المحاكم في ذلك الوقت وشيء منها معتمد من قبل نسابين معروفين.

ويشترط للوثيقة لكي تكون معتمدة عدة أُمور:

١-أن تكون معتمدة موثقة بتواقيع أو أختام.

٢-أن تكون مؤرخة.

٣-أن تكون غير مخالفة لما هو معروف عند المؤرخين أو النسابين.

٤-ألا تكون مزورة.

٥-أن تكون واضحة غير مبهمة.[١]

- **طريق ثبوت النسب الشريف عند علماء الشريعة بالدلائل التالية:**

أولاً: النص من المؤرخين الثقات أن البيت الفلاني أو آل فلان من أهل البيت ويعرف أن الشخص الذي يشتبه فيه من أهل ذلك البيت المنصوص عليه من المؤرخين الثقات.

---

(١) الشريف: ناجي الهجاري، الجمان في تاريخ ينبع على مدار الزمان، وإتحاف السائل في وثائق القبائل في العصر العثماني، دار البصائر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص١١٩.

ثانيـًا: أن يكـون بيـد مـن يدعـي أنـه مـن أهـل البيـت وثيقـة شـرعية مـن بعـض القضـاة المعتبريـن أو العلمـاء الثقـات أنـه مـن أهـل البيـت، ومنهـا الاسـتفاضة عنـد أهـل البلـد أن آل فـلان مـن أهـل البيـت.

ثالثـًا: وجـود بينـة عادلـة لا تنقـص عـن اثنيـن تشـهد بذلـك، مستندة في شـهادتها إلـى مـا يحسـن الاعتمـاد عليـه مـن تاريـخ موثـوق أو وثائـق معتبـرة أو نقـل عـن أشـخاص معتبريـن، وأمـا مجـرد الدعـوى التـي ليـس لهـا مبـرر فـلا ينبغـي الاعتمـاد عليهـا لا في هـذا ولا في غيـره.[1]

- أهمية الشهرة والاستفاضة

بيَّـن العلامـة الشـريف إبراهيـم الهاشـمي الأميـر: أن تحقـق الشـهرة والاسـتفاضة والسـماع هـي التـي عليهـا مـدار إثبـات الأنسـاب البعيـدة بإجمـاع علمـاء الإسـلام، واتفقـت عليـه كلمـة أئمـة المذاهـب الأربعـة؛ فـإذا اجتمعـت للأسـرة شـهرة واسـتفاضة صحيحـة وذِكْـرٌ في المصـادر التاريخيـة والنسـبية؛ أصبـح النسـب نـورًا علـى نـور؛ لأن ثبـوت الأنسـاب تكفيـه الشـهرة والاسـتفاضة الصحيحـة المجمـع عليهـا، قـال العلامـة الونشريسـي (ت٩١٤هـ): «اعلـم أنـه يكفـي في ثبـوت هـذا النسـب لمدَّعِيـه السـماع الفاشـي، ويتقـوى ذلـك بثبوتـه عنـد القضـاة».[1]

---

(١) الحارثي: الشريف محمد بن حسين، الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف، دراسة تاريخية وثائقية، مؤسسة الريان-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص٤٧١.

(٢) الهاشمي الأمير: إبراهيم بن منصور، رسائل في أصول وقواعد علم النسب، خير جليس للنشر والتوزيع- جمهورية مصر العربية، الطبعة الثانية، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م، ص١٩-٣٠، ص٣٨.

المبحث الثاني

جد الأشراف النُّمَويين

الشريف محمد أبونُمَي الثاني حاكم الحجاز وأمير الحرمين في القرن العاشر الهجري:

هو الشريف محمد أبو نمي الثاني بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان بن رميثة بن محمد أبي نمي الأول بن أبي سعد الحسن بن علي الأكبر بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبدالله الأكبر بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبدالله الرضى بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

ولد رحمه الله ليلة التاسع من ذي الحجة من عام ٩١١هـ، وكان والده الشريف بركات يمسح على ناصيته ويقول: كنت في أكدار وكروب متوالية، حتى ظهرت لي هذه الناصية.

وكان يُلقب نجم الدين، «صاحب القانون»، شارك أباه بركات في ولاية مكة، وعمره ثمان سنوات، حيث صدرت له هذه الولاية من السلطان المملوكي الغوري عام ٩١٨هـ، وبعد سقوط الحكم المملوكي على يد العثمانيين أبقاه السلطان العثماني مشاركًا لوالده في إمارة مكة، ثم منفرداً بالإمارة بعد وفاة والده.

وعدَّه المؤرخون زعيماً قل من يضاهيه شهرة من طبقات الأشراف الأخرى.

وكان الشريف أبو نمي جم الفضائل، حسن الشمائل، محمود السيرة، له النثر الرفيع الفائق، والنظم البديع الرائق.

وامتاز أبونمي بحزمه في إدارة الأمور وصرامته في الحكم وبذلك هابته الأعراب والأهالي واحترمه الحجاج والمجاورون وقدر منزلته أصحاب السلطان من العثمانيين وقضى بحزمه على أصحاب الفتن وساعد على رخاء الأسعار، واستمرت مكة محكومة بأمره سنين في استقرار لا تعبث بها القلاقل والفوضى.

وأرسل السلطان الغوري يطلب الشريف بركات إلى عنده، فأرسل يعتذر إليه، ثم إن الشريف بركات أرسل ابنه السيد أبا نمي بن بركات في هذه السنة (إلى مصر للقاء السلطان، وكان عمره إذ ذاك ثمان سنين) وأرسل معه السيد عرار بن عجل وقاضيا مكة القاضي صلاح الدين بن ظهيرة الشافعي، والقاضي نجم الدين بن يعقوب المالكي، ولديه القاضي محمد والقاضي تاج الدين. وجملة من أعيان السادة الحسنيين وطائفة من قوادهم، فتوجهوا إلى مصر ومعهم السيد أبو نمي فلما دخلوا مصر قابلهم السلطان الغوري بالإعزاز والإكرام وأجلس السيد أبا نمي على حجره وقبل يده وفرح به غاية الفرح. ويقال: «إنه سأله ما سورتك؟» فقال له: «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً» فاستبشر الغوري بذلك وجعله شريكاً لوالده في أمر مكة، وجدة، وينبع، وسائر الأقطار الحجازية وكتب له توقيعاً بذلك.

فولي مكة بعد وفاة أبيه الشريف بركات ووصل إليه التأييد بعد وفاة أبيه من السلطان سليمان خان وكان عمره إذ ذاك نحو العشرين سنة وبعث قاصداً حضرة الأبواب السلطانية للسلطان الأعظم مولانا السلطان سليمان.

ومن الحوادث المهمة في تاريخه رحمه الله تصديه لغزو البرتغاليين «الإفرنج» لميناء جدة؛ وهي من الجهاد في سبيل الله تعالى في أعظم ثغور بيت الله الحرام، وكان ذلك في أواخر سنة ٩٤٨ هـ، دخلت طائفة عظيمة من الإفرنج وخربت غالب البنادر، فلما قصدوا جدة المعمورة نزلوا المرسى المعروف بأبي الدوائر في خمس وثمانين برشة «مركباً» مشحونة بالرجال والسلاح فقاتلهم الشريف بنفسه وترك الحج ونزل إلى جدة في جيش عظيم بعد أن أمر بالنداء في نواحي مكة المشرفة من صحبنا فله أجر الجهاد، وعليه السلاح والنفقة.

فبلغ أهل الجهاد مبلغاً عظيماً، لا يعد ولا يحد، ونفقة الشريف شاملة للجميع وعيون الكفار تدور عليهم كل حين فتشاهدهم يزيدون عَدَداً وعُدَداً وعيشاً رغداً، ورجال أبي نمي يتوجهون إلى أطراف البلاد ويحضرون بأنواع الطعام بأغلى ثمن حتى فرغت الحبوب وكادت تعدم فدخروها للخيل، وأقبلوا على نحر الإبل فكان يأمر بأن ينحر لكل مائة نفس بدنة ناقة أو بعير ..واستمر ذلك مدة فقال له بعض الناس: إن هذا الفعل يستأصل ما عندك من الإبل فأجابه «بأني نويت أنحر ما أملكه ويملكه أولادي وأحفادي، فإذا نفدت الإبل نحرت الخيل ثم كل حيوان يجوز أكله».

فلما قرب زمن الحج برز أمره إلى ابنه الشريف أحمد بن أبي نمي أن يقابل الأمراء ويلبس الخلع الواردة ويحج بالناس على عادة أجداده.

فلما وصل أمراء الحج وبلغوا ما قصدوه فحينئذ توجهوا للقاء الشريف أبي نمي بجدة لإلباسه الخلع، فلاقاهم وهو شاكي السلاح لابسًا درعه في هيئة المقاتل، ولما أن قرب الأمراء أمر بطلق المدافع فطلقت لمقابلتهم نحو ثلاث مئة مدفع، فكان (مشهدًا عظيمًا) فألبسوه الخلع الواردة صحبتهم، وانصرفوا راجعين للحج. ولما رأى الكفار صبره وحصاره لهم انقلبوا خاسئين.

ولما بلغ السلطان سليمان خان ذلك زاد في إكرام أبي نمي، وسمح له بنصف معلوم جدة، إلى غير ذلك من الإنعامات التي لا تحصى.

وفاته:

توفي الشريف أبو نُمَي بن بركات ليلة تاسوعا افتتاح سنة٩٩٢هـ بوادي الأبيار من جهة اليمن وحمل إلى مكة وصلى عليه تجاه الكعبة ميرزا مخدوم ودفن بالمعلاة.

وقيل إنه عاش ثمانين سنة، وشهرًا، ويومًا، ومدة ولايته منفردًا، ومشاركًا لولديه [أي أحمد والحسن] ثلاثة وسبعون سنة.

وكان رحمه الله صاحب خيرات، ومبرات كثيرة متكاثرة، أسس لأبنائه معالم الكرم، وحثهم على شريف المناقب والشيم. فبنى بمكة رباطين للفقراء المجاورين، ورباطًا للشرايف المنقطعات بمكة، وأوقف عليهما أوقافًا كثيرة. وأعقب المذكور أحمد والحسن وثقبة، وبركات، وبشير، وراجح، ومنصور، وسرور، ومن البنات ناصرة، وصالحة، وشمسية، وعيشة، وموزة، وراية، وغيرهم.(١)

(١) الحارثي: الشريف محمد بن حسين، الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف، دراسة تاريخية وثائقية، مؤسسة الريان-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص١٣٨-١٤١.

المبحث الثالث

دراسة الشهادة النَسَبية

فيما يلي الدارسة الوثائقية لشهادة النَّسَب، التي حُرِرت بتاريخ ٢/ ١٢/ ١٣٩٢هـ الموافق ٦/ ١/ ١٩٧٣م، في مكة المكرمة، في فترة حكم الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية.

- تعريف بموضوع الوثيقة:

هذه الشهادة النَّسَبية موضوعها الشهادة من عدد من نَسَّابَةِ وأعيانِ الأشراف بمكة المكرمة من آل الشريف محمد أبي نُمَي الثاني أمير مكة وحاكم الحجاز في القرن العاشر الهجري، لمن طلبها من الأشراف آل أبي طالب،(١) آل خيرات(٢) النُّمَويين القاطنين في المخلاف السليماني (منطقة جازان) جنوب المملكة العربية السعودية التي تبعد عن مكة المكرمة (٦٨٥) كيلاً جنوباً.

- السمات العامة للوثيقة (الخارجية والداخلية).

أولاً: السمات الخارجية:

١-الورق: هذه الشهادة النَّسَبية أصلية من مقتنيات (الشريف الحسين بن أحمد أبي طالب آل خيرات النموي الحسني)، لم يَسْبق تحقيقها، وكُتبت على ورق أبيض عادٍ.

٢-شكل الوثيقة: تتألف الشهادة من ورقة واحدة (وجه وظهر).

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن الأشراف آل أبي طالب آل خيرات. انظر: العنقاوي: أحمد ضياء، معجم أشراف الحجاز في بلاد الحرمين، مؤسسة الريان-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، المجلد الثاني، ص٨٠٨.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن الأشراف آل خيرات. انظر: العنقاوي: معجم أشراف الحجاز، المجلد الأول، ص٤٣٣.

٣-السطور: كُتبت الشهادة النسبية بخط جيد أقرب لخط الرقعة، في سطور كاملة منتظمة دون فواصل أو وقفات، ولم توضع الهمزات على بعض الحروف.

٤-السمات البيانية «البيليوجرافيا»:

أ-الخط: لم يستعمل الكاتب حروفاً كبيرة ولا المدات في الكلمات الافتتاحية أو بداية الفقرات.

ب-اللغة: عدم الالتزام بقواعد النحو والإملاء إلى حد ما؛ من مثل: (الحمدالله) (خيزان) (الأعلا).

ثانياً: السمات الداخلية:

وهي معرفة أجزاء الوثيقة، وأسلوبها من الناحيتين الفقهية، والوثائقية «الدبلوماتية»[(١)].

١- [الإجراء الافتتاحي] مقدمة الشهادة النسبية:

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه: أما بعد لما كان الأشراف ذوي الشريف خيرات القاطنين بمنطقة جيزان...

٢- عناصر نص الشهادة النسبية:

أ- أما بعد لما كان الأشراف ذوي الشريف خيرات القاطنين بمنطقة جيزان من

(١) يُعَرَّفُ علم الوثائق في اللغات الأوروبية باسم «علم الديبلوماتيك»، وقد أُشتق ذلك الاسم من الكلمة اليونانية (Diploma) ومعناها صحيفة مطوية، وقد سميت كذلك لأنها كانت تكتب في الأزمنة الماضية، إما على قراطيس البردي، أو قطع الرق، أو الورق عندما انتشرت صناعته في العالم، ثم تطوى الصحيفة بحيث تصير ملفوفة، وتحزم أحياناً بشريط من الجلد أو القماش، وقد يختم على هذا الشريط حفظاً للوثيقة من العبث والتزييف. للمزيد انظر: عيسوي: عصام أحمد، مدخل لدراسة الوثائق العامة في مصر، الإسكندرية، دار الثقافة العلمية،٢٠٠١م.

المملكة العربية السعودية هم من عقب الشريف خيرات بن شبير بن بشير ابن محمد أبي نمي الثاني.

ب- ولا يتطرق إلى نسبهم هذا أي شك بل هو واضح وثابتة في جميع المصادر التاريخية والمشجرات القديمة المحفوظة لدى النمويين من أشراف مكة المكرمة.

ت- علاوة على ما بأيدي الأشراف ذوي خيرات أنفسهم من مستندات شرعية.

ث- فأننا نصادق الشريف أحمد بن علي بن الحسن ابن محمد بن يحيى بن محمد أبوطالب بن محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات بن شبير بن بشير بن محمد أبونمي الثاني على صحة نسبه ونسب جماعته إلى جدهم الأعلا الشريف خيرات المذكور.

ج- وذلك منا احقاقا للحق وإبراء للذمة والله على ما نقول وكيل وشهيد وصلى الله على محمد وآله وصحبه د ن حرر ٢/ ١٢/ ١٣٩٢هـ

٣- **الإجراء الختامي**: وذلك منا إحقاقا للحق وإبراءً للذمةِ والله على ما نقول وكيل وشهيد وصلى الله على محمد وآله وصحبه د ن حرر ٢/ ١٢/ ١٣٩٢هـ

٤- **علامات الصحة والإثبات**: تواقيع الأشراف الواردة أسماؤهم بخط أيديهم.

وفيما يلي سير الموثقين وصاحب الشهادة الشخصية.

المبحث الرابع

سِيَرُ موثقي الشهادة النَسَبية

أ) -سيرة صاحب الشهادة:

الشريف أحمد بن علي بن الحسن بن محمد بن يحيى بن محمد أبي طالب بن محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات بن شبير بن بشير بن محمد أبي نمي الثاني.

من مواليد عام١٣٤٣هـ

مكان الولادة:

منطقة جيزان (جازان) - أبو حجر الأعلى - قرية تتبع صامطة، جنوب غرب المملكة العربية السعودية. وتعليمه لم يتجاوز الخامسة الابتدائي، ولكنه حفظ ثلث القرآن الكريم، وعمل جندياً في قيادة منطقة جيزان، ثم انتقل إلى تبوك للانضمام للخدمة العسكرية في الجيش من عام ١٣٧١هـ-١٣٧٧هـ، وانتقل بعد فترة من الزمن إلى مكة المكرمة بأسرته، وهنا التحق بالأمن العام (شرطة العاصمة المقدسة) بتاريخ ٨/ ٥/ ١٣٧٩هـ. إلا أن الأمن العام انتقل إلى الرياض العاصمة، عام ١٣٨٤هـ تقريباً، فانتقل معه للإقامة في الرياض، وعاش بها حتى وفاته ١٦/ ٩/ ١٤٢٨هـ. وقد أعقب سبعة ذكور، وثمان إناث.

وكان الشريف أحمد بجانب حفظه للقرآن، كان جميل الصوت بتلاوته، ويتقدم كثيراً للإمامة في غياب الأئمة، كما يتقدم أحيانًا لإلقاء المواعظ وشرح وتفسير بعض الآيات؛ عقب بعض الصلوات، فكان محباً للقراءة في كتب الفقه

والسيرة والتفاسير، حيث يحرص على اقتنائها. وكان جميل الخط، وله اهتمامٌ وحرصٌ بتحسينِ خطوط أبنائهِ.

وكان الشريف أحمد مُقدماً في أقربائه بالرياض، وهمزة وصل لهم بينهم وبين شيوخ القبيلة في الجنوب فيما يتعلق بهمومهم وأمورهم ومراجعاتهم، فكثيراً ما كانوا يجتمعون في داره للنقاش والتشاور والتحاور.

وكان حريصاً على التواصل والتراسل مع وجهاء وأعيان آل أبي طالب، وتحتفظ أسرته بعدد من تلك الخطابات والمراسلات، ومن هؤلاء الأعيان الشيخ محمد بن هزاع أبوطالب شيخ شمل الأشراف آل خيرات السابق، والشيخ الحسن بن زيد شيخ شمل الأشراف آل خيرات اللاحق، ووالد الشيخ محمد -الشيخ الحالي، والشريف أحمد بن حمود أبوطالب، وهو صاحب كتاب أوضح الإشارات؛ وشخصيات أخرى.

فكان الشريف أحمد من خلال هذه الثقافة والاهتمام والتواصل بأعيان الأشراف بمكة، وأعيان آل أبي طالب بجازان؛ ممن شارك في إعداد مشجرة آل أبي طالب آل خيرات.

ظرف طلب الشهادة النسبية:

أثناء إقامته بمكة المكرمة وبدافع اعتزازه بنسبه، تعرف على عدد من أبرز وجهاء وأعيان ونسَّابة الأشراف بمكة المكرمة، فكان يذهب إليهم في مجالسهم ويتسامر معهم، فعرفوه، فقد كان أنيساً صاحب طُرفة ومفوهاً، وحافظاً لكثير من سور القران وطُرَف العرب، ومحباً للقراءة. فطلب إليهم هذه الشهادة النَّسَبية، تأكيداً لثقته بنسبه لديهم، ورغبة في الاستئثار بهذه الشهادة لنفسه وبني

قومـه، واعتـزازاً بصداقتـه لهـؤلاء الأعيـان والنسَّـابة الأشـراف، وهـي ولا شـك شـاهدٌ على الترابـط بيـن آل أبـي نُمَـي الثـاني بمكـة المكرمـة وأبنـاء عمومتهـم مـن آل خيـرات، وإن تباعـد بهـم المـكان مـا بيـن مكـة وجـازان.

ب) سِيَرُ موثقي هذه الشهادة:

١ - سيرة الشريف علي بن أحمد بن منصور الكريمي

الشـريف علـي بـن أحمـد بـن منصـور بـن أحمـد، أبـو زامـل الكريمـي الـبركاتي الحسـني، المـؤرخ، النَّسَّـابة، الحكيـم، أميـر رابـغ ثـم جـدة.

ولـد الشـريف علـي في ١٢ ربيـع الأول سـنة ١٣٠١هـ في قريـة التويـدرة التـي تبعد عـن الحديبيـة (الشميسـي) بأقـل مـن كيلـو ونصـف متر تقريبـاً.

نشأة الشريف علي:

نشـأ الشـريف علـي في كنـف والـده أميـر المدينـة النبويـة -علـى سـاكنها أفضـل الصـلاة والسـلام-، فاعتنـى بـه غايـة الاعتنـاء في تأديبـه، وتعليمـه، وغـرس مـكارم الأخـلاق فيـه.

صفات الشريف علي:

كان «رجـلاً طِـوَالاً قـوي البنيـة معتـدل القامـة طويلهـا غيـر معلـول ببطـن أو «كـرش» ولا مهلهـلٍ بعَجُـزٍ ولا أرداف، رياضـي الشـكل، جميـل المحيـا، مهيـب الطلعـة، أقنـى الأنـف، رافـع الـرأس، في غيـر تكبُّـرٍ ولا اسـتعلاء، كأنـه الصقـر، ثابـت الخُطـى، لـم تخُنْـه صحتـه وعافيتـه إلاّ بأشـهُرٍ معـدودة تقريبـاً قبـل وفاتـه»؛ ويذكـر عارفـوه أنـه اتصـف بخـلال وصفـات حميـدة ينـدر أن تجتمـع في رجـال كثيـر منهـا: التديـن،

والزهد، والفروسية، والكرم، والشجاعة، وإكرام الجار.

وظائف الشريف علي:

تولى الشريف علي إمارة رابغ وما حولها من ديار حرب، ثم تولى إمارة جدة، وقد كان من المقربين لأمير مكة الشريف الحسين بن علي الذي كان يعتمد عليه في شؤون القبائل وغير ذلك، وبعد نهاية ولاية الشريف حسين لازم الملك عبد العزيز.

مناقب الشريف علي بن منصور:

يقول حفيده الأديب الشريف عبدالعزيز بن الحسين بن علي بن منصور الكريمي: «ومن الخصال التي يتميز بها جدي الشريف علي الفراسة القوية، وقد حصلت عدة حكايات له مع أناس دلت على ذلك. وقد كان صاحب معرفة قوية بأنساب الخيل».

الشريف علي بن منصور مؤرخًا ونسابة:

الشريف علي بشهادة العلماء وأهل العلم من أعلم الناس بتاريخ وأنساب الأشراف في زمانه، بل «اعتبره أشراف الحجاز في وقته بأنه نقيب الأشراف في الحجاز لمكانته بينهم وماضيه وتاريخه المجيد»، ودونك أقوال العلماء وأهل العلم والمكانة فيه:

وقال المؤرخ النَّسَّابة الشريف مساعد بن منصور آل زيد(ت١٤٣١هـ) صاحب كتاب «جداول أمراء مكة»: «في عنفوان شبابي التقيت بالشريف علي بن أحمد بن منصور الكريمي، واستقيت منه أنساب الأشراف آل بركات، والتي أودعت شيئًا منها في كتابي» جداول أمراء مكة».

وقال المؤرخ النَّسَّابة الشريف محمد بن منصور صاحب كتاب: «قبائل الطائف وأشراف الحجاز»: «التقيت بالشريف علي في منزله الكائن بمحلة جرول قبل ثلاثين سنة في مجلس لمناقشة نسب فرع من الأشراف، فهالني سمت هذا الرجل وهيبته ومعرفته بأنساب الأشراف ورأيته يتحرى ويسلك مسلك المتقدمين في علم الأنساب».

وقد كان الشريف علي يتحرى الدقة والأمانة في هذا العلم، فإذا سأله سائل واستشكل عليه شيء رجع إلى كتبه ووثائقه ومشجراته، وهذا دأب أهل العلم.

وفاته:

توفي الشريف علي في مكة المكرمة سنة ١٤٠٦هـ، ودفن في مقبرة المعلاة.(١)

٢- سيرة الشريف شاكر بن هزاع بن عبد الله العبدلي

هو آخر قائم مقام للعاصمة المقدسة في المملكة العربية السعودية، واشتهر بعلمه في مجال التاريخ والجغرافيا والأنساب وبسعيه في حل المشاكل والمنازعات القبلية. وله دراية كبيرة بأنساب قبائل الأشراف وغيرهم.

مناصبه: قائم مقام العاصمة المقدسة

مولده ونشأته:

ولد في شعب عامر سنة ١٣٤٧هـ وبها نشأ على يد والده هزاع بن عبد الله العبدلي الذي كان قائم مقام مكة وأخواله الخنان من بني صخر. وله من الأبناء: فواز وفيصل ونواف وهزاع.

---

(١) العنقاوي: أحمد ضياء، معجم أشراف الحجاز في بلاد الحرمين، مؤسسة الريان- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، المجلد الثالث، ص١٢٠٥؛ الهاشمي الأمير: الشريف إبراهيم بن منصور، عناية أشراف الحجاز بأنسابهم والمصنفات التي عنيت بتدوينها، مؤسسة الريان- بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص٣١.

علمه:

كان لوالده اهتمام وعناية به منذ صغره في تحصيل العلم وحمله، فاتجه شاكر أولاً للتعليم النظامي، ودرس بالمدرسة السعودية، والمعهد العلمي، وبرع حتى رشح للابتعاث للدراسة في الخارج، ولكنه آثر البقاء في مكة وطلب العلم الشرعي وحصله على يد جلة من العلماء ومنهم العلامة الموسوعي المطلع فضيلة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع مدير المعارف آنذاك، وأخذ أيضاً عن العلامة الشيخ يحيى أمان نائب رئيس المحكمة الكبرى بمكة المكرمة، وغيرهم.

معرفته بعلم الجغرافيا والتاريخ والأنساب:

كان صاحب قول معتمد في حدود مكة، وحرمها ومعالمها مما جعل أكابر العلماء يرجعون إليه في هذا كأمثال محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي السعودية، وخلفه عبد العزيز بن باز، وغيرهما من أعضاء هيئة كبار العلماء، والقضاة آنذاك، وكذلك حمد الجاسر، ومثله الدكتور عبد الملك بن دهيش فيما كتبه عن حدود البلد الحرام وكذلك الدكتور سامي عنقاوي فيما كتبه من دراسات وأبحاث بمركز أبحاث الحج وكذلك عاتق البلادي.

وفاته:

توفي في آخر ليلة من شهر رمضان سنة ١٤٢٥ وقد حضر عزاءه ملك البلاد وولي عهده وأمراؤها ووزراؤها ومسؤولوها.(١)

---

(١) العنقاوي: أحمد ضياء، معجم أشراف الحجاز في بلاد الحرمين، مؤسسة الريان- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، المجلد الأول، ص٢١٥؛ موقع موسوعة ويكيبيديا: (شاكر بن هزاع العبدلي) https://ar.wikipedia.org/wiki/

٣- الشريف فايز بن هزاع الحارثي

أبو علي أمير هذيل وضواحي المضيق، ولد بالمضيق عام١٣١٣هـ، وكان جهوري الصوت، مهيبًا، وشخصية بارزة وكان من أعيان الحجاز، لازم الملك عبدالعزيز ثم أبناءه من بعده وخاصة الملك خالد بن عبدالعزيز، وكان يصاحبه إلى مجالس الملك خالد، الشيخ ناصر الشتري المستشار بالديوان الملكي.

وكان قيادي الطبيعة سريع الحسم في الرأي ذو فطنة وحذر شديدين حاضر البديهة ذا حجة ومنطق وذا معرفة واسعة بشؤون الحياة، شارك في قيادة جيوش الثورة العربية وانتفاضها على الأوضاع التي آل إليها الحكم التركي أميراً على بعض قبائل عتيبة، واتصل جهاده تحت لواء التوحيد الذي أطلقه الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن، فرافق الملك عبدالعزيز وأبناءه من بعده سعود وفيصل وخالد، ونال ثقتهم في إمارة بعض قبائل عتيبة، وتمتع بمنزلة عالية ومحبة بين ذويه من قبائل الأشراف والقبائل الأخرى لمشاركته الدائمة لهم في جميع أحوالهم فأصبح من المقدمين بينهم.

وفي سنة ١٤٠٠هـ توفي الشريف فايز في مكة المكرمة عن سبع وثمانين سنة، ودفن في مقبرة العدل.(١)

٤- الشريف محمد هاشم بن سعدالدين آل غالب صاحب «مشجرة الري»:

جده الشريف عبدالمطلب بن غالب أمير مكة، ولد في قصر البياضية بالمعابدة سنة ١٣١٨هـ، تعلم العلوم الشرعية على يد علماء المسجد الحرام، ثم أرسله

(١) انظر صور الخطابات والمراسلات في كتاب: الحارثي: الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف.

والده إلى إستانبول في تركيا لإكمال تعليمه، فتعلم اللغة التركية والفرنسية، ثم درس الطب وتخرج في إحدى جامعاتها طبيباً سنة ١٣٣٩هـ. له اهتمام بعلم التاريخ والأنساب، وكان يرجع إليه الكثير لمعرفة أنسابهم. توفي في مكة المكرمة في ٨/ صفر/ ١٤٠١هـ ودفن في مقبرة المعلاة.[(١)]

٥- الشريف محمد بن فوزان بن هزاع الحارثي:

الشريف محمد بن فوزان بن هزاع، من أبرز وجهاء وأعيان الأشراف الحرث، وكانت بينه وبين الملك عبدالعزيز عدد من الخطابات والمراسلات،[(٢)] وهو الذي عينه بعد وفاة والده أميراً لبني مسعود من هذيل بوادي الشامية شرق مكة.

ومن أبرز ما يتصف به الشريف محمد ثقافته في التاريخ والجغرافيا والأنساب، فلديه معرفة دقيقة وميدانية بالأودية والشعاب والجبال والمواقع المحيطة بمكة تاريخياً وجغرافياً، ذكر ذلك وأكده وأثنى عليه الشيخ عبدالملك بن دهيش الباحث والمؤرخ والمحقق في تاريخ مكة في عدد من مؤلفاته ، منها ما ورد في كتابه «الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به» الذي أثنى ثناء واسعاً على الشريف محمد بن فوزان فيقول عنه: «فلقد اتصلت بأكثر من رجل ممن لهم خبرة في مواضع مكة وجبالها ووهادها وأعلامها وشعابها، ومنهم خبراء عملوا في هيئة النظر في محكمة مكة تنتدبهم محاكم مكة لفض المنازعات، وتثبيت الحدود والحقوق والممتلكات في المواضع المحيطة بمكة المكرمة،

(١) الهاشمي الأمير: عناية أشراف الحجاز بأنسابهم ،ص٤٤.
(٢) الحارثي: الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف، ص٣٤١.

ومنهم من خلف والده في هذا المنصب أو كان أميراً على منطقة من مناطق مكة كالشريف الحارثي. وخلاصة القول إن هؤلاء أعلم بالمواضع التاريخية والأثرية بمكة. لا بل أعلم أهلها بأسماء جبالها، وريعانها وأوديتها وشعابها وآبارها وغير ذلك، وأعلم من عرفت بمواضع حدود الحرم المكي الشريف، بل هو أعلم من عرفت مطلقاً حسب اجتهادي في ذلك بدون منازع... ـ وأكمل ابن دهيش الحديث في الحاشية عن محمد بن فوزان ـ قائلاً: «ولقد استفدت منه كثيراً في تحقيق بعض المواضع التي وردت في مصادر التاريخ المكي، فكان حجة في تاريخها.»، وكتاب «أخبار مكة للفاكهي، الذي حققه»، فقد ذكر اسم الشريف محمد بن فوزان في خمس عشرة صفحة. كما استفاد من ثقافة الشريف محمد بن فوزان المؤرخ الشيخ عاتق البلادي.

ويؤكد ابنه اللواء الشريف فيصل بن محمد (نائب مدير الأمن العام ومدير شرطة المنطقة الغربية الأسبق)؛ بأن أباه المُعِدْ الحقيقي لأصول شجرة الأشراف الحرث.[1]

٦- الشريف حمود بن فوزان بن هزاع الحارثي:

هو من كبار آل هزاع الحرث، وله علم بأنسابهم، وبتاريخ الحرث وبعض القبائل الأخرى، وله معرفة بعلم الفلك، وحفظ الأشعار ومعرفة الأماكن والمياه بالحجاز، وتوفي عام ١٤١٨هـ.[2]

---

(١) الحارثي: الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف، ص٣٣٤.

(٢) العنقاوي: أحمد ضياء، معجم أشراف الحجاز في بلاد الحرمين، مؤسسة الريان- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، المجلد الثالث، ص١٥٣١.

٧- الشريف سعود بن هزاع العبدلي:

اسمه الصحيح الشريف سعود بن مسعود بن ونيس العبدلي: من الأشراف البطنان ذوي عبدالله.

ولد الشريف سعود سنة ١٣٥٤هـ في مكة المكرمة ـ حرسها الله تعالى ـ وتلقى تعليمه في المدرسة السعودية، ثم في تحضير البعثات لشهور، ثم إلى المدرسة اللاسلكية التابعة لوزارة المواصلات.

حينما توفي الشريف هزاع بن عبدالله العبدلي قائم مقام إمارة مكة المكرمة- جده لأمه وعم أبيه سنة ١٣٨٦هـ صدر أمر جلالة الملك فيصل، بخطابه الموجه لسمو وزير الداخلية الأمير فهد بن عبدالعزيز برقم (٢٥١٦١) في ٥/ ١١/ ١٣٨٦هـ المتضمن ترشيحه لشغل وظيفة معاون قائم مقام العاصمة حيث صدر قرار وزارة الداخلية رقم (١٩٦١) في ١٤/ ١١/ ١٣٨٦هـ المبلغ لأمير منطقة مكة، وعدل مسمى الوظيفة بقرار الأمير نايف بن عبدالعزيز رقم (١١٢١) في ٩/ ٦/ ١٣٩٨هـ إلى وكيل قائم مقام العاصمة، وتمت إحالته للتقاعد سنة ١٤١٤هـ.[1]

٨- الشريف فؤاد بن زين العابدين

هو الشريف فؤاد بن زين العابدين بن علي بن أحمد عدنان بن أمير مكة الشريف عبدالمطلب بن أمير مكة الشريف غالب بن مساعد آل زيد

( ) العنقاوي: معجم أشراف الحجاز في بلاد الحرمين، المجلد الثاني، ص٧٠٢.

مولده:

ولد بمكة المكرمة ١٣ ربيع الثاني ١٣٥٧ هجري وتربي وترعرع ما بين مكة المكرمة والطائف.

دراسته:

درس الابتدائية في المدرسة الرحمانية بمكة المكرمة، ودرس المتوسطة والثانوية في القاهرة بجمهورية مصر العربية

الوظائف:

- بدأ حياته العملية في وزارة المالية في الرياض.
- انتقل إلى مكة المكرمة في الزكاة والدخل حتى التقاعد.

اهتماماته:

كان محبـاً لعشيرته الأشراف عامه وآل زيد وآل غالب، خاصة وهو من أوائل من أسس لأعيادهم ومجلس الأشراف آل غالب وله قصائد عديدة في مدحهم، وكان يجيد الشعر ومحباً للشعر والأدب والفنون التراثية عامة والحجازية خاصة، ويهتم بالخيل والفروسية؛ حيث كان عضو مجلس إدارة نادي الفروسية بمنطقة مكة المكرمة، ويعشق الصيد والمقناص والسفر والرحلات البرية.

وفاته:

توفي يوم الجمعة ٨ رمضان ١٤٣٢ هجرية عن عمر يناهز ٧٥ عاماً.[(١)]

---

(١) ترجمة شخصية من ابنه الشريف طراد بن فؤاد آل غالب.

٩- الشريف عامر بن ونيس العبدلي:

من الأشراف آل شاكر أحد فروع الأشراف آل عبدالله من البطنان الحمودية العبادلة.[(١)]

الشريف عامر بن ونيس بن عبدالله آل عبداله الحمودي العبدلي، ولد في مكة المكرمة بوادي نعمان عام ١٣٣٢هـ، كان حليماً شجاعاً حكيماً، واشتهر بالفراسة. وتوفي بمكة عام ١٤١٩هـ وله من العمر (٨٧) عاماً.[(٢)]

١٠- الشريف محمد بن منصور بن هاشم آل زيد.

يُعرف بالنجدي، وهو المؤرخ، الفرضي، الجغرافي، الأديب، الشاعر، من مواليد الطائف عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، ويسكن حي الجال بالطائف، تلقى تعليمه في المدرسة السعودية بالطائف، وأكمل تعليمه الثانوي بمكة، لازم أستاذه النسابة الإخباري الشريف أحمد بن زيد آل يحيى، والمؤرخ الطائفي، الأديب محمد بن سعيد آل كمال، وأثنى عليه علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر.

واهتم بالبحث التاريخي لا سيما ما يتعلق بالطائف فقد كتب عدة مقالات فيه، من ذلك كتاب: «معالم الطائف» وهو مخطوط، وكتاب: «الطائف في عهد الملك عبدالعزيز»، ورسالة يرد فيها على كتاب «ماضي الحجاز وحاضره»، ومقالة بعنوان «الصخيرة ليست قرية الحجاج بن يوسف»، وغير ذلك.

(١) العنقاوي: معجم أشراف الحجاز في بلاد الحرمين، المجلد الثاني، ص٧٠٢.

(٢) ترجمة من الشريفين الكريمين (عبد الإله بن ونيس العبدلي، وشاكر بن ونيس العبدلي).

كما اهتم بالبحث الجغرافي من خلال كتابه «العيون في الحجاز وبعض أوديته»، والمقالات: «دجنا غير دحنا» انتصر فيها إلى أن دحنا ودجنا موقعان، «جلدان» موقعه في الطائف، و»عكاظ بين المحققين والعابثين» بين فيه موقعه، «طائف ثقيف» في القرن الأول والذي حدده بأنه جبل ابن منديل، وخارطة لمنطقة الطائف وضواحيها وفيها سوق عكاظ ودرب اليمن القديم الذي في أرجوزة الرداعي وفيها تحديد بعض المواضع الاثرية، «سوق مجنة» بين فيه موقعه، وغير ذلك، واهتم بعلم الفرائض والمناسخات، ومارسهما فترة من الزمن.(١)

(١) العنقاوي: معجم أشراف الحجاز في بلاد الحرمين، المجلد الثاني، ص٨٧٨؛ الهاشمي الأمير: الشريف إبراهيم بن منصور، الإشراف على المعتنين بتدوين أنساب الأشراف، مؤسسة الريان- بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ج١، ص٤٠٣.

المبحث الخامس

أهم آثار الشهادات النَّسَبية

١- وثائق أو شهادات الأنساب الموثوقة المثبتة؛ من مصادر التاريخ، مثلها في ذلك مثل كتب التراجم، وكتب الرحلات، والمراسلات ونحوها، فهي شواهد التاريخ بكل ما هي عليه من معان ناطقة.

٢- يُستَفاد من شهادات الأنساب الموثوقة المثبتة في معرفة التراجم الواردة للتوثيق على الشهادة.

٣- الآثار النسبية لشهادات الأنساب الموثوقة المثبتة، كثيرة ومتعددة، على رأسها حفظ أنساب تلك الأسر، ودعمت تماسكها وتقاربها وتعارفها وتلاقيها ببعضها، حتى لو تباعدت أماكن السكنى.

المبحث السادس

نص وصورة أصل الشهادة النسبية

- **نشر نص الشهادة النسبية دون تصحيح أو إضافة أو تعديل، وإيرادها في وضعية مكتوبة ومصورة.**

الحمدالله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه: أما بعد لما كان الأشراف ذوي الشريف خيرات القاطنين بمنطقة خيزان من المملكة العربية السعودية هم من عقب الشريف خيرات بن شبير بن بشير ابن محمد أبي نمي الثاني ولا يتطرق إلى نسبهم هذا أي شك بل هو واضح وثابتة في جميع المصادر التاريخية والمشجرات القديمة المحفوظة لدى النمويين من أشراف مكة المكرمة علاوة على ما بأيدي الأشراف ذوي خيرات أنفسهم من مستندات شرعية فأننا نصادق الشريف أحمد بن علي بن الحسن بن محمد بن يحيى بن محمد أبوطالب بن محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات بن شبير بن بشير بن محمد أبونمي الثاني على صحة نسبه ونسب جماعته إلى جدهم الأعلى الشريف خيرات المذكور وذلك منا إحقاقاً للحق وإبراء للذمة والله على ما نقول وكيل وشهيد وصلى الله على محمد وآله وصحبه د ن حرر ٢/ ١٢/ ١٣٩٢هـ

علي بن أحمد بن منصور الكريمي

الشريف شاكر بن هزاع بن عبدالله العبدلي

قائم مقام مكة المكرمة

الشريف محمد بن فوزان الحارثي

الشريف فايز بن هزاع الحارثي

الشريف عامر بن ونيس العبدلي

الشريف فؤاد زين العابدين آل غالب ذوي زيد

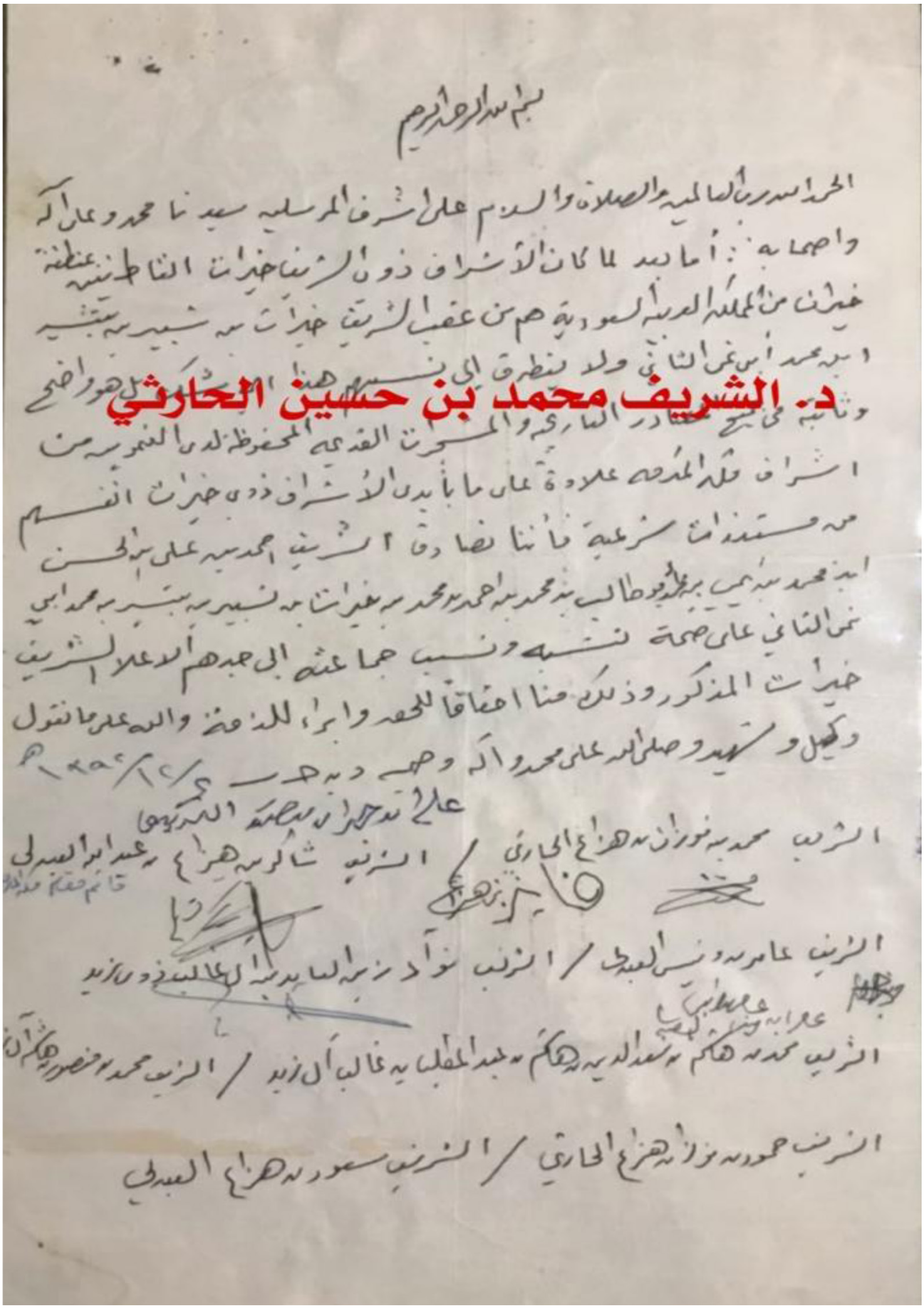
الشريف محمد بن هاشم سعدالدين هاشم بن عبدالمطلب بن غالب آل زيد

الشريف محمد بن منصور بن هاشم آل زيد

الشريف حمود بن فوزان بن هزاع الحارثي

الشريف سعود بن هزاع العبدلي.

- صورة أصل شهادة النسب:



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه: أما بعد لما كان الأشراف ذوي الرضا خيرات [illegible] خيرات من المملكة العربية السعودية هم من عقب الشريف خيرات بن شبير بن بشير ابن محمد أبي نمي الثاني ولم يتطرق إلى نسبهم [illegible] وثابت في تاريخ مصادر التاريخ والمشجرات القديمة المحفوظة لدى العمومة من أشراف مكة المكرمة علاوة على ما بأيدي الأشراف ذوي خيرات أنفسهم من مستندات شرعية فإننا نصادق أن الشريف محمد بن علي بن الحسن ابن محمد بن يحيى بن محمد أبو طالب بن محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات بن شبير بن بشير بن محمد أبي نمي الثاني على صحة نسبه ونسب جماعته إلى جدهم الأعلى الشريف خيرات المذكور وذلك منا إحقاقاً للحق وإبراء للذمة والله على ما نقول وكيل وشهيد وصلى الله على محمد وآله وصحبه [illegible] ٢/١٢/١٤٢٥هـ

الشريف محمد بن فوزان بن هزاع الحارثي / الشريف شاكر بن هزاع بن عبدالله العبدلي

الشريف عامر بن [illegible] العبدلي / الشريف نواف بن زين العابدين [illegible] ذوي زيد

الشريف محمد بن هاشم بن سعدالدين بن هاشم بن عبدالمطلب بن غالب آل زيد / الشريف محمد بن منصور [illegible]

الشريف حمود بن فوزان بن هزاع الحارثي / الشريف سعود بن هزاع العبدلي

الخاتمة:

- النتائج:

نستخلص من هذه الدراسة الوثائقية، شديد عناية أشراف الحجاز بحفظ وضبط وتدوين أنسابهم منذ القرون الأولى حتى وقتنا الحاضر، فظهر في العقدين الأخيرين عدد وافر من الكتب والبحوث ومشجرات الأنساب المحققة المدققة، والتي استثمرت خير استثمار وسائل وأدوات التقنية الحديثة في الطباعة والنشر.

والله الموفق

قائمة مراجع الدراسة

١- الحارثي: الشريف محمد بن حسين، الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف، دراسة تاريخية وثائقية، مؤسسة الريان-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢- الحجيلي: عبدالله بن محمد بن سعد، علم التوثيق الشرعي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣- الشاهين: محمد عمر، نصوص ووثائق تاريخية، دار الفكر - الأردن-عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م-١٤٣٠هـ.

٤- الشريف: ناجي الهجاري، الجمان في تاريخ ينبع على مدار الزمان، وإتحاف السائل في وثائق القبائل في العصر العثماني، دار البصائر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٥- العنقاوي: أحمد ضياء، معجم أشراف الحجاز في بلاد الحرمين، مؤسسة الريان-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٦- عيسوي: عصام أحمد، مدخل لدراسة الوثائق العامة في مصر، الإسكندرية، دار الثقافة العلمية،٢٠٠١م.

٧- موسوعة ويكيبيديا: (شاكر بن هزاع العبدلي)

/https://ar.wikipedia.org/wiki

٨- الهاشمي الأمير: إبراهيم بن منصور، رسائل في أصول وقواعد علم النسب، خير جليس للنشر والتوزيع-جمهورية مصر العربية، الطبعة الثانية، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

٩- الهاشمي الأمير: الشريف إبراهيم بن منصور، عناية أشراف الحجاز بأنسابهم والمصنفات التي عنيت بتدوينها، مؤسسة الريان-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص٣١.

١٠- الهاشمي الأمير: الشريف إبراهيم بن منصور، الإشراف على المعتنين بتدوين أنساب الأشراف، مؤسسة الريان-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

« وثيقة وقفية»

من وثائق الأوقاف

لدى الأشراف الحرث بمنطقة

مكة المكرمة

«دراسة وثائقية»

بحث مقدم

للملتقى العلمي الخامس عشر

لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول

الخليج العربية

بدولـة الكويـت

٢٢-٢٥جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ

الموافق ٢٢-٢٥ إبريل ٢٠١٤م

نُشرت الدراسة بسجل اللقاء العلمي (١٥) لجمعية

التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج

العربية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف في الشرع الإسلامي:

تعريفه:

الوقف هو تحبيس الأصل فلا يورث ولا يباع ولا يوهب، وتسبيل الثمرة لمن وقفت عليهم.

حكمه:

الوقف مندوب إليه مرغب فيه بقول الله تعالى: «إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا» الأحزاب آية ٦، وقول رسولنا المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

- روى البخاري ومسلم عن نافع بن عبدالله بن عمر قال: أصاب عمر أرضًا بخيبر، فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضًا بخيبر لم أصب مالاً قط أنفس عندي منها، وقد أردت أن أتقرب بها إلى الله عز وجل فما تأمرني به؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بثمرتها» فجعلها عمر صدقة لا تباع ولا توهب ولا تورث.

- روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن كعب بن مالك رضي الله عنه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع عن مالي صدقة إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم. قال: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك»، قلت: أمسك سهمي الذي بخيبر.(١)

- روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»(٢).

والوقف: عقد لازم بمجرد ثبوته بأي قول، أو فعل دال عليه، سواء أحكم به قاض، أم لا. إذا ثبت هذا فإنه لا يجوز التصرف في الوقف بعد لزومه ببيع، أو هبة أو نحوهما، كما أنه لا يجوز الرجوع فيه(٣).

وقد حبس صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأحباسهم مشهورة(٤)، ويقول جابر رضي الله عنه: «لا أعلم أحداً كان له مال من المهاجرين والأنصار إلا حبس مالاً من صدقة جارية مؤبدة لا تشترى ولا توهب ولا تورث».

أنواع الوقف:

ينقسم الوقف من حيث من ينتفعون به إلى نوعين: خيري، وأهلي، وهذا التقسيم لم يكن موجوداً في صدر الإسلام. بل إن الوقف كان يسمى صدقة، إلا أن مفهوم هذين النوعين كان موجوداً وإن لم يطلق عليهما: الأهلي أو الخيري.

١- **النوع الأول الخيري**: وهو ما جعل ابتداء على جهة من جهات البر، ولو مدة معينة، يكون بعدها وقفًا على شخص معين من أقارب الواقف أو غيرهم.

٢- **النوع الثاني: الأهلي**: أو الذري: وهو ما جعل ابتداء لشخص معين أو أشخاص معينين سواء كانوا أقارب الواقف أم لا، مع تعيين جهة من جهات البر تستحق الوقف بعد انقطاع الشخص أو الأشخاص الذين سماهم(٥).

التعريف بموضوع الوثيقة:

هـذه الوثيقـة موضوعهـا «وقـف أراضٍ زراعيـة»، وأركان الوقـف [٦]: (وقـف، واقـف، موقـوف عليـه، وصيغـة الوقـف) متوفـرة ومثبتـة في هـذه الوثيقـة.

المميزات العامة للوثيقة (الخارجية والداخلية):

أولاً المميزات الخارجية:

تتعلق بمعرفة نوع الورق والحبر والإخراج والهوامش وحالة الوثيقة.

١- **الورق**: هذه الوثيقة أصلية [٧]، كُتبت على ورق أبيض يميل إلى الاصفرار.

٢- **الحبر المستعمل**: أسود يميل إلى اللون البني لاحتوائه على أكسيد الحديد.

٣- **شكل الوثيقة**: تتألف الوثيقة من ورقة واحدة (وجه وظهر). أبعادها حوالي ٣٣ سم طولاً × ١٨ سم عرضاً، وهي على شكل Roll.

٤- **إخراج الصفحة والسطور**: لا تختلف هذه الوثيقة الوقفية عن مثيلاتها من وثائق الأوقاف لدى الأشراف الحرث حيث إن الكاتب ترك في الأسفل فراغاً حوالي ٤ سم لتوقيع الشهود.

٥- **السطور**: كُتبت الوثيقة الوقفية في سطور كاملة منتظمة دون فواصل، أو وقفات، مع عدم وضع النقط على بعض الحروف، ولم توضع الهمزات على بعض الحروف.

ثانياً: المميزات الداخلية:

معرفة أجزاء الوثيقة، وأسلوبها من الناحيتين الفقهية، والوثائقية «الدبلوماتية» [٨].

أ- **مقدمة الوثيقة**: «.. هذه حجة صحيحة شرعية ووثيقة مرعية أعلى مضمونها ووضح مكنونها أعلاه ..».

ب- خاتمة الوثيقة: «.. حرر يوم التاسع والعشرين من شهر صفر الخير عام ١٢٧٤ أربعة وسبعون عقب المائتين والألف من هجرة من له العز والشرف صلى عليه وآله وأصحابه وسلم. وللنظار العُشْر من الغلة».

عناصر نص الوثيقة الوقفية:

يعد النص أهم جزء في الوثيقة ويتكون من عناصر موضوع التصرف:

حضر الرجل السيد[(٩)] حامد بن المرحوم محمد بن باز (من آل باز من الأشراف الحرث آل الشريف أبي نمي الثاني)[(١٠)]

أقر إقراراً صحيحاً شرعياً معتبراً مرعياً وهو في حال صحته وسلامته في الخير وإرادته وبحال الطواعية والاختيار من غير إكراه ولا إجبار..

وقف وحبس وسبل وأكد ما هو له وفي ملكه وضبطه وحوزه وتحت تصرفه إلى حين صدور هذا الأمر منه.

مُبتغياً به وجه الله الكريم وطالباً لثواب الله الجسيم يوم يجزي الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين.

وعملاً بقول سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به، أو صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له»[(١١)]، وإن الوقف من الصدقات الجارية.

الموقوف الكامل: «.. الودن[(١٢)] المسمى ودن لاحق الأرض الحرث العَثَري[(١٣)] الكائن بأرض الشبيكة[(١٤)] الذي له وكامل بلاد الشبيكة؛ البلاد المذكورة جميعاً من الطريق والمشارب والعُقُوم والرُسُوم والتوابع واللواحق[(١٥)] وما يعد ويحسب

ويُنسب إليها وكامل الودن المسمى ابن صبغة الحرث المَسْقَوي[١٦] .. بما له من العُقُوم والرُسُوم والطريق والمَشَارب وما يعد ويُحسب ويُنسب إليه ويتبعه من السُقيا[١٧] ساعة من الماء من قرار عين البردان[١٨] من السبت الصغير ملك ذي باز[١٩] دوران قلد بالليل وقلد بالنهار .. من أصل ثمانية وعشرين وجبة كامل العين المذكورة ..»[٢٠].

أوقف السيد حامد بن المرحوم محمد بن باز ضاعف الله له الثواب والأجور جميع كامل الأرض الحرث العثري والمسقوي المحدودة أعلاه أولاً على نفسه مدة حياته ينتفع بها بمفرده لا يشاركه مشارك ولا ينازعه منازع.

ثم من بعده على أولاده أولاد الظهور[٢١] دون أولاد البطون[٢٢] ثم من بعدهم على أولادهم وأولاد أولادهم.

تُقسم الغَلّة[٢٣] عليهم للذكر مثل حظ الأُنثيين لأولاد الظهور دون أولاد البطون على الترتيب المشروح.

ثم من بعد انقراض أولاد الظهور يكون وقفاً على من يوجد من عَصَبَةِ الواقف[٢٤] المذكور الأقرب فالأقرب عليهم جميعاً على الترتيب المشروح أعلاه.

ثم من بعدهم وخلو الأرض منهم يكون وقفاً على مصالحِ الحرم الشريف المكي خَصْفَة ودوارق وختمة تُقرأ شهر رمضان[٢٥].

فإذا تعدا ذلك والعياذ بالله يكون وقفاً يُصرف على الفقراءِ والمساكين.

وقفاً صحيحاً شرعياً وحبساً صحيحاً مرعياً لا يُباع ولا يُرهن[٢٦] ولا يُبدل به ولا ببعضه بل لا يزال قائماً على أصوله وضوابطه مستمراً على شروطه وروابطه الآتي ذكرها فيه أبد الآبدين ودهر الداهرين إلى أن يرث الله الأرض

ومـن عليهـا وهـو خيـر الوارثيـن.

وجميع كاين البلاد المحدودة كائنة بأرض المضيق[(٢٧)] من أعمال مكة المشرفة.

شـرط الواقـف السـيد حامـد ابـن المرحـوم محمـد بـن بـاز الحـارث شـروطًا أكمـل العمـل بهـا أول مـا يُبـدأ مـن غلـة الوقـف المذكـور بعمارتـه..

ومنها إن النظرَ[(٢٨)] له مدة حياته.

ثم من بعد مماته يكون النظرَ للأرشد فالأرشد من أولاده.

ثم بعدهم النظرَ للأقرب فالأقرب..

ثـم مـن بعـد هـذا: الوقـف اِنـبرمَ ونَفَـذ[(٢٩)] ولـزِمَ وصـار وقفـًا مـن أوقـاف الله تعالـى لا يحـل لأحـد يؤمـن بـالله واليـوم الآخـر ومعلـم إلـى ربـه صائـر.

فمـن يَـرُمْ[(٣٠)] هـذا الوقـف ببطـلان أو بيـع في إتـلاف شـيء منـه؛ فمـن يعمـل ذلـك فحسـيبه ورقيبـه يـوم الطامـة يـوم القارعـة يـوم يكـون الحاكـم الجبـار .. يـوم لا ينفـع الظالميـن معذرتهـم، ولـه اللعنـة ولهـم سـوء الـدار، والعاقبـة للمتقيـن.

حُـرِرَ يـوم التاسـع والعشـرين مـن شـهر صفـر الخيـر عـام ١٢٧٤ أربعـة وسـبعين عقـب المائتيـن والألـف مـن هجـرة مـن لـه العـز والشـرف صلـى الله عليـه وآلـه وأصحابـه وسـلم. وللنُظـار العُشـر مـن الغلـة.[(٣١)]

دراسة نص الوثيقة الوقفية:

تاريخ الوثيقة الوقفية: ٢٩/ صفر / ١٢٧٤هـ. (الموافق: ١٨/ أكتوبر/ ١٨٥٧م).

مصدرها: وثائق والد الباحث.

نوع الوقف: أهلي «ذر».

النظارة: للواقف السيد حامد بن محمد بن باز، في حال حياته، ثم من بعد مماته يكون النظر للأرشد فالأرشد من أولاده، وهكذا..

يتجلى في هذه الوثيقة الوقفية المنهج الشرعي الحنفي لإنشاء الأوقاف حيث يؤكد الواقف على طلب الثواب الجسيم من صدقته الجارية.

ثم يسلسل المستحقين للوقف حتى تنقطع عَصبة الوقف فيُصرف الوقف على مصالح الحرم الشريف المكي.

تنحصر الأملاك الموقوفة في وادي المضيق من أعمال مكة المشرفة.

يستدرك الواقف في نهاية الوثيقة، ويحدد أجرة الناظر بعُشْر الغلة.

تتزامن الوثيقة مع فترة حكم الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون وابنه عبد الله لمكة المكرمة عام ١٢٧٤هـ الموافق ١٨٥٧م.

ما يُستنتج من هذه الدراسة التحليلية لهذه الوثيقة الوقفية:

- يتحقق من الوقف دوام الأجر وعدم انقطاعه طالما بقيت العين الموقوفة نافعة، بل قد يزيد هذا الأجر بزيادة منفعة العين الموقوفة إذا أحسن القائمون على الوقف إدارته واستثماره وفق ظروف كل عصر يمر عليه. لذا ينص الواقف: «مبتغياً به وجه الله الكريم وطالباً لثواب الله الجسيم يوم يجزي الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين» وينص: «ثم من بعدهم وخلو الأرض منهم يكون وقفاً على مصالح الحرم الشريف المكي خصفة ودوارق وختمه تقرأ شهر رمضان ..».

• كما يحقق الوقف الأهلي مبدأ التضامن الاجتماعي وشيوع روح التراحم والتواد بين أفراد الأسرة أو القبيلة، وتعزيز روح الانتماء الأسري بين أفراد الأسرة أو القبيلة وشعورهم بأنهم جزء من جسد واحد.

• من أشهر الأوقاف الذرية لدى الأشراف (وقف الشريف محمد أبي نمي الثاني «أمير مكة في القرن العاشر الهجري»[٣٢]، ووقف الشريف غالب[٣٣]، ووقف الشريف زيد بن فواز العبدلي أمير الطائف في العهد الهاشمي).

• توالت أعمال الخير والبر في الأشراف الحرث قديمًا وحديثًا:

أ) **رباط الحارث**: يقول عنه: حسين شافعي[٣٤]: (اسم هذا الرباط على اسم واقفه فيما يبدو؛ إذ لم يذكر مؤرخو مكة المشرفة اسم الواقف كاملاً، ولعله يكون جد الأشراف الحرث. كان هذا الرباط يقع قرب باب العتيق، أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الشمالية، وعلى يمين الداخل إليه. أما عن تاريخ وقف الرباط، فلم تذكر المصادر تاريخه، ولكن من المؤكد أنه وقف قبل سنة (١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م)، إذ أشارت إحدى الوثائق «صك ووقفية رباط بكير باشا» إلى أنه وقف في هذه السنة قربة ماء حلو توزَّع كل يوم على هذا الرباط وغيره من الأربطة في مكة المشرفة، فمن خلال ما سبق ظهر أن الرباط وقف قبل السنة المذكورة. وعن شرط وقف الرباط، فلم تشر المصادر إلى شرط وقفيته، ويفهم من إحدى الوثائق «السابقة الذكر» أن هذا الرباط كان موقوفًا على الرجال؛ لأن الأربطة التي يسكنها النساء يوزَّع عليها قربتان من الماء في كل يوم كما هو في نص الوثيقة، أما الأربطة الأخرى فيوزَّع عليها قربة واحدة من الماء في كل يوم دون أن يذكر صراحةً الرجال).

ب)- من الأوقاف والأربطة المعاصرة مشروعي (فاطمة الزهراء ، والإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما) لإعالة ذوي القربى؛ كبناء الأربطة الخيرية، وتسكين الفقراء والمحتاجين من أسر الأشراف عامة فيها، وإعالتهم بشكل منظم، لأبناء الشريف مشهور بن علي بن الحسين الحارثي[٣٥].

• من آثار الأوقاف المهمة التي لم يتطرق لها الباحثون في آثار الأوقاف؛ أن الأوقاف الذرية ساهمت مع عوامل أخرى في حفظ أنساب تلك الأسر، والقبائل، ودعمت تماسكها وتقاربها وتعارفها وتلاقيها ببعضها، حتى لو تباعدت أماكن السكنى لذوي الواقف.

والله الموفق.

الإحالات والمصادر والمراجع

١ - الإمام البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، هامش الفتح، مطبعة الحلبي، ج ٥ ص ٣٨٦، وقد عقد الإمام البخاري ترجمة لهذا الحديث وهي باب إذا تصدق أو وقف بعض رقيقه أو دوابه فهو جائز.

وقد حبس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الثالثة للهجرة سبعة حوائط وكانت ملك مخيريق اليهودي من علماء بني النضير، أسلم يوم أحد وأوصى بماله لرسول الله يضعه في سبيل الله، والحوائط هي: الصافية، والأعواف، والدلال، والميثب، والبرقة، وحسنا، ومشربة أم إبراهيم، انظر: الطرابلسي: برهان الدين إبراهيم، (ت ٩٢٢/ ١٥١٦هـ) كتاب الإسعاف في أحكام الأوقاف، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة(د - ت)، ص ٦.

٢- الإمام مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، القاهرة، ج٦ص٧٣، النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ ١٢٧٧م)، شرح صحيح مسلم، المطبعة المصرية القاهرة، (د-ت). السنوسي: أبو عبد الله محمد بن محمد (ت٨٩٥هـ)، تكميل إكمال الكمال، ط١٣٢٨،١هـ،ج٤ص٣٤٦.

٣- الجزائري: أبو بكر: منهاج المسلم، الطبعة السادسة،١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ص٥٣٧، وانظر: الصالح: محمد بن أحمد: الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، ص١٩- ٢٩.

٤-ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م، يقول في ص ١٢٣: صدقات الصحابة بالمدينة أشهر من الشمس، لا يجهلها أحد.

٥- بدر شيني: أحمد هاشم: أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي، إصدار خاص بمناسبة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. ص ٣٣ - ٣٤. وانظر: الصالح: محمد بن أحمد: الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، ص ٥٣ - ٥٤.

٦ - وانظر لمزيد من التفاصيل عن أركان الوقف: الصالح: محمد بن أحمد: الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، ص ٦٠ - ٨٤.

٧ - من ممتلكات الباحث

٨ - ويعرف علم الوثائق في اللغات الأوروبية باسم «علم الدبلوماتيك»، وقد أُشتق ذلك الاسم من الكلمة اليونانية (Diploma) ومعناها صحيفة مطوية، وقد سميت كذلك لأنها كانت تكتب في الأزمنة الماضية، إما على قراطيس البردي، أو قطع الرق، أو الورق عندما انتشرت صناعته في العالم، ثم تطوى الصحيفة بحيث تصير ملفوفة، وتحزم أحيانًا بشريط من الجلد أو القماش، وقد يختم على هذا الشريط حفظًا للوثيقة من العبث والتزييف. عيسوي: عصام أحمد: الدراسة الدبلوماتية لسجلات الدواوين الحكومية في مصر، انظر: موقع جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم علوم المكتبات الإلكتروني،

http://staff.ksu.edu.sa/node/25501.

٩ - السيد: تبدأ أسماء الرجال (في الحجج والصكوك الشرعية والوثائق القديمة في العهد العثماني) للأشراف الحرث بالسيد وتنتهي بالحارث بدون إضافة ياء النسبة الأخير، والشريف لمن تولى إمرة مكة المكرمة دون أبناء الأمير، ولم يظهر لقب الشريف أمام أسماء الرجال إلا في الوثائق المتأخرة. انظر: الحارثي: الشريف محمد بن حسين، الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف «دراسة تاريخية وثائقية»، الطبعة الثانية، مؤسسة الريان، بيروت- لبنان، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ص ٤٧٧.

١٠- صاحب الوثيقة (حامد بن محمد بن باز بن محسن بن إدريس بن حسن بن أحمد بن محمد الحارث)، من الأشراف الحرث: أبناء الشريف محمد الحارث بن (الشريف الحسن بن الشريف محمد أبي نمي الثاني: أميرا مكة في القرن العاشر الهجري). انظر: الحارثي: الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف، ص١٨٣.

١١ -الحديث: رواه مسلم، وسبق ذكره.

١٢ -الودن: مصطلح زراعي: المقصود به: قطعة أرض زراعية محدودة بحدود ترابية (عقوم).

١٣ - الحَرْث العَثَري: الأرض الزراعية المحروثة، والتي تسقى بمياه الأمطار أو السيول فقط.

١٤- الشُبيكة: تصغير شبكة الصياد، وهي مسمى منطقة تقع جنوب شرق وادي المضيق بالشامية.

١٥ - الطريق والمشارب والعقوم والرسوم والتوابع واللواحق: الطريق المؤدي للمزرعة. والمشارب: مفردها مشْرب أي مسقى الماء والسيل للمزرعة. والعقوم: أي الحواجز الترابية المحيطة بالأرض الزراعية. والرسوم أي العلاما . والتوابع واللواحق: هي قطع زراعية صغيرة ومنافذ مجاورة وتشكل حماية للأرض الزارعية.

١٦-الحَرْث المسقوي: الأرض الزراعية المحروثة، والتي تسقى بمياه ثابتة من مياه عين وادي المضيق (البردان).

١٧ - السقيا: المقصود: هو نظام دقيق لاقتسام مياه عين وادي المضيق (البردان) بين سكان وملاك المزارع بالوادي، وتسمية أخرى نادرة «قانون الخيف».

١٨- عين البردان: عين المياه الرئيسية بوادي المضيق شرق مكة، انظر: الحارثي: الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف، ص٣٠٣.

١٩- آل باز: فرع من الأشراف الحرث آل الشريف محمد أبي نمي الثاني، وأكثرهم تملكاً للمزارع في وادي المضيق شرق مكة.

٢٠ - ضمن التقسيم الدقيق المشار إليه من مياه عين البردان، فقد قُسمت إلى حصص ووجبات قُدرت بثمان وعشرين وجبة، أو حصة، منها، ما تتدفق مياهه بساعات الليل، ومنها ما تتدفق مياهه بساعات النهار، بين المزارع.

٢١ - أولاد الظهور: أي أولاد الذكور من أبنائه.

٢٢ - أولاد البطون: أي أولاد بناته.

٢٣- الغلة: الدخل من ريع الأرض الزراعية (جمعها) غلات وغِلال.

٢٤ - عصبة الواقف: أقاربه، والمقصود هنا بعد أبناء وأحفاد الواقف، يأتي أقاربه من آل باز من الأشراف الحرث.

٢٥ - الخصفة في الأصل بساط، أو فرش يصنع من سعف النخل كان يُتخذ في المساجد فرشاً لها على نمط الحناب، والبساطات المعدة للصلاة، تُفرش أثناء الصلاة بالساحات الداخلية بالمسجد الحرام أو المسجد النبوي (الحصوات) ، ثم تطوى بعد الصلوات. ويسمى المكان المخصص لقراء القرآن الكريم بالمسجد الحرام مكان (الخصفة)، تسمى باسم شيخها أو الواقف عليها (مكان خصفة الشيخ فلان)، انظر: أبو سليمان: عبد الوهاب بن إبراهيم: عناية المسلمين بالوقف خدمة للقرآن الكريم، بحوث ندوة العناية بالقرآن الكريم وعلومه ١٤٢١هـ، موقع المفكرة الدعوية: www.dawahmemo.com ، ص٣٢-٣٣. أما الدوارق: فهي أواني الفخار الخاصة بماء زمزم، والمقصود أن تُسبل عدد من دوارق زمزم على رواد الحرم الشريف وجلساء حلقات القرآن الكريم.

٢٦ - رهن يرهن رهنا، وهو الحبس بسبب الدين، فإن وفْىَ المدين دينه فهو، وإلا فتباع العين المرهونة لوفاء الدين، ولا يجوز لصاحب الرهن بيع رهنه أو التصرف فيه قبل أداء دينه. انظر: محمود عبدالرحمن عبدالمنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية.

٢٧ - وادي المضيق: يقع شرق مكة المكرمة (من أعمال مكة المشرفة) كما ورد في والوثيقة. لمزيد من التفاصيل: انظر: الحارثي: الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف ،ص٢٩٨.

٢٨ - الناظر: من يثبت له الحق في حفظ الأعيان الموقوفة وإدارة شئونها واستغلالها وعمارتها وصرف غلاتها إلى المستحقين.

٢٩ - انبرم: اِنْبَرَمَ الحَبْلُ: اِنْفَتَلَ، اِلْتَوَى، والمقصود هنا: أي انعقد الوقف.

٣٠- يَرُمْ: من رام، يروم: يريد، أو يرغب.

٣١ - ولمزيد من التفاصيل عن أجرة النظر وأحقيتها وتقديرها انظر: الصالح: محمد بن أحمد: الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، ص١١٧- ١٢٤.

٣٢ - لمزيد من التفاصيل عن وقف أبي نمي ووثائقه انظر: الحارثي: الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف، ص١٤٢.

٣٣- الشريف غالب بن مساعد أمير مكة؛ بداية حكمه في العام ١٢٠٢ هـ - ١٧٨٨ م-١٢٣٢هـ-١٨١٧م .انظر: الحارثي: الشريف محمد بن حسين، سقاية لحاج مأثرة بني هاشم، ملتقى الأحبة بمكة المكرمة،١٤٣٤ه-٢٠١٣م،ص١٠١.

٣٤ - الأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني، ص ٦٨، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، وانظر: الغازي: عبدالله بن محمد: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، ج٢، ص٣٩١، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، الطبعة الأولى،١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، مكتبة الأسدي-مكة المكرمة.

٣٥ - لمزيد من التفاصيل انظر: الحارثي: الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف، ص٤١٢.

صورة من الوثيقة الوقفية



حجة وقفية من شمال غرب الحجاز
دراسة وثائقية

دراسة وتحقيق

مقدمة للقاء العلمي الحادي والعشرين لجمعية

التاريخ والآثار

بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

بمملكة البحرين الأربعاء والخميس

١١,١٠ شوال ١٤٤٣هـ/ الموافق ١٢,١١ مايو ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

منهج البحث:

من منطلق أن طبيعة الموضوع (في كلياته وجزئياته) هي التي ترسم بالأساس ملامح المقاربة المنهجية التي ينبغي اعتمادها في البحث؛ ونظراً لطبيعة هذه الدراسة الوثائقية، فقد استخدم الباحث المنهج التحليلي؛ دراسة وثائقية «دبلوماتية» (للحجة الشرعية الوقفية)؛ لبيان سماتها الخارجية والداخلية والبيانية «الببليوجرافيا»؛ وثائقياً باستخدام «علم الديبلوماتيك» (Diploma)؛ فاشتملت الدراسة على مبحثين، المبحث الأول، لدراسة نص الحجة الوقفية، أما المبحث الثاني يشتمل على النص الحرفي وصورة أصل الحجة الوقفية، وخاتمة الدراسة. تُبين مجمل فوائد وآثار الحجة الوقفية.

ملخص

حجة وقفية من شمال غرب الحجاز، دراسة وثائقية، دراسة وتحقيق: د. محمد بن حسين الحارثي الشريف.

دارسة وثائقية وقف صدرت من محكمة ضباء الشرعية التابعة للولاية الجليلة الحجازية، وشملت عدد من المناطق شمال غرب الحجاز على ساحل البحر الأحمر. فاشتملت الدراسة على مبحثين، المبحث الأول، لدراسة نص الحجة الوقفية، أما المبحث الثاني يشتمل على النص الحرفي وصورة أصل الحجة الوقفية، وخاتمة الدراسة. تُبين مجمل فوائد وآثار الحجة الوقفية.

الكلمات المفتاحية: الوقف، حجة وقفية، محكمة ضباء، ينبع النخل، المويلح، وادي تريم، وادي مقنا.

Abstract

An endowment argument from the northwest of the Hejaz, documentary study, study and investigation: Dr. Mohammed bin Hussein Al-Harthi Al-Sharif.

A decision was issued by the Sharia Court of Appeal of the State of Jalila, issued by the Court of Appeal of the State of Hijaz, and the number of regions northwest of Hijaz on the coast of the Red Sea. The study included a topic, the first section, to study the text of the endowment argument, while the second section includes the verbatim text and a picture of the origin of the endowment argument, and the conclusion of the study. It shows all the benefits and effects of the endowment argument.

Key words: Waqf, Waqf Hajjah, Duba Court, Yanbu Al-Nakhl, Muwailih, Wadi Tarim, Wadi Maqna.

المبحث الأول

دراسة نص الحجة الوقفية

هذه دارسة وثائقية لحجة وقف صدرت من محكمة ضباء الشرعية التابعة لقضاء الوجه والولاية الجليلة الحجازية لدى النائب الشرعي لناحية ضباء، بتاريخ ٢ ذو الحجة ١٣٢٨ه، الموافق ٥ كانون الأول ديسمبر ١٩١٠م، فترة حكم الشريف الحسين بن علي للحجاز.

تعريف بموضوع الحجة الوقفية:

هذه الحجة الوقفية مضمونها «وقف نخيل وبيوت ومخازن في عدة مناطق بشمال غرب الحجاز»؛ بأركان الوقف[(١)] وهي: (وقف، واقف، موقوف عليه، وصيغة الوقف)، فكانت الأركان الأربعة متوفرة ومثبتة في هذه الحجة الوقفية.

السمات العامة للحجة الوقفية (الخارجية والداخلية).

أولاً: السمات الخارجية: تتعلق بمعرفة نوع الورق والحبر والإخراج والهوامش وحالة الحجة الوقفية.

١-**الورق**: هذه الحجة الوقفية أصلية من مقتنيات أحفاد السيد الشريف عبدالرحيم بن المرحوم السيد محمد المويلحي[(٢)]، لم يسبق تحقيقها، وكُتبت على ورق أبيض يميل إلى الاصفرار.

٢-**الحبر المستعمل**: أسود يميل إلى اللون البني لاحتوائه على أكسيد الحديد.

٣-شكل الوثيقة: تتألف الحجة من ورقة واحدة (وجه وظهر). أبعادها حوالي ٢٨سم طولاً × ١٨سم عرضاً تقريباً، وهي على شكل Roll.

٤-إخراج الصفحة والهوامش والسطور: لا تختلف هذه الحجة الوقفية عن مثيلاتها من الوثائق التي صدرت في العهد العثماني بالحجاز حيث إن الكاتب ترك ما يقرب من ٢٠٪ من طول الوثيقة من أعلى فارغاً لوضع تأشيرات وأختام القضاة والتعليقات ومن أسفل ترك الكاتب فراغاً حوالي ٨سم لتوقيع الشهود.

٥-الهوامش: الهامش الأيمن عريض (حوالي ٣سم) بينما الهامش الأيسر ضيق (حوالي ١سم).

٦-السطور: كُتبت الحجة الوقفية في سطور كاملة منتظمة دون فواصل أو وقفات، وعدم وضع النقط على بعض الحروف، ولم توضع الهمزات على بعض الحروف.

٧-السمات البيانية «البيليوجرافيا»:

أ-الخط: لم يستعمل الكاتب حروفاً كبيرة ولا المدات في الكلمات الافتتاحية أو بداية الفقرات.

ب-اللغة: عدم الالتزام بقواعد النحو والإملاء مثل: (في قلعت المويلح)، (كيف ما حبوا) (ثم من بعدهم على اولاد الذكور ثم على أولاد أولادهم ثم على أولاد الأولاد).

ثانياً: السمات الداخلية: وهي معرفة أجزاء الحجة الوقفية، وأسلوبها من الناحيتين الفقهية، والوثائقية «الدبلوماتية»[٣].

٥- [الإجراء الافتتاحي] مقدمة الحجة الوقفية:

«بمحكمة ضباء الشرعية التابعة لقضاء الوجه والولاية الجليلة الحجازية لدى النائب الشرعي المأذون له قد حضر هذا الرجل المكلف كامل الأوصاف المعتبرة شرعًا المعروف باسمه وشهرته المكرم السيد الشريف عبدالرحيم بن المرحوم السيد محمد المويلحي..»

٦- عناصر نص الحجة الوقفية:

يعد النص أهم جزء في الحجة الوقفية ويتكون من عناصر موضوع التصرف أي بيان الوضع؛ حيث ذكر الواقف أهليته لأداء التصرف طواعية من غير إكراه.

يضاف إلى ما سبق من عناصر يتضمنها النص العناصر التالية:

أ- **إثبات صحة التصرف**: قد تصرف ووقف السيد عبدالرحيم هذا ما كان له من ملك تحت ملكه وتصرفاته الشرعية وآل إليه بطريق الشراء والعمارة والميراث.

ب- ممتلكات الوقف:

١. النخيل الكائن في قلعة المويلح(٤) جميعًا.

٢. والمُلك الثاني جميع النخيل الكائن في وادي تريم.(٥)

٣. والمُلك الثالث جميع النخيل الكائن في وادي مقنا.(٦)

٤. والمُلك الرابع جميع النخيل الكائن في وادي يَنْبُع النخل.(٧)

٥. جميع ملكه العقار الكائن في قصبة مديرية ناحية ضباء(٨) وهو بيتٌ قائم البناء والجدران وحدوده الأربعة الحد الأول الغربي لصق ملك ورثة المرحوم مسعد

السليمي والحد القبلي له نصف ملك شريف أفندي والحد الشرقي بعض لصق ملك وقف زاوية السنوسي[(٩)] وبعضه لصق المخزن[(١٠)] ملك السيد عبدالرحيم الواقف هذا والحد البحري الشارع وبه زمام فتح باب البيت المذكور وأيضًا المخزن ذلك البيت المعروف لصق وقف أملاك زاوية السنوسي وفتح باب الشارع المناخة وأيضًا أربعة مخازن تقع في المناخة[(١١)] قائمتي البناء والجدران لصق بعضهم وحدودهم الحد الأول الشرقي ينتهي إلى الشارع الاستطراق[(١٢)] والحد البحري أرض فضاء ملك هذا الواقف وينتهي إلى سفح الجبل والشارع بين ملك ورثة المرحوم السيد محمد عوض الله عوض وملك عطا بن المرحوم عبدالقادر (..) جعبص والحد الغربي لهذا المخزن وقف زاوية السنوسي والحد القبلي شارع المناخة وبه فتح أبواب المخازن المذكورة.

ت- طبقات الوقف:

الطبقة الأولى: طبقة الواقف وذريته كالتالي:

أ- جعل هذا الواقف وقفه على نفسه مدة حياته لا يشاركه فيه مشارك ولا ينازعه فيه منازع.

ب- ثم بعده على ذريته الذكور (وقف كل ذلك السيد الشريف عبدالرحيم بن السيد أحمد بن السيد محمد المويلحي لكل أولاده الذكور أحدهم السيد محمد بن السيد عبدالرحيم والثاني السيد أحمد ابن السيد عبدالرحيم محمد المويلحي والثالث السيد محمود بن السيد عبدالرحيم محمد المويلحي والرابع السيد عبدالمطلب بن عبدالرحيم محمد المويلحي والخامس السيد عبدالسلام ابن ولده محمد ابن السيد عبدالرحيم محمد المويلحي والإناث ينتفعن به في

مدة حياتهم فقط سكناً وإسكاناً وغلة وانتفاعاً كيف ما حبوا واختاروا بسائر الانتفاعات الشرعية؛ والمنفعة تقسم بالفريضة الشرعية بين الذكور والإناث للذكر مثل حظ الأُنْثَيين).

الطبقة الثانية: ثم من بعدهم على أولاد الذكور.

الطبقة الثالثة: ثم على أولاد أولادهم.

الطبقة الرابعة: ثم على أولاد أولاد أولادهم.

الطبقة الخامسة: ثم على ذريتهم ونسلهم وأعقابهم دون أولاد الإناث.

أ- يجري ذلك طبقة بعد طبقة ونسلاً بعد نسل وجيلاً بعد جيل الطبقة العليا منهم تحجب الطبقة السفلى من نفسها لا من غيرها بحيث يحجب كل أصل فرع نفسه دون فرع غيره.

ب- على أن من مات منهم بعد دخوله في هذا الوقف واستحقاقه بالفعل وترك ولداً (...) وأسفل من ذلك انتقل نصيبه لولده أو ولد ولده وإن شمل فإذا لم يكن له ولد ولا ولد ولد ولا أسفل من ذلك انتقل نصيبه لإخوانه وأخواته المشاركين له في الدرجة واستحقاق جمعاً طالما يستحقون في ذلك.

ت- فإن لم يكن له إخوة ولا أخوات انتقل نصيبه في ذلك لأهل درجته وذوي طبقته، فإن لم يكن في درجته وذوي طبقته فلبقية المستحقين معه فبهذا الوقف كلّ ذلك من أولاد الذكور وأولاد أولادهم بالفريضة الشرعية بينهم يستغل بها الواحد عند انفراده ويشتركون فيه الألف... فوقهما عند الاجتماع ومراعاة حجب الأصل لفرع نفسه دون فرع غيره في كل طبقة.

ث- ومن مات من الموقوف عليهم قبل دخوله في هذا الوقف واستحقاقه

وترك فرعًا وإرثـًا وعقبا قام فرعه الوارث أو عقبه مقامه في الدرجة والاستحقاق واستحق أصله لو كان حيـًا باقيـًا.

ج- ومن مات منهم من غير عقب رجع نصيبه لمن سواه بالدرجة حيث كل أصل يحجب فرعه لا فرع غيره.

الطبقة السادسة: فإذا انقرضوا جميعـًا بأسرهم وأبادهم الموت عن آخرهم وخلت بقاع الأرض منهم أجمعين كان ذلك وقفـًا شرعيـًا يستغل الاستغلال الشرعي ويصرف ريعه للحرم المدني[(١٣)] إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

ث- شروط الوقف:

أ- ويبدأ من هذا الوقف من ريعه على عمارته وصيانته وما فيه البقاء لعينه.

ب- جعل الواقف المذكور النظر لنفسه على هذا الوقف مدة حياته ومن بعده يكون للأرشد فالأرشد من أولاده.

ت- شرط الواقف لنفسه الشروط الآتية: الإدخال والإخراج والإعطاء والحرمان والزيادة والنقصان والتغيير والتبديل والإبدال والاستبدال[(١٤)] وله أن يكرر ذلك في وقفه هذه المدة بعد المدة والكثرة بعد الكثرة حسب ما يحب ويختار.

ث- جرى ذلك بين يدي مولانا النائب الشرعي المومأ إليه وحكم به وأنفذه وقضاه وأوجب العمل به ومقتضاه حرر في هذه الوثيقة الشرعية الرسمية فمضى عليها بختم المحكمة الشرعية السليم وختم مولانا الحاكم الشرعي أعلاه لتكون حجة كي تحرر يعمل بها ويرجع في الحكم إليها وتسجل قيدها بالسجل المحفوظ بالمحكمة الشرعية ليعتمد في طريق الحكم عليها نافذة

الإجـراء كأمثالهـا مـن حجـج الوقوفـات الواقعـة في المحاكـم الشـرعية توفيقـاً لمقتضـى النظـام المرعـي والنصـوص الفقهيـة لإجـراء مـا وقـع.

٧- **الإجراء الختامي:**

١- خاتمة الحجة الوقفية».. به ومقتضاه حرر في هذه الوثيقة الشرعية الرسمية فمضى عليها بختم المحكمة الشرعية السليم وختم مولانا الحاكم الشرعي أعلاه لتكون حجة كي تحرر يعمل بها ويرجع في الحكم إليها وتسجل قيدها بالسجل المحفوظ بالمحكمة الشرعية ليعتمد في طريق الحكم عليها نافذة الإجراء كأمثالها من حجج الوقوفات الواقعة في المحاكم الشرعية توفيقاً لمقتضى النظام المرعي والنصوص الفقهية لإجراء ما وقع صار تحريره ووضع عليها ورق البول[١٥] الرسمي تحرر».

٢- التاريخ: ٢ ذو الحجة ١٣٢٨هـ، الموافق ٥-كانون الأول ديسمبر-١٩١٠م.

٣- علامات الصحة والإثبات:

ختم المحكمة، وختم النائب الشرعي في أعلى الحجة الوقفية. وفي أسفلها: أسماء الشهود السبعة وأختامهم، وأسفل منها، ختم المحكمة، وختم النائب الشرعي لناحية ضباء، كاتبه: أحمد حسن، وأسفل منه: عبارة الختام: أقول وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب قال الله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليه. وختم الواقف.

المبحث الثاني

النص الحرفي وصورة أصل الحجة الوقفية:

- تم نشر نص الحجة الوقفية أدناه دون تصحيح أو إضافة أو تعديل، وإيرادها في وضعية مكتوبة ومصورة.

عدد طابعه	عدد طابعه
٢ ذو الحجة/ ١٣٢٨	النائب الشرعي لناحية ضباء
ختم المحكمة	ختمه كاتبه أحمد حسن

بمحكمة ضباء الشرعية التابعة لقضاء الوجه والولاية الجليلة الحجازية لدى النائب الشرعي المأذون له قد حضر هذا الرجل المكلف كامل الأوصاف المعتبرة شرعًا المعروف باسمه وشهرته المكرم السيد الشريف عبدالرحيم بن المرحوم السيد محمد المويلحي غب حضوره وتحقق معرفته ذاتًا وحسبًا ونسبًا وصفه بشهادة كلاً من المكرم الحاج محمود بديوي أفندي أحد أعضاء مجلس إدارة الناحية والمكرم السيد عبدالله بن السيد محمد أحمد عوض والمكرم السيد عاشور بن المرحوم السيد محمد عوض الله والمكرم خليل بن محمد أبو حسبو كلاهما من أعيان ووجوه البلدة وغيرهم من المسلمين دام إجلالهم أمين بحضورهما قد تصرف ووقف السيد عبدالرحيم هذا ما كان له من ملك تحت ملكه وتصرفاته الشرعية وآل إليه بطريق الشراء والعمارة والميراث

وهو أولاً النخيل الكاينه في قلعت المويلح جميعاً والملك الثاني جميع النخيل الكاينه في وادي تريم والملك الثالث جميع النخيل الكاينه في وادي مقنا والملك الرابع جميع النخيل الكاينه في وادي ينبع النخل وأيضا جميع ملكه العقار الكاين في قصبة مديرية ناحية ضباء وهو البيت قائم البناء والجدران وحدوده الأربعة الحد الأول الغربي لصق ملك ورثة المرحوم مسعد السليمي والحد القبلي له نصف ملك شريف أفندي والحد الشرقي بعض لصق ملك وقف زاوية السنوسي وبعضه لصق المخزن ملك السيد عبدالرحيم الواقف هذا والحد البحري الشارع وبه زمام فتح باب البيت المذكور وأيضاً المخزن ذلك البيت المعروف لصق وقف أملاك زاوية السنوسي وفتح باب الشارع المناخة وأيضاً أربعة مخازن تقع في المناخة قائمتي البناء والجدران لصق بعضهم وحدودهم الحد الأول الشرقي ينتهي إلى الشارع الاستطراق والحد البحري أرض فضى ملك هذا الواقف وينتهي إلى سفح الجبل والشارع بين ملك ورثة المرحوم السيد محمد عوض الله عوض وملك عطا بن المرحوم عبدالقادر (..) جعبص والحد الغربي لهذا المخزن وقف زاوية السنوسي والحد القبلي شارع المناخه وبه فتح أبواب المخازن المذكورة فجميع العقارات الموضحة أعلاه من نخيل وبيوت ومخازن وأرض بحدودهم وحقوقهم وتوابعهم ومرافقهم وجميع ما ينسب ويذكر إليهم شرعاً وقف كل ذلك السيد الشريف عبدالرحيم بن السيد أحمد بن السيد محمد المويلحي لكل أولاده الذكور أحدهم السيد محمد بن السيد عبدالرحيم والثاني السيد أحمد ابن السيد عبدالرحيم محمد المويلحي والثالث السيد محمود بن السيد عبدالرحيم محمد المويلحي والرابع السيد

عبدالمطلب بن عبدالرحيم محمد المويلحي والخامس السيد عبدالسلام ابن ولده محمد ابن السيد عبدالرحيم محمد المويلحي والإناث ينتفعون به في مدة حياتهم فقط سكناً وإسكاناً وغلة وانتفاعاً كيف ما حبوا واختاروا بسائر الإنتفعات الشرعية وقفاً صحيحاً شرعياً مرعياً لا يباع ولا يرهن ولا يوهب ولا يعار محرماً بحرمات الله تعالى جارياً على أصوله حتى يرث الله الأرض ومن عليها ثم جعل هذا الواقف وقفه علي نفسه مدة حياته لا يشاركه في مشارك ولا ينازعه فيه منازع ثم بعده علي ذريته الذكور المذكورين أعلاه والمنفعة تقسم بالفريضة الشرعية بين الذكور والإناث للذكر مثل حظ الأنثيين ثم من بعدهم علي اولاد الذكور ثم على اولاد اولادهم ثم على اولاد اولاد اولادهم ثم على ذريتهم ونسلهم وأعقابهم دون أولاد الإناث يجري ذلك طبقة بعد طبقة ونسلاً بعد نسل وجيلاً بعد جيل الطبقة العليا منهم تحجب الطبقة السفلى من نفسها لا من غيرها بحيث يحجب كل أصل فرع نفسه دون فرع غيره على أن من مات منهم بعد دخوله في هذا الوقف واستحقاقه بالفعل وترك ولداً (...) واسفل من ذلك انتقل نصيبه لولده أو ولد ولده وان شمل فاذ لم يكن له ولد ولا والد ولد ولا اسفل من ذلك انتقل نصيبه لاخوانه واخواته المشاركين له في الدرجة واستحقاق جمعاً طالما يستحقون في ذلك فإن لم يكن له إخوة ولا اخوات انتقل نصيبه في ذلك لاهل درجة وذوي طبقتة فأن لم يكن في درجته وذوي طبقته فلبقيه المستحقين معه فبهذا الوقف كلّ ذلك من أولاد الذكور واولاد أولادهم(...) بالفريضة الشرعية بينهم يستغل بها الواحد عند انفراده ويشتركون فيه الالف (....) فوقهما عند الاجتماع ومراعاة حجب الأصل لفرع نفسه دون

فرع غيره في كل طبقة ومن مات من الموقوف عليهم قبل دخوله في هذا الوقف واستحقاقه وترك فرعاً وارثاً وعقباً قام فرعه الوارث او عقبه مقامه في الدرجة والاستحقاق واستحق أصله لو كان حياً باقياً ومن مات منهم من غير عقب رجع نصيبه لمن سواه بالدرجة حيث كل أصل يحجب فرعه لا فرع غيره فإذا انقرضوا جميعاً بأسرهم وأبادهم الموت عن آخرهم وخلت بقاع الأرض منهم أجمعين كان ذلك وقفاً شرعياً يستغل الاستقلال الشرعي ويصرف ريعه للحرم المدني الي أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ويبدأ من هذا الوقف من ريعه على عمارته وصيانته وما فيه البقاء لعينه وجعل الواقف المذكور النظر لنفسه على هذا الوقف مدة حياته ومن بعده يكون للأرشد فالأرشد من الاوده وشرط الواقف لنفسه الشروط الاتيه الإدخال والإخراج والأعطاء والحرمان والزيادة والنقصان والتغيير والتبديل والإبدال والاستبدال وله ان يكرر ذلك في وقفه هذه المدة بعد المدة والكره بعد الكره حسب ما يحب ويختار جرى ذلك بين يدي مولانا النائب الشرعي الموما اليه وحكم به وأنفذه وقضاه وأوجب العمل (..) به ومقتضاه حرر في هذه الوثيقة الشرعية الرسمية فمضى عليها بختم المحكمة الشرعية السليم وختم مولانا الحاكم الشرعي أعلاه لتكون حجة كي تحرر يعمل بها ويرجع في الحكم إليها وتسجل قيدها بالسجل المحفوظ بالمحكمة الشرعية ليعتمد في طريق الحكم عليها نافذة الإجراء كأمثالها من حجج الوقوفات الواقعة في المحاكم الشرعية توفيقاً لمقتضى النظام المرعي والنصوص الفقهية لإجراء ما وقع صار تحريره ووضع عليها ورق البول الرسمي تحرر في ٢ ذي الحجة ١٣٢٨هـ ألف وثلثماية ثمانية

وعشـرون مـن هجـرة مـن لـه العـز والشـرف صلـى الله عليـه وسـلم.

شهد بذلك أحمد حسن عموا ختمه

شهد بذلك حسن أحمد سحله ختمه

شهد بذلك الشريف عبدالمجيد فلاح ختمه

شهد بذلك خليل بن محمد أبو حسبوا

شهد بذلك عاشور بن محمد عوض الله عوض ختمه

شهد بذلك السيد عبدالله بن محمد عوض ختمه

شهد بذلك الحاج محمود بديوي شحاته ختمه

المقـر بمـا فيـه صحيـح الواقـف السـيد الشـريف عبدالرحيـم بـن السـيد محمـد المويلحـي ختمـه

الخلف: نمره	سجل قيد	جلد ٢	ذو الحجة ١٣٢٨
صحفه	ختم المحكمة	عدد	طابعه
١٨٥	١		نائب شرعي ناحية ضباء
			ختم

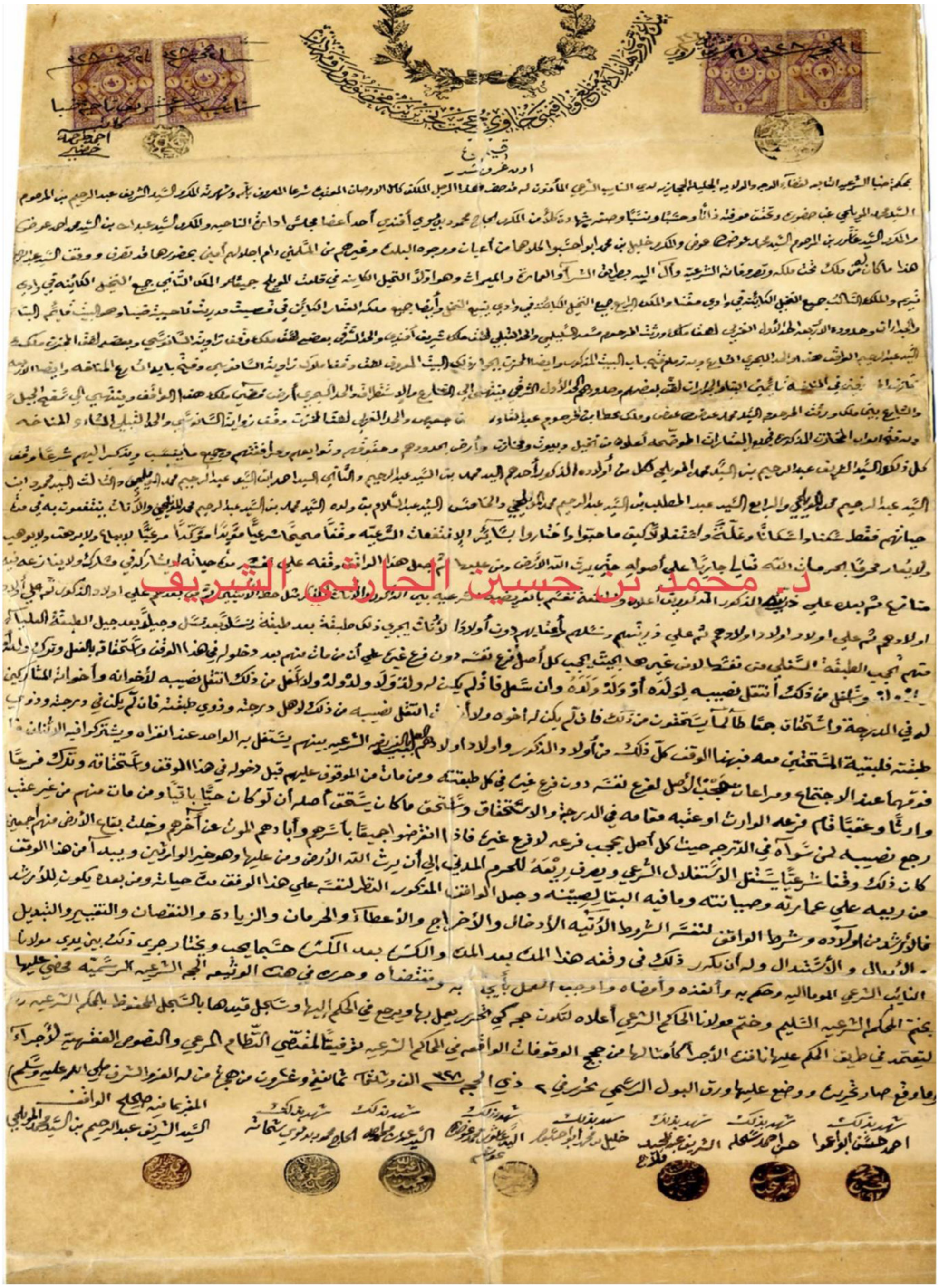
أقـول ومـا توفيقـي إلا بـالله عليـه توكلـت وإليـه أنيـب قـال الله تعالـى فمـن بدلـه بعـد مـا سـمعه فإنمـا إثمـه علـى الذيـن يبدلونـه إن الله سـميع عليـه.

ختم وتوقيع الواقف

راجي عفو الرحيم

السيد عبدالرحيم

• صورة أصل الحجة الشرعية الوقفية:



الخاتمة:

مجمل فوائد وآثار الحجة الوقفية:

١- تبين للقارئ معرفة عدد من المواقع العمرانية والأراضي الزراعية وأصحاب المناصب وأماكن الأوقاف والمستفيدين من الوقف، كذلك التعرف إلى أسماء القضاة، والكتاب، وكذلك أسماء عدد من الأعلام، والأسواق، والعائلات. كما يظهر بجلاء في هذه الدراسة من أسماء لبلدات تقع بشمال الحجاز الجغرافي على ساحل البحر الأحمر «الشمال الغربي للمملكة العربية السعودية»، وانظر الخريطة.

٢- تمثل هذه الحجة الوقفية ومثيلاتها مصدراً مهماً للمعطيات الطبوغرافية التي تتعلق بقرية أو مدينة أو حتى منطقة بكاملها، التي تحفل بوصف وتحديد الأراضي والمزارع التابعة لقرية من القرى، بحيث تساعدنا كثيراً على إعادة تصور الوضع الطبوغرافي للقرى كما كانت عليه قبل قرون، وخاصة بالنسبة لتلك القرى التي اندثرت وتلاشت معالمها مع توسع المدن واندماجها فيها.

٣- تعتبر هذه الحجة الوقفية الشرعية وثيقة رسمية صادرة من محكمة شرعية معتبرة بأختام قضاتها؛ لا يمكن التشكيك والطعن في صحتها، ومصدراً لإعادة إحياء التراث الإسلامي، وإعادة كتابة التاريخ، وتجديد المفاهيم التاريخية التقليدية، كما هو مبين تفصيلاً في التحليل الدبلوماتي للحجة الوقفية.

٤- الحجة الوقفية، ومثيلاتها من مصادر التاريخ، مثلها في ذلك مثل كتب التراجم، وكتب الرحلات، والمراسلات ونحوها، فهي شواهد ناطقة بالأحوال

والأوضاع العامة في بلدان الوقف في مراحل زمنية متفاوتة.

٥- يُستَفاد من هذه الحجة الوقفية، وما شابهها، في معرفة التراجم؛ إذ يرد في الحجة ذكر للواقف، والقاضي، أو الموثق للوقف، والشهود، والمستفيدين من الوقف، والقائمين عليه من النظَّار ونحوهم، ثم القضاة الذين يتتابعون على توثيق الوقف، فكل أولئك يرد ذكرهم في سياق الحجج الوقفية، كما ورد في هذه الحجة الوقفية المحققة.

٦- مما يتضح من هذه الدراسة معرفة الجوانب الحضارية المتعلقة بالزراعة، والعمارة ونحوهما، كما ورد في هذه الحجة الوقفية المحققة، من مزارع نخيل وعقارات في عدد من المناطق بشمال غرب الحجاز.[(١٦)]

٧- تعتبر هذه الحجة الوقفية ومثيلاتها بمثابة تراث وطني لا يُقدر بثمن، ومصدر لا غنى عنه، لكل باحث في مجال الدراسات التاريخية أو الشرعية، أو الاجتماعية، والاقتصادية.[(١٧)]

٨- الآثار النسبية للحجج الوقفية: فمن آثار هذا الوقف المهمة التي لم يتطرق لها الباحثون في آثار الأوقاف -بحسب اطلاعي- أن الأوقاف الذرية ساهمت مع عوامل أخرى في حفظ أنساب تلك الأسر (ذرية الواقف)، ودعمت تماسكها وتقاربها وتعارفها وتلاقيها ببعضها، حتى لو تباعدت أماكن السكنى لذوي الواقف،[(١٨)] مما هو مُشاهد على أرض الواقع.

والله الموفق

الإحالات والمصادر والمراجع:

(١) الطرابلسي: برهان الدين إبراهيم بن موسى الطرابلسي الحنفي (ت٩٢٢هـ): كتاب الإسعاف في أحكام الأوقاف، تحقيق: عبدالله نذير مزي، المكتبة المكية- مؤسسة الريان، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، ص٥٣-٦٣؛ وانظر الصالح: محمد بن أحمد: الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص ٦٠ - ٨٤.

(٢) عميد أسرة حسنية عريقة، قد نزح مؤسسها من ينبع النخل، إلى ثغر المويلح، ولا تزال أملاك هذه العائلة في الجابرية وعين النوى وعين سلمان بينبع النخل، موطن آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الحسنيين والحسينيين.

(٣) ويعرف علم الوثائق في اللغات الأوروبية باسم «علم الديبلوماتيك»، وقد أُشتق ذلك الاسم من الكلمة اليونانية (Diploma) ومعناها صحيفة مطوية، وقد سميت كذلك لأنها كانت تكتب في الأزمنة الماضية، إما على قراطيس البردي، أو قطع الرق، أو الورق عندما انتشرت صناعته في العالم، ثم تطوى الصحيفة بحيث تصير ملفوفة، وتحزم أحياناً بشريط من الجلد أو القماش، وقد يختم على هذا الشريط حفظاً للوثيقة من العبث والتزييف. عيسوي: عصام أحمد: الدراسة الدبلوماتية لسجلات الدواوين الحكومية في مصر، انظر: موقع جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم علوم المكتبات الإلكتروني،

http://staff.ksu.edu.sa/node/25501.

(٤) المويلح: ميناء على ساحل البحر الأحمر الشرقي شمال ضبة، يصب عليها وادي صُرّ، من الشرق من جبل الجَمّ وشار، وكان المويلح يسمى النَبْك شمال غربي الحجاز، وتُعدُّ إحدى محطات درب الحاج المصري إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهي مركز يرتبط بمحافظة ضباء التابعة لمنطقة تبوك، تضم بعض المواقع الأثرية كقلعة المويلح والسوق القديم، وتابعة لإمارة منطقة تبوك. تقع من الشمال لمدينة ضباء والتي تبعد عنها قرابة ٤٠ كيلومتراً. كان يمر بها الحجاج القادمون من بلاد الشام ومصر وتصرف لهم المؤونة من وكيل القلعة. تضم مجموعة من المنازل القديمة ومسجد وقلعة حربية، كانت في الأصل برجاً بناه المماليك، وفي عصر الدولة العثمانية تم تحويل البرج إلى قلعة وذلك في عام ٩٦٨ هـ خلال حكم السلطان سليمان القانوني. دمرت القلعة بواسطة بارجة إنجليزية خلال الحرب العالمية الأولى. وقد عمرت ٤٠٠ عام، ويعتبرها بعض المؤرخين من أكبر القلاع بالمملكة العربية السعودية. انظر: البلادي: عاتق: معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر والتوزيع، مؤسسة الريان للطباعة والنشر-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ج٨، ص١٦٩١؛ الوليعي: عبدالله بن ناصر: معجم الأماكن الجغرافية في البحر الأحمر، دارة الملك عبدالعزيز-الرياض، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، المجلد الثاني، ص ٨٠٣.

(٥) تريم: قال ياقوت: تريم: بالكسر، وفتح الياء: اسم وادٍ بين المضايق، ووادي ينبع، ثم قريب من مدين، ج٢، ص٢٨؛ يقول البلادي: وادٍ تهامي يسيل من جبل الجم جنوب البدع، ثم يدفع في البحر، عند مصبه قرية الصوراء. انظر: معجم معالم الحجاز، ج٢، ص٢٦٨.

(٦) مقنا: قال ياقوت: قرب أيلة صالحهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، على ربع عروكهم، والعروك حيث يصطاد عليه، وعلى أن يعجل منهم كراعهم وخلفتهم، وقال الواقدي: صالحهم على عروكهم وربع ثمارهم، ج٥، ص١٧٨؛ وهي مرسى لصيد الأسماك، قام عليه مركز سكاني حديث يتبع محافظة البدع التابعة لمنطقة تبوك، يقع على شرم متعمق في ساحل خليج العقبة عند مصب وادي الحمضة، يقع على الطريق الساحلي الذي يربط بين رأس الشيخ حميد ومدينة حقل، ويرتبط مع مدينة البدع بطريق معبد. كما تسمى بمقناء، تبعد عن محافظة البدع ما يقارب ٢٨ كم وتبعد عن تبوك ٢٣٥ كم، وتشتهر بمناظرها الخلابة ووجود عيني مياه بها وهي عين موسى شمالها ب ٢٠ كيلو، وعين طيب اسم، كما تمتاز بكثرة وجود أشجار النخيل والفواكه. انظر: البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٨، ص١٦٤٥؛ الوليعي: معجم الأماكن الجغرافية في البحر الأحمر، المجلد الثاني، ص ٧٨٣.

(٧) يَنْبُع: بالفتح ثم السكون وضم الموحدة التحتية، وعين مهملة، مضارع نبع، ونبع الماء: ظهر. وسميت ينبع بذلك لكثرة ينابيعها. قال الشريف سلمة بن عياش الينبعي: عددت بها مئة وسبعين عيناً. وتقع على خط عرض (٢٤-٦) شمالاً، وخط طول (٣٨-٣) شرقاً. وتلك ينبع الميناء أو الثغر البحري أو ما تسمى حديثاً (ينبع البحر) التي لا تبعد كثيراً عن (ينبع النخل)، وفي الفترة الإسلامية المبكرة كانت الأحداث ترتبط أكثر بينبع النخل، ومن العهد الأيوبي وما بعده ارتبطت الأحداث بينبع البحر والنخل على السواء حتى نهاية العهد المملوكي. وما إضافة البحر إلا للتفريق وإن كانتا لا تختلفان في القبائل والعادات

والتاريخ المشترك، وتمثل ينبع النخل الجزء الأعلى من المدينة، وينبع البحر تشكل الجزء الأدنى منها، وينبع البحر جزء أصيل من ينبع النخل وما المسافة الموجودة بينهما اليوم إلا مناطق العيون التي اندثرت معالمها. انظر: الحارثي، محمد بن حسين: الموانئ البحرية الحجازية من البعثة النبوية إلى نهاية العصر المملوكي، كرسي الملك سلمان لدراسات تاريخ مكة، جامعة أم القرى، ١٤٣٧هـ-٢٠١٥م، ص٨٥.

(٨) ضباء: مدينة ساحلية تقع على مصب وادي ضباء في شرم ضباء في البحر الأحمر، جنوب مصب وادي ضحكان شمال غربي الحجاز، وكانت إحدى محطات درب الحاج المصري إلى مكة المكرمة والمدينة، وتضم بعض الآثار التي تدل على ذلك. سميت ضباء لأن في لغة أهل الشمال الجو ضَاب أو ضبَّ بمعنى كاتم أي حار ورطب ويقال ضبَّ الجو أي أصبح حاراً، ورطب بمعنى مكتوم وعُرفت واشتهرت قديمـاً بكونها ميناء آمن لسفن التجارة والصيد في شمال البحر الأحمر وبوفرة مائها العذب. ويحد ضباء من الشمال مدينة نيوم الجديدة ومن الجنوب وادي كفافة ووادي سلمى وقرية العمود. انظر: الوليعي: عبدالله بن ناصر: معجم الأماكن الجغرافية في البحر الأحمر، المجلد الثاني، ص ٤٨٣.

(٩) للسنوسية زوايا عديدة بشمال الحجاز، منها زاوية بالوجه وأخرى بكل من أملج وينبع والعيص والمويلح. أما التي في ضباء فبناها عبد الله السنوسي وهي مسجد البحر. انظر: المغيربي: إبراهيم بن يوسف: ضباء في ذاكرة التاريخ، مذكرات ضباء، دار الصُميعي للنشر والتوزيع، ص١٣٥.

(١٠) المخزن وجمعها مخازن: وهو مخزن للمواد الغذائية والحبوب، كالأرز والقمح والشعير، ويتم تخزين المواد والحبوب بعد وصولها من الميناء عبر الناقلات البحرية. وأحياناً يُستخدم مخزناً للأسلحة والذخيرة أوقات الحروب[الباحث].

(١١) المناخة: سوق، وسُمي بالمناخة لأن إبل التجار كانت تُناخ فيه، والتجار يُحضِرونَ إليه بضائعهم في الصباح ويعرضونها في أي موقع منه ويرجعون بما يبقى لديهم في المساء. لمزيد من الاطلاع على سوق المناخة انظر: آثار المدينة لعبدالقدوس الأنصاري، ط٤، ١٩٨٥م/ ١٤٠٦هـ، ص١٥٩.

(١٢) الاستطراق: استطرق إلى الباب أو نحوه: سلك الطريق إليه. معجم الرائد، تأليف: جبران مسعود، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٩٢م، ص٦١.

(١٣) المقصود: المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة على صاحبه نبينا محمد أفضل الصلاة وأتم التسليم.

(١٤) المقصود بها الشروط العشرة: وهي محدثة الاستعمال في المعنى المراد هنا، ولم ترد في كلام الفقهاء، ولكنها استعملت في هذا المعنى من أمد بعيد في كتب الواقفين وفي فتاوى بعض المتأخرين وفي لغة المحاكم، حتى أصبح مدلولها محدوداً ومنضبطاً، وصارت كلمة اصطلاحية. وفيما يلي تعريفها بالإجمال:

١- الزيادة والنقصان: أن يشترط الواقف الزيادة، أو النقصان في أحد أنصبة الموقوف عليهم.

٢- الإدخال والإخراج: إدخال غير موقوف عليه من أهل الوقف، أو أن يخرج مستحقاً من صفوف الموقوف عليهم.

٣- الإعطاء والحرمان: إعطاء بعض المستحقين الغلة كلها أو بعضها والحرمان كالإخراج في أحكامه.

٤- الإبدال والاستبدال: يراد بالإبدال: إخراج العين الموقوفة عن جهة وقفها، وبالاستبدال أخذ البدل ليكون وقفاً مكانها.

٥- التغيير والتبديل: حق الواقف في تغيير الشروط التي اشترطها في صك وقفيته.

وحكم هذه الشروط العشرة أنها شروط صحيحة لأنها لا تخلُّ بأصل الوقف ولا بحكم من أحكامه الجاري العمل بها. انظر: القضاة، منذر عبدالكريم: أحكام الوقف بين الشريعة والقانون، دار الثقافة-عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١١م-١٤٣٢هـ، ص٧٩-٨٠.

(١٥) ورق البول pul ورق الطابع الحكومي.

(١٦) انظر: اللويحق، عبدالرحمن بن معلا: الدلالات الثقافية والحضارية لوثائق الأوقاف، مجلة الدرعية، العددان: ٢٤، ٢٥، ذو الحجة ١٤٢٤هـ - ربيع الأول ١٤٢٥هـ/ فبراير - مايو ٢٠٠٤م

(١٧) محمد، مرسي محمد: الوثائق الوقفية ودورها في إثراء تاريخ الحضارة الإسلامية، التسامح (فصلية فكرية إسلامية)، ع ١٣ (شتاء ١٤٢٧، ٢٠٠٦)، ص ١٥١-١٦٣.

(١٨) الحارثي: الشريف محمد بن حسين: دراسة (وثيقة وقفية) من وثائق الأوقاف لدى الأشراف الحرث، مقدم/ للملتقى العلمي الخامس عشر لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بدولة الكويت ٢٢/ جمادى الآخرة/ ١٤٣٥هـ.

ثبت المصادر والمراجع

١- الأنصاري: عبدالقدوس: آثار المدينة، المكتبة العلمية التجارية-المدينة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٥م/ ١٤٠٦هـ.

٢- البلادي، عاتق: معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر والتوزيع، مؤسسة الريان للطباعة والنشر-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م

٣- الحارثي، الشريف محمد بن حسين: دراسة (وثيقة وقفية) من وثائق الأوقاف لدى الأشراف الحرث، بحث مقدم/ للملتقى العلمي الخامس عشر لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بدولة الكويت ٢٢/ جمادى الآخرة/ ١٤٣٥هـ.

٤- الحارثي، محمد بن حسين: الموانئ البحرية الحجازية من البعثة النبوية إلى نهاية العصر المملوكي، كرسي الملك سلمان لدراسات تاريخ مكة، جامعة أم القرى، ١٤٣٧هـ-٢٠١٥م.

٥- الصالح، محمد بن أحمد: الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

٦- الطرابلسي، برهان الدين إبراهيم بن موسى الطرابلسي الحنفي (٩٢٢هـ): كتاب الإسعاف في أحكام الأوقاف، تحقيق: عبدالله نذير مزي، المكتبة المكية- مؤسسة الريان، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ه-٢٠١٥م.

٧- عيسوي: عصام أحمد: الدراسة الدبلوماتية لسجلات الدواوين الحكومية في مصر، انظر: موقع جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم علوم المكتبات

الإلكتروني، 25501/http://staff.ksu.edu.sa/node.

٨- القضاة، منذر عبدالكريم: أحكام الوقف بين الشريعة والقانون، دار الثقافة- عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١١م-١٤٣٢هـ.

٩- اللويحق، عبدالرحمن بن معلا: الدلالات الثقافية والحضارية لوثائق الأوقاف، مجلة الدرعية، العددان: ٢٤/ ٢٥، ذو الحجة ١٤٢٤هـ-ربيع الأول ١٤٢٥هـ/ فبراير -مايو ٢٠٠٤م.

١٠- محمد، مرسي محمد: الوثائق الوقفية ودورها في إثراء تاريخ الحضارة الإسلامية، التسامح» فصلية فكرية إسلامية»، ع ١٣(شتاء ١٤٢٧، ٢٠٠٦).

١١- المغيربي، إبراهيم بن يوسف: ضباء في ذاكرة التاريخ، مذكرات ضباء، دار الصُميعي للنشر والتوزيع.

١٢- الوليعي، عبدالله بن ناصر: معجم الأماكن الجغرافية في البحر الأحمر، دارة الملك عبدالعزيز-الرياض، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، المجلد الثاني.

١٣- ياقوت: الحموي، معجم البلدان، دار صادر، الطبعة التاسعة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

- خريطة توضيحية لمواقع الوقف على ساحل الحجاز الشمالي على ساحل البحر الأحمر.



خصائص المدرسة التاريخية المكية
من القرن العاشر إلى الثالث عشر
الهجريين
دراسة وصفية تاريخية

بسم الله الرحمن الرحيم

- **المقدمة**: الأهداف، والمنهج.
- **أهداف الدراسة**:

١- بيان أصالة الدراسات التاريخية الإسلامية عامة، والمدرسة التاريخية المكية خاصة.

٢- استنتاج أهم صفات ومكونات المدرسة التاريخية المكية.

- **منهج البحث**:

من منطلق أن طبيعة الموضوع (في كلياته وجزئياته) هي التي ترسم بالأساس ملامح المقاربة المنهجية التي ينبغي اعتمادها في البحث؛ ونظراً لطبيعة هذه الدراسة الوصفية، فالمنهج الوصفي يعتبر منهجاً قائماً على دراسة الظاهرة أو المشكلة كما هي على أرض الواقع، حيث يقوم الباحث بوصفها وصفاً صحيحاً ويقوم بالتعبير والتوضيح حول خصائص وعوامل وأسباب المشكلة معتمداً على أسلوب الوصف والتفسير والتحليل القائم على المعطيات المتوفرة الصحيحة، لبيان أهم صفات ومكونات المدرسة التاريخية المكية.

- **الفترة الزمنية والمكانية «النطاق»**: دراسة وصفية عامة لأهم خصائص الكتابة التاريخية المكية من القرن العاشر إلى الثالث عشر الهجريين.
- **الكلمات المفتاحية**: المدرسة، التاريخية، المكية، مكة المكرمة، المسجد الحرام، الحج، التراجم.

Abstract

Characteristics of the Meccan Historical School

From the tenth to the thirteenth Hijri

Descriptive study

Prepare:

Dr.. Mohammad bin Hussein Al-Harthi Al-Sharif

- Objectives of the study:

1- A statement of the authenticity of the general historical studies and the old Meccan private school.

2- Deduce the most important characteristics and components of the Meccan school.

In the history of accidents, the historians of Mecca followed the yearly system, by years, months and days, and the method of recording was characterized by exactly and describing, and riding a part of the common social life in switching in Makkah Al-Mukarramah, and their writings were not devoid of criticism, commentary, analysis and control, and Makkah exclaimed in the interpretation, science and science of hadith, which He pushed them to grow, in exchange for some issues, with some calamities in the Grand Mosque and noble feelings, and the ritual of Hajj and Umrah.

• أصالة المدرسة التاريخية الإسلامية:

اتصفت المدرسة التاريخية الإسلامية بالأصالة والاستقلال، لنشأتها من داخل المجتمع الإسلامي تلبية لحاجات هذا المجتمع وأغراضه ولم يكن التاريخ الإسلامي ظلاً لما عند الآخرين اقتباساً لأعمالهم التاريخية وأفكارهم عنه كما كان تلبية لشعور المؤرخين الديني ومتمماً للعلوم الدينية، وباتخاذ التاريخ الهجري تقويماً ثابتاً، أصبح عنصراً حيوياً في نشأة الفكرة التاريخية، ومنذ ذلك الوقت أصبح توقيت الحوادث أو تاريخها، العمود الفقري للدراسات التاريخية، فأصبح الأساس الذي اتخذه التاريخ الإسلامي في تسجيل أحداثه وتحديد أزمانه، فكانت اللبنة الأولى للدراسات التاريخية الإسلامية مع تدوين السيرة النبوية في القرن الأول الهجري، ولم تَعدُ في هذه المرحلة كونها نوعاً من رواية الحديث، وكان أول من وضع في ذلك كتاب عروة بن الزبير بن العوّام، ثم تلاه أبان بن عثمان بن عفان، إلى أن بلغ فن السيرة أوجه في كتاب ابن إسحاق (٨٥هـ - ١٥١هـ). وتسجيل أخبار هجرة المسلمين الأوائل إلى الحبشة ثم المدينة المنورة وكانت مكة والمدينة المركز الرئيسي لنشاط هذه الحركة التاريخية وكان المؤرخون يعتمدون على الروايات الشفهية كما كان يفعل المحدثون، وبهذا تُعد كتب المغازي والسيرة أقدم الكتب التاريخية التي تجمع بين الحديث والتاريخ.[١]

---

(١) الدوري: عبدالعزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق- بيروت، طبعة ثانية، ١٩٩٣م، ص١٣-٢٠؛ سالم: السيد عبدالعزيز: التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية- بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٤٣-٤٥.

وفي القرن الثالث الهجري نبغ فيه كثير من الشعراء والكتاب والمؤرخين واللغويين والنحاة والمحدثين والفقهاء. فتوطد علم التاريخ العربي الإسلامي وتأسس منهج كتابة التاريخ الإسلامي من حيث الاعتماد على التسلسل الزمني وظهرت المؤلفات المتخصصة ككتب التراجم والطبقات المتنوعة كطبقات الأدباء والأطباء والرسل والملوك وظهرت أيضًا الموسوعات التاريخية الكبيرة وشهد ظهور حركة الترجمة والتطور الحضاري الذي حصل في العصر العباسي الأول وامتلك المؤرخون خبرات إضافية جعلتهم أكثر عمقًا في النظرة التاريخية لمختلف الحضارات وهذه المرحلة هي المرحلة التي استقر فيها علم التاريخ مع نشأة التدوين التاريخي المنظم.(١)

وأول مدرسة للتاريخ هي مدرسة المدينة، مدرسة المغازي وترتبط في نشأتها ووجهتها بجهود اثنين من الفقهاء المحدثين هما عروة بن الزبير وتلميذه الزهري. ويقدم هنا رؤية تفصيلية عن كل منهما. ومما يذكره عن عروة أنه كان محدِّثًا ثقة وقد اتبع أسلوب أهل الحديث في رواياته، ومكنته منزلته وصلاته الاجتماعية من أخذ الروايات من منابعها. كما عني عروة بالوثائق المكتوبة إلى جانب الروايات الشفهية فأورد جملة من كتب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جهات مختلفة، وهذه ناحية، وفق ما يقرر المؤلف، تعد مهمة في وجهة الكتابة التاريخية، كما أنه استشهد بالآيات القرآنية التي تتصل بالحوادث كما في حديث عن الهجرة.(٢)

(١) الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ، ص٤٧-٤٩؛ سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ص٧٥-٩٠.
(٢) الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ، ص٦١؛ سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ص٥٣.

• **منطلق الاهتمام بتاريخ المدينتين المقدستين:**

اهتم المسلمون اهتماماً خاصاً بمنطقة الحجاز (مكة والمدينة)، فهي مهبط الوحي وأرض الرسالات، ومهوى أفئدة المسلمين، على أرضها وتحت سمائها عاش رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الكرام، ومنها خرجت جيوش الحق تنشر نور الإسلام على البلاد والأقطار المختلفة. فكان الاهتمام بهذه المنطقة وبتدوين تاريخها وخططها، لأن تاريخها هو تاريخ المسلمين، وحضارتها هي حضارة الإسلام. وساعد على حصول هذه النهضة العلمية ظهور بعض المستجدات السياسية على الساحة الإسلامية من قدوم الحملات الصليبية والمغولية والبيزنطية وغيرها، فقدم أعداد كبيرة من الناس من مختلف الأقطار شرقاً وغرباً للمجاورة، وكان منهم أعداد كبيرة من العلماء والشيوخ والفقهاء فنشأت بذلك حركة علمية كبرى، وزاد في تقوية هذه الحركة وجود الدولة المملوكية التي أولت الحرمين الشريفين اهتماماً كبيراً، لتضفي على نفسها الشرعية الإسلامية ... ومن هذا المنطلق ازدهرت الحركة التاريخية في الحرمين الشريفين، وفي مكة المكرمة بلد الله الحرام خاصة.[(١)]

• **صفات ومكونات المدرسة التاريخية المكية:**

بقدر تأثر المدرسة التاريخية المكية بالمدارس التاريخية المجاورة (كالمدرسة الشامية والمدرسة المصرية) في القرون الأولى، إلا أنها كانت تتميز بخصائص

---

(١) السنجاري: علي تاج الدين: منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق: جميل المصري، الطبعة الأولى،١٤١٩هـ، جامعة أم القرى، مركز إحياء التراث الإسلامي،ج١، ص٦١.

اجتماعية، ومجالات كتابة مؤرخيها لم يشاركها فيها مدرسة أخرى. فقد كانت المدرسة المكية تهتم اهتماماً مركزياً بالحرم المكي الشريف؛ بناءً، وإعماراً، وتدريساً وخطابة، وما ارتبط به من قضايا فقهية. وشكلت رحلة الحج، وأحداثه، وقضاياه؛ خصيصة مكية لمؤرخي مكة. كما اهتمت المدرسة المكية بالتراجم وآل البيت والأسر، والمذاهب السنية. فشكلت مناهج وأساليب مؤرخي مكة الكبار بدءً بالأزرقي والفاكهي والفاسي وانتهاءً بالنجم عمر بن فهد، مدرسة علمية منهجية؛ اقتفى أثرها وحاكاها جيل مؤرخي مكة حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري بشكل أو بآخر، مع بعض الاختلافات من قرن إلى القرن الذي يليه. ووصلت قائمة المؤرخين المكيين الذين عاشوا ما بين القرنين الثالث والثالث عشر الهجريين ١٨٧ مؤرخاً، و٨٤٦ من التآليف التي تناولت التاريخ ومتعلقاته، أو التي تعتبر من المصادر الأساسية للدراسة التاريخية.[(١)]

فسلك مؤرخو مكة في تاريخ الحوادث النظام الحولي، بالسنوات والأشهر والأيام، فاتسمت طريقة التدوين في هذا النوع بالضبط والوصف، وفي كتب التراجم، كتب خصصت للتراجم، وأخرى جمعت بين تاريخ مكة وتراجم الخلفاء والسلاطين وأمراء مكة.[(٢)]

(١) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون: الطبعة الأولى، يناير ١٩٩٣م، دار العلم للملايين، بيروت، الجزء الرابع، ص٤٠٠؛ الهيلة: محمد الحبيب: التاريخ والمؤرخون بمكة، الطبعة الأولى،١٩٩٤م، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ص١٠.

(٢) ابن فهد: جارالله بن العز بن النجم بن فهد المكي: كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، القسم الأول، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ٣-٤؛ عابد: محمد يوسف عمر: التاريخ والمؤرخون بمكة في القرن العاشر الهجري ومناهجهم، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة أم القرى، عام ١٤١٤هـ، ص٢٩٧.

ومن ذلك ورث العز بن فهد (٩٢٢هـ/ ١٥١٧م) عن والده النجم عنايته بتاريخ مكة فوضع ذيلاً لحوليات والده، بدأه من حيث انتهى النجم وأنهاه بأخبار سنة وفاته هو. وانتقل إرث الجد (النجم بن فهد) إلى الحفيد جار الله بن فهد (ت٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م) الذي سلك مسلك والده في وضع ذيل ثانٍ لكتاب جدّه «إتحاف الورى» يلحقه بكتاب والده، وعنوانه «نيل المنى، بذيل بلوغ القرى» الذي تحدث فيه أخطاء المسؤولين العثمانيين في سياستهم الاجتماعية والعسكرية، كسوء معاملة الأتراك لأبناء العرب، ووضعهم قوانين جائرة فيما يتعلق بالمواريث، كما قام بنقد بعض الفقهاء وأرباب الوظائف.(١)

ولم تقتصر كتابات مؤرخي مكة على الكتابة على النواحي السياسية، بل شملت جزءً كبيراً من الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية والاقتصادية في مكة، كمثل ذكر المواليد والوفيات ومراسيم الدفن، واحتفالات أهل مكة في الزواج، وأنواع الزفات والأطعمة. وكذلك ذكر بعض الحوادث التي تقع داخل المجتمع المكي من سرقات وجرائم قتل وشجار وغيرها. والسيول والحرائق والدمار، وغلاء الأسعار، وعدم وفرة بعض السلع، وقلة الأمطار، وأسعار البيع، وسك بعض العملات الجديدة، وأخبار الحياة العلمية من ذكر العلماء وأخبار مؤلفاتهم ومناقشتاهم العلمية واختلافاتهم في الرأي، وغير ذلك.(٢)

ومن خصائص مؤرخي مكة، لا تخلو كتاباتهم من النقد والتعليق والتحليل والضبط، كنقد العز بن فهد لطباع بني شيبه سدنة البيت، واختلافهم على

---

(١) ابن فهد، جارالله: كتاب نيل المنى، ص٣-٤.

(٢) الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص١٧٣؛ عابد: التاريخ والمؤرخون بمكة في القرن العاشر الهجري ومناهجهم، ص٢٦.

سدانة البيت، ونقده للحجاج عند ذبحهم للشياه ورميها في الطرقات، وتحليله لتفشي الفقر والمرض في أبناء البادية، وضبه للوفيات بالساعة والشهر والسنة، وأحياناً كان يشير إلى سبب الوفاة، وذكره طريقة توزيع الصدقات.(١) كما اتصف منهج مؤرخو مكة بدقة النقل والإحالة والإضافات والاستطراد.(٢)

وبعد احتوائه لكتب من سبقه، وعزوه ذلك إليه، يهتم المؤرخ المكي بالإضافة والزيادة في عصره، وإكماله لما يراه نقص من تراجم، والعديد من التعليقات، فميزوها بكلمة (قلت أو أقول، ولعل والذي يظهر لي، وهنا إشكال) وما شابه ذلك.(٣)

وبرع مؤرخو مكة في الفقه والتفسير وعلوم الحديث طلباً وضبطاً، وكان يُجاز الواحد منهم من العشرات من علماء الشريعة في عدد من الأقطار، وقد ألف العز بن فهد معجماً لشيوخه يقال إنه يحوي ألف شيخ، وقد قرأ عليهم العز التفسير والحديث وعلومه، والفقه والأصول، والنحو وعلوم اللغة.(٤)

ومن ذلك المؤرخ محمد بن علي بن فضل الطبري المكي (ت١١٧٣هـ) كان واسع الأفق، كثير الاطلاع، أديباً في أسلوبه، لم يقتصر على المسائل التاريخية أو الفقهية، فيشهد على الحادثة بمثلها سابقة لها، ويستطرد في الاستشهاد بالأمثلة والحجج التي تؤيد رأيه، ويعلق على الحوادث بما يتفق مع رأيه ويؤيد فهمه،

---

(١) ابن فهد: جارالله: كتاب نيل المنى٣-٤؛ عابد: التاريخ والمؤرخون بمكة في القرن العاشر الهجري ومناهجهم، ص٤٤-٤٨.

(٢) السنجاري: منائح الكرم ،ج١ ،ص٦١؛ عابد: التاريخ والمؤرخون بمكة في القرن العاشر الهجري ومناهجهم،ص٣٠٢.

(٣) بن فهد: عزالدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق، فهيم شلتوت، الطبعة الأولى،١٤٠٦هـ، دار المدني - جدة، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، ج١ ،ص١٩، عابد: التاريخ والمؤرخون بمكة في القرن العاشر الهجري ومناهجهم،ص٢٣٦.

(٤) عز الدين بن فهد: غاية المرام ، ج١ ،ص١٠-١٣.

وإن أعجبه شيء، ووافقه عمل أيده ومدحه ببعض من شعره، ويعلق على الحوادث بمثل ما يستاء به الناس، والمناسبات لا تمر عليه عفو الخاطر، وذكر كثيراً من عمارات المسجد الحرام في حينها سواء كان ذلك إنشاءً وعمارة. وعند نقله الأخبار عن غيره؛ يطبعها ببصماته من كلمات وعبارات وأسلوب. ويترجم لرجال الصوفية أهل الخرق والمرقعات، إلا أنه -للأسف- يبرر أعمالهم وصفاتهم وكراماتهم.[(١)]

وكان لكثير منهم مكانة مرموقة في المجتمع المكي، ولدى أمراء مكة الأشراف، ويشاركون في اجتماعات العلماء والفقهاء حول استصدار الفتاوى لقضايا ونوازل معاصرة لهم، كبناء ما انهدم من سقف الكعبة عام ٩٥٩هـ. وتولي العديد من المناصب الدينية ومنها منصب الإفتاء.[(٢)]

كما اهتم مؤرخو مكة بالقضايا الفقهية مما يدل على تمكنهم من ذلك، مثل مسح المقام وحول نزع الخف والنعل لدخول الكعبة، وتقبيل الحجر الأسود، وحكم ما يهدى إلى الكعبة، وماء زمزم، وغيرها من الأمور والقضايا.[(٣)] وكان يرى قطب الدين النهروالي، أن من بركة العلم نسبته إلى قائله، ومالم يكن له سند بين الناقل والراوي فلا اعتماد على ذلك النقل، فلا بد أن يكون رجال السند موثوقاً بهم وإلا فلا اعتبار لتلك الرواية، وعلى هذا الأساس ذكر

(١) الطبري المكي: محمد بن علي بن فضل: تاريخ مكة إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، دار الكتاب الجامعي- القاهرة، الطبعة الأولى، ج١، ص١٩-٢١.

(٢) القطبي: عبدالكريم بن محب الدين: إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام ،علق عليه أحمد محمد جمال وآخرون، الطبعة الثانية ،١٤٠٧هـ، دار الرفاعي، الرياض، ص١٣.

(٣) ابن فهد، جارالله: كتاب نيل المنى٢-٣؛ السنجاري: منائح الكرم ،ج١ ،ص٦١؛ عابد: التاريخ والمؤرخون بمكة في القرن العاشر الهجري ومناهجهم،ص٣٤٨-٣٥٥.

في مقدمة كتابه «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» سنده إلى من نقل عنه من مؤرخي مكة كالأزرقي والفاكهي والفاسي وابن فهد.[(١)]

• المدرسية المكية في القرن الحادي عشر الهجري:

فحفل القرن الحادي عشر بوجود أعداد كبيرة من الأسر ذات المكانة العلمية في مكة مثل آل الطبري، والمرشدي والقطبي والمنوفي والقلعي والمفتي، وآل علان، والعصامي وغيرهم.[(٢)] فكان السنجاري (١٠٥٧-١١٢٥هـ) أحد علماء عصره وفقهائه، أخذ علمه عن أكابر العلماء والفقهاء في ذلك الوقت حتى غدا أحدهم، مما جعله جديراً بخطابة وإمامة المسجد الحرام. وهذا منصب لا يتولاه إلا كل فقيه ضالع في أمور الدين يلم بالعلوم الشرعية والأدبية، وكثيراً ما عالج في كتابه منائح الكرم أموراً فقهية تدل على تضلعه في الفقه، ويتضح ذلك في كتابه «القربة بكشف الكربة» الذي عالج فيه عدم صحة صلاة المؤتم بالإمام الخارج وهو في جوف الكعبة، كما قاوم بعض البدع التي كانت شائعة فيمن قبله، وذلك بالتركيز عليها كتابةً للفت الأنظار لمعالجتها، ومن أمثلة ذلك ما ذكره حول بدعة تقبيل خف جمل المحمل، وبدعة سرة الدنيا، وبدعة الوقيد في المقامات، وبدعة طواف الأشراف بجثث موتاهم حول الكعبة، ومع تمسكه بالسنة ومذهبها الحنفي ومحاربته لكثير من البدع ، كان متأثراً بالتصوف الذي كان من سمات عصره.[(٣)]

---

(١) القطبي: إعلام العلماء الأعلام، ص١٥؛ عابد: التاريخ والمؤرخون بمكة في القرن العاشر الهجري ومناهجهم، ص٢١٣؛ عبدالله مرداد أبو الخير «ت/ ١٣٤٣هـ»: المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة، اختصار وتحقيق: محمد سعيد العامودي وأحمد علي، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، عالم المعرفة- جدة، ص٣٩٦.

(٢) السنجاري: منائح الكرم ،ج١، ص٢٣.

(٣) السنجاري: منائح الكرم ،ج١، ص٣٦-٤٠؛ مرداد: المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة، ص٣٥٨.

• **المدرسية المكية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين:**

وبعد القرن الحادي عشر بدأت تختفي الأسر العلمية، وغلب على أساليب الكتابة والتأليف الصناعة البديعية، وخاصة السجع، مما ساهم في إضعاف الصياغة التاريخية لدى مؤرخي القرون المتأخرة.[1]

ومن مؤرخي القرن الثالث عشر محمد بن أحمد المكي المالكي الصباغ(١٢٤٣-١٣٢١هـ)، الذي نشأ في رحاب البيت العتيق، وينهل من علماء زمانه، ومشايخ وقته، ومن العلماء الوافدين إلى البيت العتيق، فحفظ القرآن، وطلب العلم، وتفقه على مذهب الإمام مالك بمكة، فكان مؤرخـًا ذا ذكاء وحافظة جيدة، وكان من جملة المطوفين للحجاج المغاربة، وأما منهجه في كتابه «تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام» النقل عمن سبقه في هذا المجال، فجمع مادته العلمية من بطون كتب التاريخ الإسلامي، وتوج بحثه بالنقول القرآنية والحديثية والفقهية، وينقل النصوص من المصادر والمراجع أحيانـًا متطابقة، وأحيانـًا بتصرف، كما يظهر على المؤلف المعرفة في الصنعة الحديثية، فقد جمع أدلته من كتب الصحاح ومن السنن ومن المسانيد ومن المعاجم الحديثية، فيورد الحديث مع الغزو إلى مصدره في الغالب، وينقل الصباغ المسائل الفقهية مقرونة بالدليل، ثم يورد المذاهب الفقهية في ذلك، ولم يكن يرجح بين المذاهب. إلا أنه يؤخذ عليه تأثره بالصوفية، وتحامله على الدعوة السلفية «للشيخ محمد بن عبد الوهاب».[2]

---

(١) السنجاري: منائح الكرم ،ج١، ص٢٥.

(٢) الصباغ: محمد بن أحمد المالكي المكي: تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، مكتبة الأسدي- مكة، ج١، ص٤-٢٥؛ مرداد: المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة، ص٤٥٢.

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة الموجزة اتضحت للقارئ صفات ومميزات المدرسة التاريخية المكية، فقد سلك مؤرخو مكة في تاريخ الحوادث النظام الحولي، بالسنوات والأشهر والأيام، واتسمت طريقة التدوين لديهم بالضبط والوصف، وشملت جزءً كبيراً من الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية والاقتصادية في مكة المكرمة، ولم تخلو كتاباتهم من النقد والتعليق والتحليل والضبط، وقد برع مؤرخو مكة في الفقه والتفسير وعلوم الحديث طلبًا وضبطًا، مما دفعهم للاهتمام بالقضايا الفقهية المرتبطة ببعض النوازل في المسجد الحرام والمشاعر المقدسة، وشعيرة الحج والعمرة.

مصادر ومراجع الدراسة:

١- الدوري: عبدالعزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق- بيروت، طبعة ثانية، ١٩٩٣م.

٢- سالم: السيد عبدالعزيز: التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية- بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣- السنجاري: علي تاج الدين: منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق: جميل المصري، الطبعة الأولى،١٤١٩هـ، جامعة أم القرى، مركز إحياء التراث الإسلامي.

٤- شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، يناير ١٩٩٣م.

٥- الصباغ: محمد بن أحمد المالكي المكي: تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، مكتبة الأسدي- مكة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٦- الطبري المكي: محمد بن علي بن فضل: تاريخ مكة إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، دار الكتاب الجامعي- القاهرة، الطبعة الأولى.

٧- عابد: محمد يوسف عمر: التاريخ والمؤرخون بمكة في القرن العاشر الهجري ومناهجهم، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة أم القرى، عام ١٤١٤هـ.

٨- ابن فهد: جارالله بن العز بن النجم بن فهد المكي: كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، القسم الأول، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٩- القطبي: عبدالكريم بن محب الدين: إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، علق عليه أحمد محمد جمال وآخرون، الطبعة الثانية ،١٤٠٧هـ، دار الرفاعي، الرياض.

١٠- مرداد: عبدالله مرداد أبو الخير «ت/ ١٣٤٣هـ»: المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة، اختصار وتحقيق: محمد سعيد العامودي وأحمد علي، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، عالم المعرفة- جدة.

١١- الهيلة: محمد الحبيب: التاريخ والمؤرخون بمكة، الطبعة الأولى،١٩٩٤م، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

سُكنى الأشراف الحرث بأحياءِ مكة المكرمة
في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري
١٣٥٠هـ/١٩٣٢م - ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

جمع وإعداد: الدكتور الشريف محمد بن حسين الحارثي

بَيَنْتُ في كتابي (الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف- دراسة تاريخية وثائقية)، ط٢، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م تفصيلاً؛ نشأة الأشراف الحرث انطلاقاً من جدهم (الشريف محمد الحارث «ت ١٠٣٩هـ» الملقب تاريخياً « الجناب العالي» ابن أمير مكة وحاكم الحجاز الشريف الحسن ابن أمير مكة وحاكم الحجاز الشريف محمد أبونُمي الثاني الحسني -اللذين حكما الحجاز في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي).

ثم انحصرت ذريته في ابنه الشريف أحمد الحارث «ت ١٠٥٨هـ» الذي كان قصره بجوار باب الصفا بالمسجد الحرام، وأبنائه الثلاثة (محمد وناصر وحسن)؛ الذين ولدوا بمكة المكرمة وكانت لهم أدواراً سياسية وعسكرية واجتماعية رائدة، ومنها بدأوا هم وأبناؤهم وأحفادهم في التنقل ما بين مدينتي مكة المكرمة والطائف، والقرى المحيطة بهما كالمبعوث والسيل الكبير والمضيق والخُرمة.

ثم عودةً للوطن الأم مدينة (مكة المكرمة) مع بداية النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م.

وجميع فروع الأشراف الحرث المتواجدة بمكة المكرمة (ذوي باز، ذوي حمزة، ذوي عبدالكريم، ذوي علي، ذوي مهنا، ذوي هزاع، ذوي يابس)، سكنوا الأحياء الشرقية القديمة بمكة التي سيأتي بيانها، قُبيل نشأة المخططات السكنية الحديثة بشرق مكة كمخططات جبل النور والعوالي والشرائع وأخرى مجاورة.

ما عدا فرع الأشراف الحرث بالخُرمة، الذي بقي في بلدته تلك الفترة، حسب علمي والله أعلم.

أحياء مكة المكرمة الشرقية القديمة:

للإحاطة: أسماء الأسر والشخصيات، الواردة للتمثيل وليست للحصر، والمعلومات الآتية من الذاكرة والمعرفة الشخصية فقط.

حي المعابدة والجميزة: سكنته بعض الأسر، ولكن أشهر من سكنه من الأشراف الحرث (الشريف علي بن الحسين) في الجميزة بجوار المدرسة المحمدية، و(الشريف فايز بن هزاع وأبناؤه) بحي أُكلب.

حي الخانسة (الخنساء): لعل هذا الحي أكبر الأحياء التي ضمت أسرًا كثيرة من الأشراف الحرث. وأشهر الأسر التي سكنته من ذوي الحسين (الشريف عبدالله بن الحسين وأبناؤه، والشريف شجاع بن علي وأبناؤه، ومعظم شخصيات وأسر ذوي علي)، ومن ذوي هزاع (الشريف فواز بن هزاع وأبناؤه، والشريف عبدالله بن حمود)، ومن ذوي مهنا (الشريف محمد ناصر بن عبدالعزيز، ومعظم أو جميع أسر هذا الفرع سكنوا بهذا الحي)، ومن ذوي باز (الشريف حسين بن حامد)، وغيرهم.

حي شعبة الإجابة: أشهر الأسر التي سكنته من ذوي يابس (الشريف عبدالله أبو يابس وأبناؤه)، ومن ذوي هزاع (الشريف محمد بن فوزان وأبناؤه).

حي الملاوي: سكنه معظم أسر ذوي باز ومنهم (الشريف سعد بن مسعود وأبناؤه)، ومعظم أو جميع أسر ذوي عبدالكريم (كالشريف سعود بن ملبس وأخيه زين العابدين)، ومعظم أو جميع أسر ذوي حمزة (كالشريف فيصل بن حامد، والشريف نايف بن سعود). ومن ذوي علي (الشريف فتن بن حسين، والشريف ممدوح بن شجاع).

حي خريق العشر (شارع الحج فيما بعد): أسبق من سكنه حسب علمي (الشريف علي بن حامد من ذوي حمزة وأبناؤه). والسكنى فيه لغيره متأخرة في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، انتقلت إليه بعض الأسر من عدد من الفروع.

حي شعب عامر: سكنته بعض الأسر.

حي الششة أو العزيزية: سكن فيه الشريف علي بن عون وأبناؤه.

وبعد انتهاء القرن الرابع عشر الهجري (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) أخذت أسر الأشراف الحرث تنمو وتتكاثر وتنتقل بعض أسرهم إلى الأحياء والمخططات المجاورة للأحياء الشرقية بامتداد الشرق، كحي ومخطط جبل النور، وحي وادي جليل، وحي الغسالة، ومن ثم تمددا إلى مخططات الشرائع الكبيرة، ومخططات العوالي. وسكن عدد من الأسر بمدن الطائف وجدة والرياض وغيرها؛ بداعي العمل الوظيفي والتجاري.

والله الموفق.

• هذا ما استحضرته الذاكرة، توثيقاً لسُكنى الأشراف الحرث في الفترة التاريخية المحددة بأحياء مكة المكرمة، ولكن هذا لا يقطع بعدم إقامة أفراد أو أسر منهم بأحياء أخرى بهذه البلدة الطيبة.

٧/ رمضان/ ١٤٤٢هـ، الموافق: ١٩/ أبريل/ ٢٠٢١م

المسجد الأقصى في الجعرانة؛
مغالطة تاريخية وقياس فاسد

عصر الجمعة ١٢/ ربيع الآخر/١٤٤٢هـ

٢٧/نوفمبر/٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

بين أهل المنطق والبلاغة؛ أن المغالطة: قياس فاسد، وصناعة علمية لا تفيد استنتاج اليقين في المحاججة، وقد يسلّم لها الخصم وقد لا يسلّم. فالمغالطة هي ادعاء غير صحيح قد يكون مبنياً على أسس وأدلة غير سليمة مما يقود إلى نتائج خاطئة، أو قد يستند إلى أدلة صحيحة ولكنه ينطلق منها إلى استنتاجات مغلوطة.

والمغالطة التاريخية التي نحن بصددها ساذجة أيضاً؛ فقد بثها سُذجٌ ذوي أجندات مشبوهة مكشوفة؛ لأنها تتصادم مع النص القرآني الكريم، والنص النبوي الشريف، والخبر التاريخي المتواتر، والمكتشف الآثاري، والواقع الجغرافي لجزيرة العرب (مهد العروبة والإسلام)، وبلاد فلسطين (الأرض المباركة)، بل والجهل بمصطلحات الاتجاهات الجغرافية والمكانية؛ السائدة في الجزيرة العربية، ولدى علماء الجغرافيا والبلدانيات.

فقد تداولت مواقع التواصل الاجتماعي بمختلف أنواعها منذ شهور أو أكثر ـ بحسب اطلاعي ـ مقالات وتغريدات وكتابات، وتعليقات صوتية مرئية؛ عن دعوى اكتشافهم العبقري النادر؛ بأن المسجد الأقصى المبارك القبلة الأولى مسرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس في موطنه القدس من أرض فلسطين المباركة، بل يقع في قرية (جِعرانة) شمال شرقي مكة المكرمة. مُستندين إلى نص للواقدي في مغازيه..!!

- **نص الواقدي:**

«وَانْتَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الْجِعِرّانَةِ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ لِخَمْسِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ فَأَقَامَ بِالْجِعِرّانَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ فَلَمّا أَرَادَ الِانْصِرَافَ إلَى الْمَدِينَةِ خَرَجَ مِنْ الْجِعِرّانَةِ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ لَيْلًا، فَأَحْرَمَ مِنْ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الّذِي تَحْتَ الْوَادِي بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى، وَكَانَ مُصَلّى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا كَانَ بِالْجِعِرّانَةِ، فَأَمّا هَذَا الْمَسْجِدُ الْأَدْنَى، فَبَنَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَاتّخَذَ ذَلِكَ الْحَائِطَ عِنْدَهُ»[(١)].

- **تحليل هذه المغالطة التاريخية:**

١- قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[(٢)]؛ فحادثة الإسراء والمعراج الواردة في هذه الآية الكريمة، أُرِخَ لها بإنها قبل الهجرة بسنة، فتكون في ربيع الأول، ولم تعين الليلة، وقيل في ليلة السابع والعشرين من رجب قبل الهجرة بسنة، وقيل قبل الهجرة بستة عشر شهراً، فتكون في ذي القعدة، وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل بخمس، وقيل: بست. والذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة وقبل الهجرة. وعن جابرَ بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سمعت رسولَ اللهِ صلى

(١) الواقدي: محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ): المغازي، تحقيق: الدكتور مارسدن جونس، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج٣، ص٩٥٨-٩٥٩.

(٢) سورة الإسراء، آية رقم (١).

الله عليه وسلم يقول: ((لما كذبني قريش، قُمْتُ في الحجر فجلا اللهُ لي بيت المقْدِسِ، فطفقت أُخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه)).[1]

٢- الذي فرح بنص الواقدي، فليعلم أنه لم يتفرد به، بل أورده أيضًا المؤرخ المكي الكبير الإمام الأزرقي، وكليهما من أبناء النصف الأول من القرن الثالث الهجري. فماذا يقصدان رحمهما الله؟

٣- النص يتحدث عن منطقة توزيع الغنائم (الجِعِرانة) وإحرام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالعمرة منها؛ عقب الانتصار في غزوة حُنين، وحصار الطائف، التي وقعت في الثالث عشر من شهر شوال في السّنة الثامنة للهجرة.

٤- فأين هي الجِعِرانة؟

جِعْرَانة: بكسر أوله وسكون ثانيه وتخفيف الراء، كذا اتفق اللغويون على ضبطها. وأهل مكة اليوم ينطقونها بضم الجيم، وهي ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، لما قسم غنائم هوازن مرجعه من غزاة حنين وأحرم منها، صلى الله عليه وآله وسلم، وله فيها مسجد، وبها بئار متقاربة، وتقع في صدر وادي سرف، شمال شرقي مكة على قرابة «٢٤» كم.[2]

---

(١) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء، حديث رقم (٣٨٨٦)، ابن حجر: فتح الباري، ج٧، ص٢٩٢؛ مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حديث رقم (١٦٢)، النووي: المنهاج، ج٢، ص١٨٢.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، الطبعة التاسعة ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ج٢، ص١٤٢؛ البلادي: عاتق: معالم مكة التاريخية، دار مكة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٦٤.



مسجد الجعرانة «ميقات عمرة أهل مكة»

٥- نناقش الآن عبارة الواقدي (فَأَحْرَمَ من المسجد الْأَقْصَى الّذِي تَحْتَ الْوَادِي بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى)

القُصْوَى: مؤنث الأقصى، ويقال: فلانٌ في الناحية القُصْوَى: البعيدة. والقُصْوَى طَرَفُ الوادي.

والقُصْوَى الغايةُ البعيدةُ.[١]

وفي الآية الكريمة التي نزلت في غزوة بدر: ﴿إِذْ أَنْتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ

(١) المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٧٤١.

وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]. يفسرها البغوي[2] بقوله: ﴿إِذْ أَنْتُمْ﴾، أَيْ: إِذْ أَنْتُمْ نُزُولٌ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، ﴿بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾، بِشَفِيرِ الْوَادِي الْأَدْنَى إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالدُّنْيَا: تَأْنِيثُ الْأَدْنَى،﴿وَهُمْ﴾، يَعْنِي عَدُوَّكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،﴿بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾، بِشَفِيرِ الْوَادِي الْأَقْصَى مِنَ الْمَدِينَةِ، وَالْقُصْوَى تَأْنِيثُ الْأَقْصَى.

٦- المقصود هو الاتجاه الجغرافي والمكاني لمسجدي الجِعرانة:

فقد كان بالجِعرانة مسجدان، أحدهما بالعدوة القصوى من الوادي بُني في موضع مصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحرم منه، والآخر بالعدوة الدنيا من الوادي، بناه رجل من قريش، وكلا المسجدين بُنيا قبل القرن الثالث الهجري.[3]

وأما المسجد الحالي، وهو المسجد الذي يعتمر منه الناس اليوم فيقع بالعدوة الدنيا عند تقاطع طريقين مسفلتين في بداية الجعرانة على بعد ٢٥كم من المسجد الحرام شمالاً شرقياً.[4]

٧- الاتجاهات الجغرافية:

سوء الفهم وعدم الإحاطة بالاتجاهات الجغرافية والمكانية للمسميات والمواقع والأحداث؛ فلم يستطع ـ مثير المغالطة ـ التمييز بين الواقع الجغرافي للمسجد

(١) سورة الأنفال، آية رقم (٤٢).

(٢) معالم التنزيل: دار طيبة- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ج٣، ص٣٦٢.

(٣) الأزرقي: أبي الوليد محمد بن عبدالله (ت٢٥٠هـ): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج٢، ص٨٢٤.

(٤) الحارثي: ناصر بن علي: الآثار الإسلامية في مكة المكرمة، الطبعة الأولى- الرياض، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٢٣١.

الأقصى في القدس بفلسطين المباركة، وبين الاتجاهات الجغرافية والمكانية؛ السائدة في الجزيرة العربية، ولدى علماء الجغرافيا والبلدانيات!!. الواردة في القرآن والسنة، (كالعدوة، القصوى، الدنيا، الأقصى، الأدنى)، وغيرها مما ورد لمجمل أحداث السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم. فتطبيق المفهوم الصحيح للمصطلحات ذات المدلولات الجغرافية والمصطلحات المكانية؛ يحقق بناء تصور للسياق الجغرافي والمكاني، وبالتالي تحديد مواضع الأشخاص والمواقع.[1]

٨- ختام القول:

من ذلك يتضح لنا بجلاء كبير أن مثير هذه المغالطة التاريخية، جاهل بأبجديات البحث التاريخي، والمنطق العلمي؛ فالتشكيك في موقع المسجد الأقصى المبارك القبلة الأولى، ومسرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من القدس في أرضه فلسطين المباركة، كالذي يشكك في موقع المسجد الحرام بمكة المكرمة، والمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة!

(١) القاضي: عبدالله حسين: مفهوم الاتجاهات الجغرافية في القرآن الكريم، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، علوم تصاميم البيئة،م٧ ص ص ٥١، ١٠٢، (٢٠١٣م/ ١٤٣٤هـ).

تصحيح مفهوم
(نظام الحكم في الإسلام،
وحاكمية قريش)

بسم الله الرحمن الرحيم

أتعجبُ من حالِ بعض الكُتّابِ على مواقع التواصل الاجتماعي وخاصة «تويتر» في هذه الأيام إذا أراد أن يشتهر، أو في صدره ضغينةٌ ما؛ هاجم الدين الإسلامي من بعض جوانبه أو زواياه، كجانب (حاكمية قُريش في صدر الإسلام!) أي توليها وتفردها بالحكم وتوارثه؛ وانطلاقاً من ذلك يتجرأ بالقول إن «قُريش» احتكرت الدين الإسلامي...!

مع أن جميع المسلمين يعلمون قطعاً أن الإسلام دينٌ عالميٌ للبشريةِ جمعاءَ بل للثقلين كافة من الإنس والجن، كما ورد ذلك في آيات كريمة وأحاديث شريفة، واعتنقه وتعلق به أهل الشرق والغرب من كتب الله لهم الهداية وأنار بصائرهم.

أما «قبيلة قُريش» فأكرمها الله وشرفها بإسكانها مكة المكرمة وتولت رعاية البيت العتيق وخِدْمة حُجاجهِ وعُمْارهِ، وآمنهم من الخوف بالإيلاف والتجارة، ثم بلغ الشرف ذروته باختيار سيد الخلق النبي المصطفى محمد بن عبدالله الهاشمي القرشي منهم صلى الله عليه وآله وسلم.

أما نظام الحكم (النظام السياسي) في الإسلام؛ فيعلم الجميع أنه ليس ركناً من أركان الإسلام الخمسة، فذروة سنام الإسلام (التوحيد: الشهادتين)، وعموده الصلاة.

كما أن نظام الحكم أيضاً، ومن المُسَلّمِ به أنه ليس ركناً من أركان الإيمان الستة.

بل بين نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بأن قاعدة نظام الحكم في الإسلام السمع

والطاعة للحاكم أيـاً كان جنسه؛ فقال: «اسمعوا وأطيعوا وإن أُستعمِلَ عليكم عبدٌ حبشيٌ كأن رأسه زبيبة» صحيح البخاري، كتاب الأحكام، برقم ٦٧٦٠.

أما النظام الملكي الوراثي فهو من أكثر أنظمة الحكم شيوعاً في العالم قديماً وحديثاً عند جميع الشعوب والديانات ـ وليس حكراً على قُريش ـ.

ففي العصور القديمة كانت الأنظمة الملكية الوراثية هي السائدة، بل لها من الهالات والوظائف القدسية المرتبطة بالتضحية والقرابين، واعتبر الملوك في زمانهم أنفسهم من جنس الآلهة، وانتشرت تلك المعتقدات في مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين...!

وفي العصور الوسطى المسيحية ارتبط الأباطرة الرومان ببعض الجوانب المقدسة للديانة المسيحية وذلك باعتبارهم حماةً للدين المسيحي، فاستمدوا من الملوك الجرمان مفهوم «الحق الإلهي للملوك».

وفي العصور الحديثة اعتبر ملوك اليابان ونيبال أنفسهم آلهة حية...!

ومن قرأ التاريخ الإسلامي معلوم لديه أن أنظمة ملكية وراثية من غير (قريش) حكمت العالم الإسلامي كالأيوبيين والمماليك والعثمانيين. هذا في المشرق، وكذلك الحال في المغرب الإسلامي، وكذلك أيضاً حكومات المسلمين في شبه القارة الهندية.

واختتم بالقول: أن الاهتمام بالحكم والإمارة والنظام الوراثي ليس صناعة قرشية...! بل هي ميول إنسانية فطرية؛ لدى جميع الأفراد والأسر والشعوب. فهل نعي الفرق؟!

والله الهادي إلى سواء السبيل.

(أودية مكة المكرمة وشعابها)

إعداد:
د.محمد بن حسين الحارثي الشريف
برعاية وإشراف
مركز تاريخ مكة المكرمة التابع:
لدائرة الملك عبد العزيز

٥/صفر/١٤٤٣ هـ - ١٢/سبتمبر/٢٠٢١م

الحمد لله رب العالمين الذي جعل مكة البلد الأمين موطناً وسكناً لنا ولأجدادنا الأقدمين، والصلاة والسلام المباركان العاطران الدائمان إلى يوم الدين على شفيع الأمة ونبي الرحمة الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين نبينا وسيدنا محمد بن عبد الله الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي سعدت مكة البلد الأمين بمولده ،ووطء قدميه الشريفتين على ثراها وبين شعابها وعلى جبالها، وعلى آل بيته الطيبين، وصحبه الأكرمين الذين وفقهم الله لاتباع الحق المبين.

مكة المكرمة مدينة تهامية تقع على السفوح الدنيا لجبال السروات فهي بذلك تمثل نقطة الالتقاء بين تهامة وهذه الجبال التي تحيط بمكة من جميع الجهات ، فمكة مجموعة من الأودية المتخللة هذه الجبال وهي أيضاً منافذها وخاصة كلما اتجهنا إلى الساحل من الجهة الغربية. فتضاريس مكة المكرمة تتكون من مجموعة من الجبال، وتخلل هذه الجبال مجموعة من الأودية القديمة من أهمها وادي إبراهيم الذي يقع فيه (البيت الحرام).

فالأودية التي كانت تخترق مكة المكرمة قديما ثلاثة، وهي: وادي إبراهيم(بكّة) ووادي مكة (فخ) ووادي طوى وبعد اتساع مكة عمرانيا أصبحت تمر بها أودية جديدة، مثل وادي عرنة وادي ياج وادي سرِف...

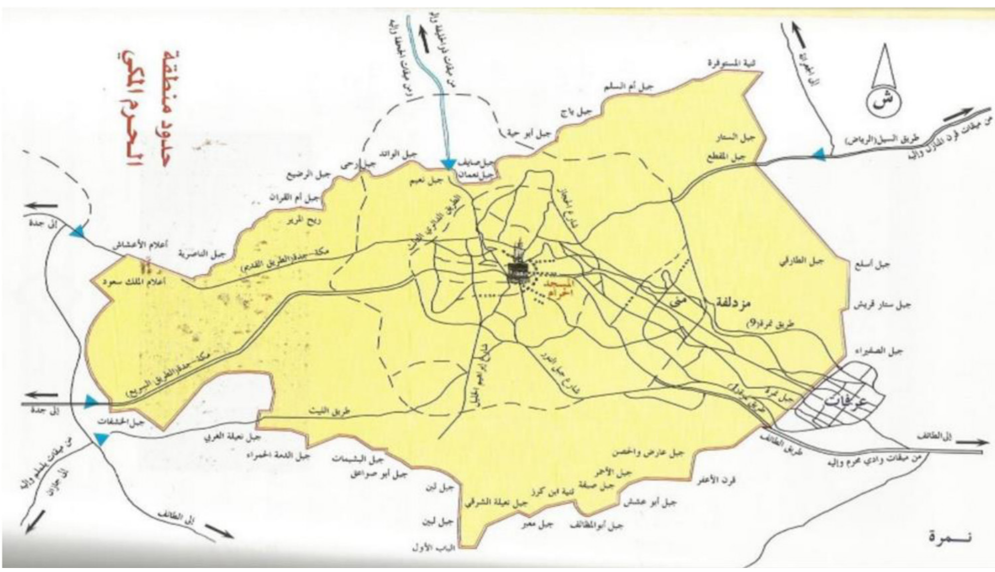
مكة المكرمة مدينة تهامية تقع على السفوح الدنيا لجبال السروات فهي بذلك تمثل نقطة الالتقاء بين تهامة وهذه الجبال التي تحيط بمكة من جميع الجهات ، فمكة مجموعة من الأودية المتخللة هذه الجبال وهي أيضاً منافذها وخاصة كلما اتجهنا إلى الساحل من الجهة الغربية. فتضاريس مكة المكرمة تتكون من مجموعة من الجبال، وتخلل هذه الجبال مجموعة من الأودية القديمة من أهمها وادي إبراهيم الذي يقع فيه (البيت الحرام).

فالأودية التي كانت تخترق مكة المكرمة قديما ثلاثة، وهي: وادي إبراهيم(بكّة) ووادي مكة (فخ) ووادي طوى وبعد اتساع مكة عمرانيا أصبحت تمر بها أودية جديدة، مثل وادي عرنة وادي ياج وادي سرِف...

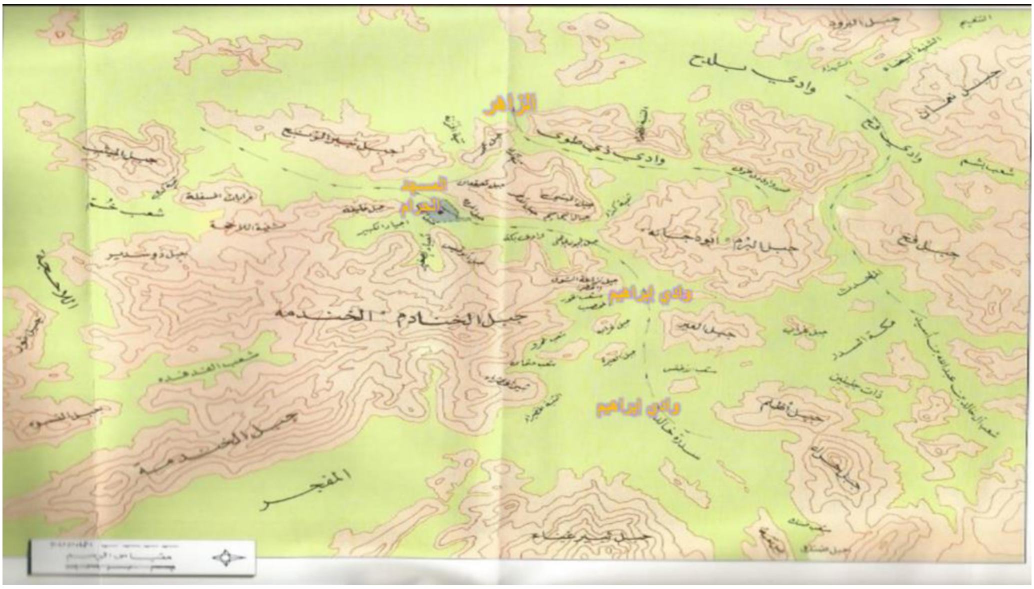
قال الشاعر الأعشى وهو يؤنب رجلاً ويخبره أنه مع علو مكانته لم يبلغ مبلغ قريش الذين هم سكان حرم الله وأهل زمزم ...

(فما أنت من أهل الحجون ولا الصفا *** ولا لك حظ الشرب من ماء زمزم)


مكّة
كُلّهَا
حَرمْ
الصّلاة في كلّ أرجائها
بمئة ألف صلاة...
جمعية مراكز الأحياء - مكة المكرمة
تعظيم البلد الحرام
الحديبية
حراء
الجمرات
منى
ثور
عرفات
مسجد نمرة


حدود منطقة الحرم المكي
ش
المسجد الحرام
منى
مزدلفة
عرفات
نمرة

إذا تنحصر منطقة الحرم المكي الشريف بين مجموعة من الأودية والشعاب التي تشكل طبوغرافية مكة المكرمة. وقد لعب وادي فاطمة من الشمال ووادي نعمان من الجنوب دورا كبيرا في تحديد حدود الحرم المكي الشريف بحيث لا تخترق أودية الحل الهضبة المرتفعة التي تمثل حدود الحرم فيما تنخفض منطقة الحرم بين هذه الأودية والشعاب والتي تمثلها أربعة أودية رئيسة تصرف مياه المنطقة وهي من الشمال إلى الجنوب أودية الزاهر وإبراهيم ومحسر واللاحجة.




أودية الحرم المكي


الأودية التي تمر مكة وأحياءها الحديثة
Althomaly

وادي إبراهيم: عليه السلام والذي دعا فيه لساكنيه كما بين ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم)، يأتي من شمال مكة، وضفتيه من الناحية الجنوبية تسمى جبال الطارقي ومن الناحية الشمالية تسمى جبال ستار قريش وستار هذيل، وهو اليوم يمثل طريق الطائف - مكة السيل، ويستمر نحو مكة - المدينة، حتى إذا جاء إلى منطقة جبل حراء تكون ضفة الوادي الغربي، وجبل ثبير ضفته الشرقية، ويسمى في هذه المنطقة قديما (وادي مكة السدر) حيث يكثر شجر السدر فيها. «حتى إذا أشرف على مقبرة العدل اعتدل الوادي غربا، ومن هنا سميت هذه المنطقة منطقة العدل، ثم يتجه حتى يصطدم بجبل المعابدة، ثم يتجه جنوبا حتى يخترق الحرم، ويتجه إلى المسفلة، ثم إلى جنوب مكة المكرمة»

يأخذ وادي إبراهيم أعلى سيله من حيث يسيل المحصب من منى فإذا صار عند المنحنى سمي الأبطح فيتجه غرباً إلى أن يصل ريع الحجون (كداء) فيعدل جنوباً ويسمى البطحاء إلى المسجد الحرام، ومنه إلى المسفلة.

روافده:

١.وادي المحصب بمنى.

٢.الملاوي: تسيل من ثبير الخضراء ويدفع في الأبطح عند قصر البياضية.

٣.أذاخر الجنوبي يسيل من فخ ويدفع في الأبطح.

٤.شعب ابن عامر: يسيل من الخندمة على الغزة.

٥. شعب علي: شعب الهاشميين: يسيل من جبل أبي قبيس والخندمة.

٦.وادي أجياد: ويدفع سيله عند باب الملك عبدالعزيز بالمسجد الحرام.

وادي فخ: فَخٌّ: على لفظ الفَخّ الذي هو الطَّرَق: هو الوادي الرئيسي الثاني بمكة. وهو الْوَادِي الَّذِي بِأَصْلِ ثَنِيَّةِ الْبَيْضَاءِ إِلَى بَلْدَح، وَتَطَوُّهُ فِي طَرِيقِ جُدَّةَ عَلَى يَسَارِ ذِي طُوًى.

يقول بِلال:(**أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيلَةً ... بِفَخٍ وحَوْلِي إِذْ خِرٌ وجَلِيلُ**)

يأخذ أعلى مساقط مياهه من جبل السِّتَّار عند علمي طريق نجد، وجبل حِراء، وما حوله، ولما عدلت مياه وادي إبراهيم العُلَىَ حولت إلى فخ هذا، ويسمى اليوم بعدة أسماء: أعلاه خريق العُشرَ ووسطه الزاهر والشهداء، وأسفل من ذلك أم الجود. وكان ما بين الزاهر والحُديبية يسمى بَلْدَح، وقد ذكر. وكان فخ في عهد الأزرقي يسمى أعلاه مكة السدر، وأطلق عليه وادي مكة، وسمي وادي إبراهيم ووادي بكة.

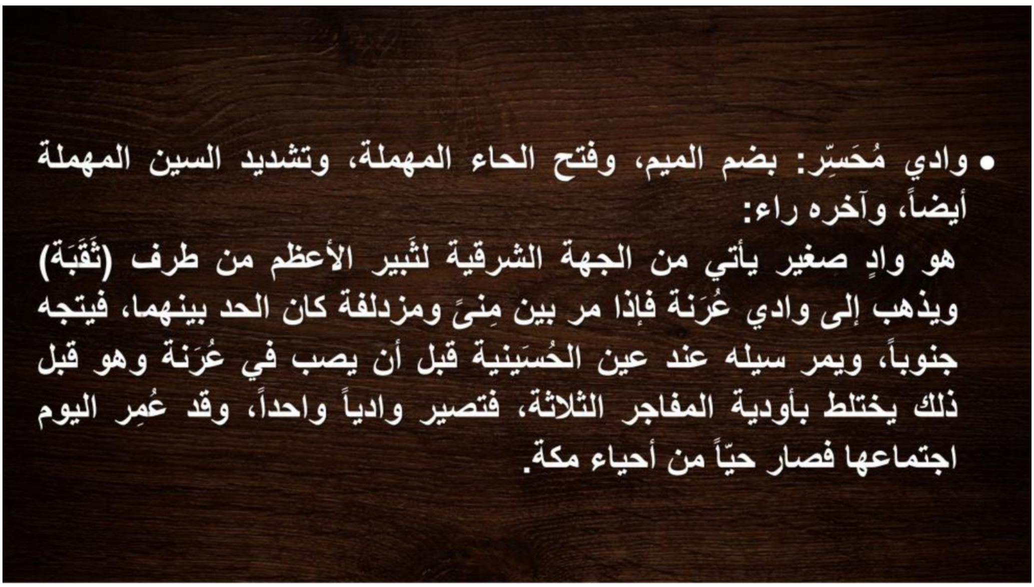
وفخ مشهور بتلك الواقعة التي وقعت سنة ١٦٩ هـ. بين العلويين بقيادة الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وبين العباسيين .

- وادي طُوَى: بضم الطاء المهملة، قال الفاكهي : بطن ذي طوى: ما بين مهبط (ثنية المقبرة) التي بالمعلاة إلى (الثنية القصوى) التي يقال لها: الخضراء، تهبط على قبور المهاجرين دون فخ . وهو الوادي الذي يمر بين الحجون وريع الكحل ماراً بجرول حتى يجتمع بوادي إبراهيم في المسفلة، أعلاه ريع كان يسمى (ريع اللُّصُوص/ شارع الأندلس حالياً) ثم أطلق عليه ريع السد، وفي وسط الوادي حَيّ العُتَيْبِية، وأسفله جرول ثم التنضباوي نسبة إلى شجر التنضب الذي كان يكثر فيه، أو الطندباوي كما ينطقه بعض أهل مكة، وبعضهم ينطقه الطنبداوي.
- وفي عهد الأزرقي مؤرخ مكة كان يسمى اللّيط، كل هذا وادي طوى الجغرافي، وهو أحد أودية مكة الثلاثة التي يتكون اليوم منها عمرانها.

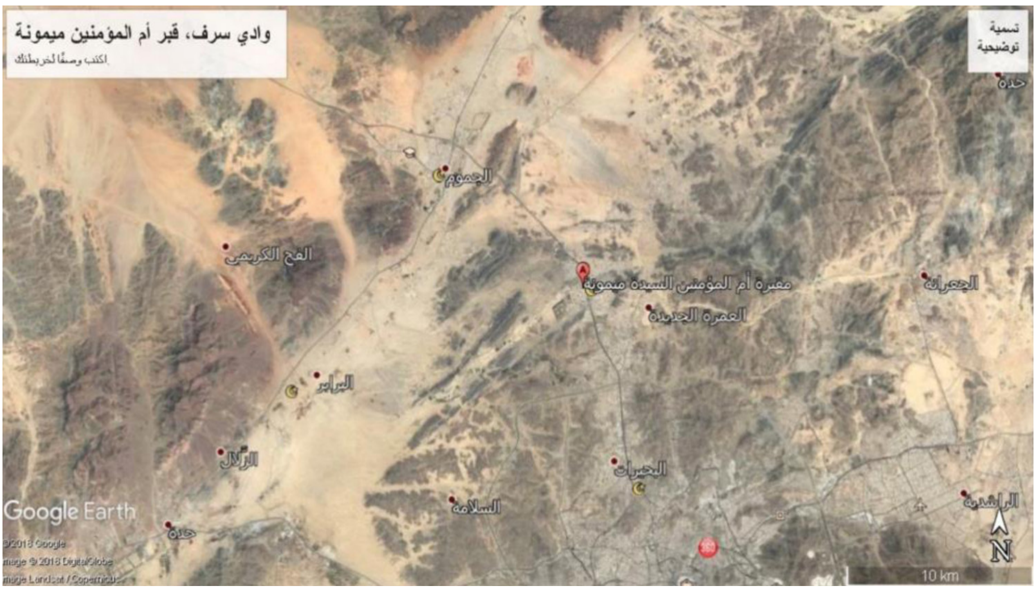


وادي يأجج: يأجَجُ: بالمثناة من تحت، وهمزة ثم جيمين: ويعرف اليوم باسم (ياج) حذفت منه الجيم الأخيرة، وتخفف همزته: وادٍ من أودية مكة يمر شمال عمرة التنعيم، فيصب في مَرّ الظَّهْران عند دَفّ خُزاعة بينه وبين المقوَّع. وتسميه عامة أهل مكة -وادي بئر مقيت- لبئر هناك. وقد أصبح قسمه الذي يمر به الطريق من مكة إلى المدينة معموراً، وبه بساتين صغيرة. وكان من منازل ابن الزبير رضي الله عنه، وبطرفه من الشمال الموضع الذي قتل فيه الصحابي الشهيد خُبَيب بن عَديّ - أحد أسرى يوم الرجيع. وطول هذا الوادي ٣٣ كيلاً. وتوجد فيه كسوة الكعبة.


التغريدة
Dr.alsharif m alharthi
@alsharifmh
#الكوكبة_البلدانية_في_السيرة_النبوية
الأَبْطَحُ:ياقوت:بالفتح ثم السكون وفتح الطاء
والحاء مهملة:
وكلّ مسيل فيه دقاق الحصى فهو أبطح.
البلادي:الأبطح:جزء من وادي مكة بين
المنحنى إلى الحجون،ثم تليه البطحاء إلى
المسجد الحرام.وأورد البخاري حديث عون :
رأيت رسول اللهﷺ بالأبطح فجاءه بلال
Twitter Web Client · 8:59 م · 2018/10/3

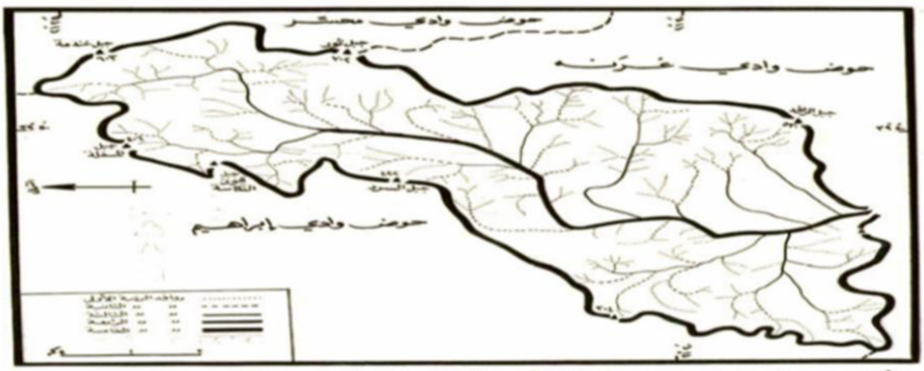

• وادي مُحَسِّر: بضم الميم، وفتح الحاء المهملة، وتشديد السين المهملة أيضاً، وآخره راء:
هو وادٍ صغير يأتي من الجهة الشرقية لثَبير الأعظم من طرف (ثَقَبَة) ويذهب إلى وادي عُرَنة فإذا مر بين مِنىً ومزدلفة كان الحد بينهما، فيتجه جنوباً، ويمر سيله عند عين الحُسَينية قبل أن يصب في عُرَنة وهو قبل ذلك يختلط بأودية المفاجر الثلاثة، فتصير وادياً واحداً، وقد عُمِر اليوم اجتماعها فصار حيّاً من أحياء مكة.

وادي سَرِف: قال ياقوت الحموي: "هو موضع على ستّة أميال من مكّة، وقيل: سبعة وتسعة واثني عشر، تزوّج به رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- ميمونةَ بنتَ الحارثِ، وهناك بنى بها، وهناك توفّيت"، وهو وادٍ كبيرٌ من روافد الظهران، يسيل من جبل أظلم وما حوله، يقطع الطريقَ بين مكة والمدينة، يقع حولَه قُرًى، وقد وقف قيس بن ذريح على موضع التقاء الوادي بطريق المدينة ومكة بين التنعيم ووادي فاطمة شمالَ غرب مكة على بُعد (١٢كم) منها، ويُعَدُّ "سَرِف" أحد أحياء ضواحي مكة الشمالية الغربية، يُعرَف حاليًا باسم" النوارية".



وادي نعْمان: وكان يعرف بنعمان الأراك: وادٍ من أكبر أودية مكة المكرمة، تأتي أعلى نواشغه من طود الحجاز حيث جبال: كرا، وعَفَار، وتَفْتَفَان، وغيرها، حيث تتكون أعظم روافده، مثل: الضَّيْقة، والكُرّ، والشَّرَى، ويَعْرِج. وتسمى صدورة (الصُّدَّر) وله روافد كبار أثناء مسيرته، منها: عَرْعَر، وصَار، وَرهْجَان، وكلها عن يساره، وبُرْم، والوَصِيق عن يمينه، وتصب فيه مياه جبال شوامخ مثل: كبكب من اليمين، وبلم والخشاع وقرظة من الشمال، وكل هذه الديار لهذيل اليمن ثم ينحدر وادي نَعْمَان بشكل شبه مستقيم فيمر جنوب عَرَفة على مرأى منها، فإذاً تجاوزها اجتمع بوادي عُرَنة (بالنون) ثم يفقد نَعْمَان اسمه ويصبح الاسم لعرنة.

وادي اللاحجة وهو ما يسمى " ريع بخش" يبتدئ من وجه جبل ثور الشمالي، ومن غرب جبل سدير ثم يسيل غرباً ماراً بين ثور في الجنوب الشرقي، وجبل السرد في الغرب، وأسفله يسمى بطحاء قريش، وينتهي سيله إلى عُرنة.
واللاحجة السلمات: وهي من كدي ، وهو ما يسمى اليوم حي الهجرة



شكل -١٤- رتب المجاري النهرية للشبكة المائية لحوض وادي اللاحجة


شعاب وجبال مكة
تشكل تلك الجبال والشعاب قيمة تاريخية، وهوية
جغرافية يستشعر بها كل مسلم مقيمًا وحاجًا ومعتمرًا
© Mohammed Alhothaly


جبل
نقطة ارتفاع
نفق

الشعب... الريع ... الثنية

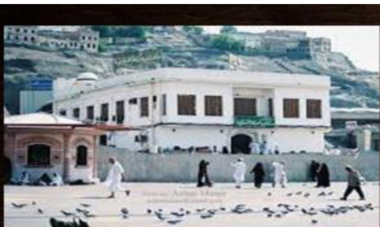
شُعَبُ الجبالِ: رؤُوسُها؛ وقيل: ما تفرّقَ من رؤُوسِها.

الشُّعْبةُ: دون الشِّعْبِ، وقيل: أُخَيَّة الشِّعْب، وكلتاهما يَصُبُّ من الجبل. والشِّعْبُ: ما انْفرَجَ بين جَبَلَينِ.

الشِّعْب : انفراجٌ بين الجبلين. والجمع : شِعابٌ .

الرَّيْعُ: الطَّرِيقُ الْمُنْفَرِجُ عَنِ الْجَبَلِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ بِكُلِّ فَجٍّ، وَالْفَجُّ الطَّرِيقُ الْمُنْفَرِجُ فِي الْجِبَالِ خَاصَّةً

ثَنِيَّةُ الجَبَلِ: العَقبَةُ، الْمُنْعَطَفُ، الطَّرِيقُ العالِي الْمُرْتَفِعُ



شعب بني هاشم

شعب أبي يوسف: هذا الشعب الذي لجأ إليه بنو هاشم عندما تحالفت قريش ضدهم فعرف فيما بعد بشعب أبي طالب، ثم شعب بني هاشم، وعرف في الزمن المعاصر بشعب علي – قُبيل زوال الشعب من جراء الأنفاق الحديثة، (أنفاق شعب علي)

وهو منازل بني هاشم قبل النبوة، وقد ولد فيه نبينا وسيدنا وحبيبنا المصطفى محمد بن عبدالله الهاشمي القرشي صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه موضع المولد الشريف، وهو في دار محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف.

ويقول الأزرقي: سمعت جدي ويوسف بن محمد يثبتان أمر المولد وأنه ذلك البيت لا اختلاف فيه عند أهل مكة.


شعب آل قنفد: شعبة الإجابة، شعبة النور
وفي زمن الأزرقي يسمى بشعب آل قنفذ
التغريدة
Dr.alsharif m alharthi
@alsharifmh
سلمت دكتور منصور، وبارك الله جهودك.
ومن أسماء شعبة الإجابة، شعبة الحرث، لسكنى عدد من أسر الأشراف الحرث بها إلى اليوم
Twitter for iPhone · 12:25 ص · 2021/2/21
حي شعبة الإجابة المتفرع من ثنية ربع أذاخر
تسمية توضيحية
مسجد الإجابة
Google Earth


شعب عامر أو ابن عامر
ويشرف الشعب على جبل خندمة الذي يحتضنه من الجهة الجنوبية، في الجاهلية وصدر الإسلام، ذكره الأزرقي حين قال: ولهم -بنو أسيد- دار الحارث.
ويقول البلادي: يصب على الغَزَّة مقابل مسجد الراية، يأتي من الخنادم.
وها قلبي إلى الأحباب صاغ ... يميل إلى رضاهم وهو صاغر
أحن إلى لقاهم كل عام ... وأرجو وصلهم في شعب عامر
شعب عامر


شعاب مكة
١. شعب الأنصار: بأسفل جبل ثبير أو شعب البيعة.
٢. شعب ثقبة: بأصل جبل ثبير المقابل لجبل حراء من الناحية الجنوبية. وما يسمى اليوم الغسالة.
٣. شِعْب الصُّفَيّ: الجميزة، صُفيّ السِّبَاب، وأيضا يقال له: خيف بنى كنانة.
٤. شعب الخوز: يقال له: خيف بنى المصطلق. وهو الشعب الذي يهبط على ربع المسكين يميناً وشمالاً.
٥. شعب عثمان: وهو حي الروضة اليوم وبصدره بستان الجفالي.
٦. شعب عمرو: وهو حي الملاوي.
٧. المفجر: الأراضي المنبسطة من ثنية الخضراء(واحياؤه: العزيزة، شارع كدي، محبس الجن، جزء من الششة).
٨. شعب أرني : لعله الشعب اللاصق بمقبرة الشعيبة، ويقال لهذا الشعب (الخندريسة). وكانت به المدرسة الصولتية.


شعاب مكة ٢
١. شعب آل الأخنس: شعب العيشوم، نبات يكثر فيه، والأخنس بن شريق الثقفي حليف بنى زهرة. وهو حي الخنساء أو الخانسة اليوم.
٢. شعب بنى عبد الله: من آل أسيد يسمى اليوم وادي العسيلة.
٣. شعب أبي دب: وهو الذي يسمى دحلة الجن.
٤. شعب الخاتم: بين أجياد الكبير والصغير، شعب صغير خلف مستشفى جياد.
٥. شعب البانة: شعب في ثور.
٦. الحثمة: بأسفل مكة، صخرات فى ربع عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وهي بسفح جبل عمر مما يلي الشبيكة.
٧. الفدفة: من مؤخر المفجر واللاحجة، وهي ذلك الشعب الذي تقع فيه أنفاق المصافي.
٨. اللها: شعب على يسارك إذا خرجت من أنفاق المصافي ودخلت الفدفدة.
٩. شعب حواء: حي العزيزية ولعله شعب صغير.

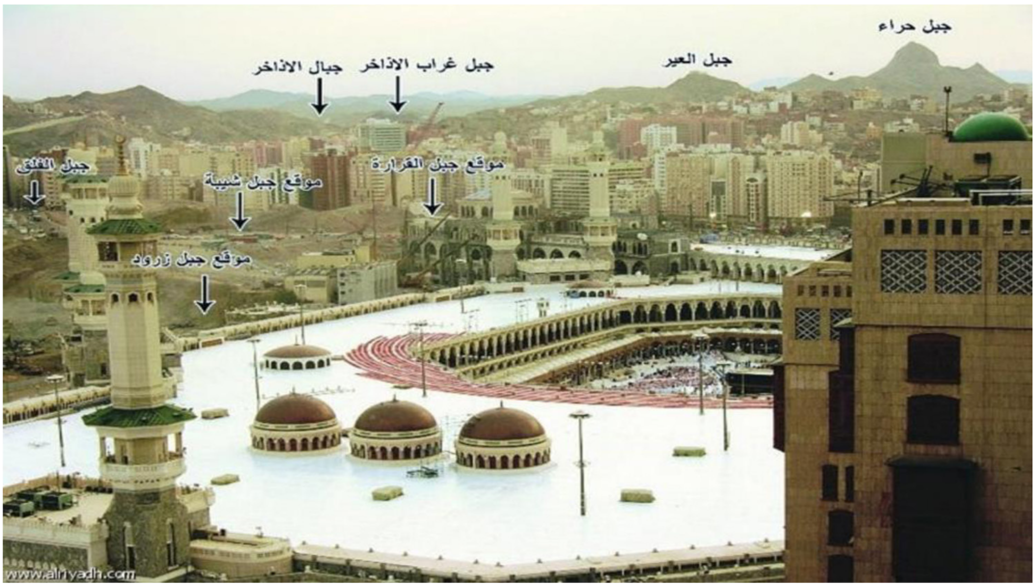
جبل "حراء" النور

يقع جبل "حراء" النور شمال شرق المسجد الحرام، اكتسب أهمية تاريخية لأن سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان يخلو فيه بنفسه ليعبد الله قبل البعثة في غار حراء، وفيه نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأول مرة.

ويقول عنه الفاكهي: هو الجبل الطويل الذي بأصل شعب الأخنس، مقابل ثبير غيناء.

جبل غار ثور:

هو جبل يقع جنوب مكة المكرمة، ويبعد مسافة (٤) كم عن المسجد الحرام، بين سهل وادي المفجر شرقا وبطحاء قريش غربا، ويرتفع بنحو ٧٦٠م، وله فتحتان فتحة في جهة الغرب وهي التي دخل منها النبي صلى الله عليه وآله وسلم و أبو بكر رضي الله عنه وفتحة من جهة الشرق.




جبل أبي قبيس:
هو أحد الأخشبين إلى جانب جبل قعيقعان وهو جبل في الجهة الشرقية للمسجد الحرام، ويبلغ ارتفاعه ٣٧٥م عن سطح البحر.
وقد شهدت هذه الجبال العديد من الأحداث ، إذ يقع إلى الجهة الشرقية للمسجد الحرام ، وسمي بذلك لأن رجلاً يقال له أبو قبيس أول من قام بالبناء عليه ، ويعرف جبل أبو قبيس بأنه أول جبل نصب ووضعه الله على وجه الأرض ، ثم مدت منه الجبال ويسمى أيضا الجبل الأمين ، بسبب احتفاظه بأمر من الله بالحجر الأسود ، في عام طوفان نوح عليه السلام ، فلما بنى إبراهيم الخليل البيت نادى أبو قبيس أن الركن مني بموضع كذا وكذا ، وقيل: أتى به جبريل من الجبل وسلّمه إلى إبراهيم ؛ وسمي بأبي قبيس لأن الحجر الأسود اقتبس منه.
ويمتاز جبل أبي قبيس عن بقية الجبال، بأنه يشرف على الكعبة، بل إن الربوة التي بنيت عليها الكعبة تتصل بأصل الجبل، وأصل الصفا الذي يبدأ السعي منه يقع في أسفل أبي قبيس في مقابلة ركن الحجر الأسود، كما تنسب له معجزة انشقاق القمر التي حدثت عليه، زمن الرسول صلى الله عليه وسلم.


الخَنْدَمة:
بفتح الخاء المعجمة، وسكون النون ثم الدال المهملة فميم فهاء. وقد تجمع الخنادم: هي سلسلة جبلية خشباء بمكة، تبدأ من شعب عامر قرب المسجد الحرام فتشرق حتى تصل المفجر، وإن كان شرقها يسمى باسم آخر، وفيها اليوم أحياء كثيرة وهي تقابل الحجون من الجنوب، وتمتد جنوباً فيكون نهايتها هناك جبل (سُدَير). ويقع جبل خندمة في ظهر جبل أبي قبيس من الناحية الشرقية، وتوجد عليه أبراج اللاسلكي ويشرف على أجياد الصغير، ويمتد من جبل أبي قبيس حتى المعلاة، على طول شعب بني هاشم، وشعب عامر، ويشاهد إلى الجنوب الغربي من حي المعابدة، وعلى سفحه حي الملاوي
دمة
جبل
ابي قبيس
موقع جبل الخندمة وأبي قبيس

جبل قُعَيْقِعان

نسبة إلى (قعقعة السلاح) هو سلسلة جبلية تمتد شمال وشمال غرب المسجد الحرام، ويشرف على عدة أحياء حيث يمتد شمالاً إلى الحجون، وجنوبا إلى حارة الباب والشبيكة، وغرباً إلى بئر طوى وشرقا إلى حارات السليمانية والنقا والشامية، ومن أجزائه جبل العبادي وجبل السليمانية، وجبل هندي، وجبل الفلق، وجبل المطابخ، وجبل القرارة، وجبل شيبة، وجبل النقا وجبل قرنا وجبل المدافع وجبل الخافض وجبل تفاحة.

وتمت إزالة الجزء الجنوبي من جبل قُعَيْقِعان، وأدخلت ضمن التوسعة للمسجد الحرام من الناحية الشمالية.

جباله:

جبل شيبة: جبل لعلع وجبل واسطا ويقع بين القرارة والفلق، وكانت عليه قلعة فِتفل، وتمت إزالة الجبل بالكامل.

جبل المدافع: لوجود المدافع، ويقع في الناحية الشرقية لجرول، وإلى الشمال من جبل العبادي.

جبل المطابخ: مشرف على حارة الباب من الشمال.

جبل الفلق: جنوب مقبرة المعلاة، ويشرف على شارع الغزة من الناحية الشرقية. وفلقه ابن الزبير.

جبل هندي: نسبة لسكنى الهنود يقع في الناحية الشمالية للمسجد الحرام، ويمثل الجزء الجنوبي من قعيقعان. أزيل لصالح التوسعة.

جبل كَدَاء: (كداء وكُدى وكُدَيّ)

وكَدَاء: ثنية أو ريع الحجون والمشرف على مقبرة المعلاة، وشق بالجبل طريق في عهد الشريف الحسين بن علي. ويقول الأزرقي عن الحجون: الجبل المشرف حذاء مسجد البيعة الذي يقال له مسجد الحرس وفيه ثنية تسلك من حائط عوف.

ثَنِيَّةُ كُدًى: الَّتِي يُهْبَطُ مِنْهَا إِلَى ذِي طُوًى وَهِيَ الَّتِي دَخَلَ مِنْهَا قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ الْفَتْحِ وَخَرَجَ مِنْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ. (الفاكهي).

أما عن **كُدَيّ** جبل يصل بين مسفلة مكة، وجبل ثور جنوب المسجد الحرام.

أما **كُدىً** تعرف اليوم بريع الرسام (الرسم على البضائع).

جبل السيدة (كداء) المشرف على مقبرة المعلاة، أو ثنية المدنيين، أو الثنية العليا من ريع الحجون مشرقا بشمال، بحيث يكون وجهه الشرقي جبل أذاخر الذي يشرف على ثنية أذاخر مفضياً إلى الخرمانية، على يمين ويسار الصاعد من الحجون باتجاه العتيبية.


ثنية كدى حديثاً


ثنية كداء - ربع الحجون
مقبرة المعلاة
الحجون
Image © 2019 Maxar Technologies
© 2018 Google
Google Earth

جبال ثبير الأثبرة هي مجموعة جبال تقع في مكة المكرمة، وتعرف بالأثبرة.

ثبير غيناء (جبل الرخم)

هو أكبر الأثبرة، ويقع مقابل جبل حراء، ويشرف على الأبطح من الشرق، وعلى منى من الشمال، وهو أشمخ جبال مكة، سمى في الجاهلية "سميرا" وسُمي كذلك صفرا، ويطلق على قمته ذات القتادة، وهو الجبل الذي يقال: إن إبراهيم عليه السلام صعد إليه حين أمره ربّه أن يؤذّن في الناس بالحج «وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالًا». ويرتفع ٨١٤م عن سطح البحر.

ثبير الأعرج

يقع بين المغمس وبساتين ابن عامر في جهة عرفة.

ثبير النصع

هو الجبل المشرف على كشعر مزدلفة من الناحية الشمالية الشرقية ، والجزء الشمالي منه يسمى ثبير الأحدب، والجزء الجنوبي منه جبل المرار.

ثبير النخيل

يعرف أيضا بالأقحوانة، ويوجد به الثنية الخضراء.

ثبير الزنج

هو جبل النوبي المعروف بأسفل مكة من جهة الشبيكة.

ثبير الأحدب

ويقال له الأحيدب وهو جبل يقع بمنى بالقرب من جبل ثبير الأثبرة في الجهة المقابلة لمسجد الخيف، على يسار الذاهب إلى عرفة.



جبل الحزْوَرَة: يقع بفناء دار الأرقم، أي دار الخيزران، على يسار الصاعد إلى الصفا. ويقول عنها الفاكهي: الْحَزْوَرَةُ: وَهِيَ سُوقُ مَكَّةَ الْقَدِيمُ كَانَ بِفِنَاءِ دَارِ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الَّتِي عِنْدَ الْخَيَّاطِينَ فَدَخَلَتْ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

الحزورة المكان الذي وقف عليه رسول الله ليلة الهجرة ، وقال الأزرقي في تاريخه : روى سفيان عن ابن شهاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالحزورة : "أما والله إنك لاحب البلاد إلى الله سبحانه ولو لا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت" رواه الترمذي [٣٨٦٠] وابن ماجه [٣٠٩٩] .

جبل الصفا: جبل صغير في طرف جبل أبي قبيس من الناحية الشمالية الغربية، ومن الناحية الجنوبية الشرقية للكعبة المشرفة، وهو يقابل ركن الحجر الأسود، وكان متصلاً بجبل أبي قبيس ولكن شق طريق بينه وبين جبل أبي قبيس.

جبل المروة: جبل صغير في طرف جبل قعيقعان من الناحية الجنوبية الشرقية.

جبل الكعبة: يقع شمال غرب المسجد الحرام، إلى الغرب من حارة الباب، وإلى الشمال من جبل عمر، ويفصل بينه وبين ثبير الزنج ريع الحفائر، ويسمى حاليا شارع أم القرى. وقد أزيل معظم الجبل.

جبل مُسْلِم: غرب وادي ذي طوى، وتمت إزالة أجزاء كبيرة من هذا الجبل، وقيل سمي بذلك لانطلاق النبي وأبي بكر منه ليلة الهجرة كَانَتْ بَنُو سَهْمِ ابْنَ عَمْرٍو أَعَزَّ أَهْلِ مَكَّةَ وَأَكْثَرَهُ عَدًّا وَكَانَتْ لَهُمْ صَخْرَةٌ عِنْدَ الْجَبَلِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ مُسْلِمٌ. "الفاكهي".

جبل المقطع: في شمال شرق مكة في منطقة الشرائع، ويشرف على ثنية خل آخر حدود الحرم، وتظهر آثار أنصاب حدود الحرم. وهو مقلع الكعبة.

جبل المقلع: يقع شمال غرب المسجد الحرام، بمنطقة أبي لهب، ويشرف على ريع أبي لهب وعلى وادي طوى.

يقول الفاكهي: الْمَقْلَعُ: الْجَبَلُ الَّذِي بِأَسْفَلِ الْحَصْحَاصِ عَنْ يَمِينِ الْخَارِجِ إِلَى الْمَدِينَةِ

جبل خليفة: جبل القلعة: الجبل الذي يقع جنوب المسجد الحرام، ويبعد عن الكعبة المشرفة بحوالي ٣٠٠م، ويرتفع ٣٣٠م عن سطح البحر، ويقابل باب الملك عبدالعزيز، وعليه قلعة أجياد.

جبل زَرَوّد: يقع في حي المعابدة إلى الشرق من مقر أمانة العاصمة، وإلى الشمال من قصر البياضية، ويظهر إلى شماله جبل العير، ويرتفع بنحو ٣٢١م عن سطح البحر.

يقول عنه الفاكهي: جَبَلُ زُرْزُرٍ: الْجَبَلُ الْمُشْرِفُ عَلَى دَارِ يَزِيدَ بْنِ مَنْصُورٍ الْحِمْيَرِيِّ خَالِ الْمَهْدِيِّ بِالسُّوَيْقَةِ عَلَى حَقِّ آلِ نُبَيْهِ بْنِ الْحَجَّاجِ السَّهْمِيِّ ، وَكَانَ يُسَمَّى فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْقَائِمَ، وَزُرْزُرٌ، كَانَ بِمَكَّةَ فِيمَا ذَكَرُوا حَائِكًا كَانَ أَوَّلَ مَنْ بَنَى فِيهِ فَنُسِبَ الْجَبَلُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ مَوْلًى لِبَنِي سَهْمٍ وَيُقَالُ مَوْلًى لِآلِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

جبل السبع البنات: الذي يقع جنوب المسجد الحرام في الجهة الشرقية لجبل أجياد، الذي تقع عليه أجياد وهو جزء من جبل الخندمة، ويرتفع بنحو ٣٦٢م. وتم فيه شق أنفاق أجياد.

جبل عمر

الجبل الذي في طرف جبل ثبير الزنج من الجهة الشمالية ناحية حي الشبيكة وه جزء من حارة الشبيكة، وهو على يسار الذاهب للحرم إلى جدة عبر ريع الحفاير وتحته إلى الغرب محل الهجلة (حي الهجلة) ويرتفع بحوالي ٣٩٤م عن سطح البحر، وسمي نسبة إلى سيدنا عمر بن الخطاب وفي الجاهلية يسمى ذا أعاصير، وسمي جبل النوبة لأن سودان مكة يلعبون عنده.

جبل جليل:

يقع وسط شارع الحج، ويقابل جبل أذاخر من الجنوب، ويرتفع بحوالي ٣٦٩م، وبين الجبلين رعى بلال بن رباح رضي الله عنه أغنامه في وادي جليل وكان يحن إلى الجبلين.

جبل الناقة: يقع من الناحية الجنوبية الشرقية لجبل عمر، وقيل أنه يوجد على رأسه تشكيل صخري يمثل الناقة.

جبل الشراشف يجاور جبل الناقة من الناحية الجنوبية، ويرتفع بحوالي ٣٥٤م.


جبال الأذاخر: السلسلة الجبلية التي تشرف على الأبطح من الشمال ويشرف على شارع الحج ومنطقة المعابدة من الغرب، ويرتفع بحوالي ٣٦٤م عن سطح البحر. ويوجد فيه ثنية أذاخر التي دخل منها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة المكرمة يوم الفتح.
جبل الطارقي جبل إذا أميت مكة عن طريق نخلة اليمانية فصرت في الصفاح أو على حدود الحرم رأيته على يسار الطريق من أشمخ الجبال يقع في شرقيه سلع وفي غربيه ثقبة أحد رؤوس ثبير الأعظم، يقع في القسم الشرقي من مكة المكرمة شرقي مشعر منى وتبلغ قمته ارتفاع ٩٠٠ متر وهو أعلى قمة في جبال مكة المكرمة والمشاعر المقدسة.


سلسلة الموضوع
Dr.alsharif m alharthi
@alsharifmh
موقع #الأقحوانة أين هو ب #مكة_المكرمة ؟ #زهرة_الأقحوان
(1)قال الأزرقي:ثبير[النخيل]،ويقال:الأقحوانة،الجبل الذي بين ثنية الخضراء،وبأصله بيوت الهاشميين؛يمر سيل منى بينه وبين وادي ثبير،وله يقول الحارث بن خالد المخزومي:
من كان يسأل عنا أينَ منزلُنا***فالأقحوانةُ منا منزلٌ قمن
يتبع
سلسلة الموضوع
Dr.alsharif m alharthi
@alsharifmh
موقع #الأقحوانة أين هو ب #مكة_المكرمة ؟ #زهرة_الأقحوان
(2)قال البلادي: الأقحوانة: على لفظ النبات المعروف: كان يطلق هذا الاسم على ما بين المنحنى والمفجر الأوسط أو بتحديد أوضح ما كان يعرف بالمحصب وهو صدر وادي إبراهيم الذي يصب فيه سيل عقبة منى.
Twitter Web App · م 10:36 · 2020/12/15
عرض نشاط التغريدة
سلسلة الموضوع
Dr.alsharif m alharthi
@alsharifmh
موقع #الأقحوانة أين هو ب #مكة_المكرمة ؟ #زهرة_الأقحوان
(3)قيل: إن أهل مكة كانوا يخرجون إليه متنزهين في ثياب زاهية مختلفة الألوان شبهت بزهر الأقحوان. وتشمل الأقحوانة اليوم أحياء. الروضة والششة وما جاورهما.
صور لجوانب من حي (الروضة والششة) المعاصرة:
Twitter Web App · م 10:38 · 2020/12/15


مصادر ومراجع الدراسة
١.الأزرقي: أخبار مكة.
٢.الفاكهي: أخبار مكة.
٣.عاتق البلادي: معالم مكة التاريخية.
٤.غازي عبدالحي: جبال مكة المكرمة.
٥. أ.د. ناصر الحارثي: الآثار الإسلامية في مكة المكرمة.
٦. أ.د. معراج نواب مرزا ود. محمد سعيد البارودي: السمات المروفولوجية والخصائص المروفومترية والهيدرولوجية لأودية الحرم المكي.

(نشأة التعليم في مكة المكرمة
في عهد الملك المؤسس)

جمع وإعداد:

الدكتور محمد بن حسين الحارثي الشريف

بمناسبة اليوم الوطني (٩١)


الحمد لله رب العالمين الذي جعل مكة البلد الأمين موطناً وسكناً لنا ولأجدادنا الأقدمين، والصلاة والسلام المباركان العاطران الدائمان إلى يوم الدين على شفيع الأمة ونبي الرحمة الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين نبينا وسيدنا محمد بن عبد الله الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي سعدت مكة البلد الأمين بمولده ،ووطء قدميه الشريفتين على ثراها وبين شعابها وعلى جبالها، وعلى آل بيته الطيبين، وصحبه الأكرمين الذين وفقهم الله لاتباع الحق المبين.


دار الأرقم:
١- هي المدرسة الأولى في الإسلام التي أُعِدَّ فيها نظامُ التعليم والتربية ليلًا ونهارًا.
٢- وفيها كان نظام التربية والتعليم لمن يُسلِم بدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
٣- هو المكان المبارك الذي بدأتْ فيه سلسلة تعليم القرآن ليلًا ونهارًا.

نظام التعليم قبيل العهد السعودي

مر بثلاثة مراحل وهي:
مرحلة التعليم في المساجد، ومرحلة التعليم في الكتاتيب وكانت المناهج الدراسية في كلا المرحلتين تعتمد على حفظ القرآن والقراءة والإملاء والخط والحساب، والمرحلة الثالثة هي مرحلة التعليم بمدارس أنشئت بجهود المواطنين في ذلك الوقت ومن تلك المدارس :

المدرسة الصولتية: أنشأها أحد علماء الهند بدعم من سيدة هندية اسمها (صولت النساء)، وذلك عام ١٢٩١هـ.
المدرسة الفخرية: أنشأها أحد أساتذة المدرسة الصولتية، الشيخ عبد الحق قاري عام ١٢٩٦هـ.
مدارس الفلاح: (مدرستان) وأنشأها الحاج محمد علي زينل عام ١٣٢٣هـ.

المدارس الهاشمية: أسسها الشريف الحسين بن علي عام ١٣٣٤هـ، بدأت بالمدرسة الخيرية التحضيرية، ثم مدرستين أوليتين، ثم المدرسة الراقية وهي أعلى، ثم المدرسة العالية وهي مدرسة ثانوية.

التعليم في مكة المكرمة

تطور التعليم في مكة المكرمة في العهد السعودي

عندما دخل الملك عبدالعزيز (رحمه الله) مكة المكرمة في مساء اليوم السابع من جمادى الأولى ١٣٤٣هـ، أولى الناحية التعليمية والثقافية اهتماماً كبيراً. فقد اجتمع مع علماء مكة المكرمة ونظم اللقاءات العلمية بينهم وبين علماء نجد لتبادل الآراء والأفكار، ونظم أمور التدريس في المسجد الحرام، وبحث عن المتعلمين من أبناء البلاد وقربهم إليه وولاهم المسؤوليات المختلفة، واستقدم علماء أجلاء من أقطار العالم الإسلامي ليقوموا مع إخوانهم من أبناء الحجاز ونجد بتنوير الناس. وقد قام جلالته شخصياً بزيارة بعض المدارس الأهلية القائمة بمكة المكرمة، فزار مدرسة الفلاح والمدرسة الفخرية، ودعماً منه لهذه المدارس تبرع (للأولى بمئة جنيه وعشر ذبائح وستة أكياس من الأرز، وتبرع للثانية بخمسين جنيهاً وست ذبائح وأربعة أكياس من الأرز)(٧).

وكان يوعز لمستشاريه بالتعرف على الكتاتيب المعروفة لمعرفة احتياجاتهم وتقديم ما تحتاج إليه من دعم مادي يشد من أزرها ويعينها على تحقيق أهدافها التربوية والتعليمية.

مديرية المعارف العامة

وفي اليوم الثالث من رمضان المبارك عام ١٣٤٤ هـ صدر الأمر الملكي بإنشاء مديرية المعارف العامة لتتولى مهمات الإشراف على التعليم ووضع السياسة المحكمة للتعليم في المدارس والمعاهد. فكان ذلك بداية خير لنهضة تربوية وتعليمية. وتتبع المديرية نائب جلالة الملك في الحجاز صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز (رحمه الله)، وقد استمرت هذه المديرية منذ عام ١٣٤٤ هـ تؤدي مهماتها بكل إخلاص حتى عام (١٣٧٣هـ) حيث تحولت إلى وزارة المعارف. وكان أول مدير للمعارف السيد صالح شطا(٨).

مجلس المعارف

وفي ٢٧ محرم عام (١٣٤٦هـ) صدر الأمر الملكي بتشكيل مجلس

التعليم في مكة المكرمة

تطور التعليم في مكة المكرمة في العهد السعودي

عندما دخل الملك عبدالعزيز (رحمه الله) مكة المكرمة في مساء اليوم السابع من جمادى الأولى ١٣٤٣هـ، أولى الناحية التعليمية والثقافية اهتماماً كبيراً. فقد اجتمع مع علماء مكة المكرمة ونظم اللقاءات العلمية بينهم وبين علماء نجد لتبادل الآراء والأفكار، ونظم أمور التدريس في المسجد الحرام، وبحث عن المتعلمين من أبناء البلاد وقربهم إليه وولاهم المسؤوليات المختلفة، واستقدم علماء أجلاء من أقطار العالم الإسلامي ليقوموا مع إخوانهم من أبناء الحجاز ونجد بتنوير الناس. وقد قام جلالته شخصياً بزيارة بعض المدارس الأهلية القائمة بمكة المكرمة، فزار مدرسة الفلاح والمدرسة الفخرية، ودعماً منه لهذه المدارس تبرع (للأولى بمئة جنيه وعشر ذبائح وستة أكياس من الأرز، وتبرع للثانية بخمسين جنيهاً وست ذبائح وأربعة أكياس من الأرز)[٧].

وكان يوعز لمستشاريه بالتعرف على الكتاتيب المعروفة لمعرفة احتياجاتهم وتقديم ما تحتاج إليه من دعم مادي يشد من أزرها ويعينها على تحقيق أهدافها التربوية والتعليمية.

مديرية المعارف العامة

وفي اليوم الثالث من رمضان المبارك عام ١٣٤٤ هـ صدر الأمر الملكي بإنشاء مديرية المعارف العامة لتتولى مهمات الإشراف على التعليم ووضع السياسة المحكمة للتعليم في المدارس والمعاهد. فكان ذلك بداية خير لنهضة تربوية وتعليمية. وتتبع المديرية نائب جلالة الملك في الحجاز صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز (رحمه الله)، وقد استمرت هذه المديرية منذ عام ١٣٤٤ هـ تؤدي مهماتها بكل إخلاص حتى عام (١٣٧٣هـ) حيث تحولت إلى وزارة المعارف. وكان أول مدير للمعارف السيد صالح شطا[٨].

مجلس المعارف

وفي ٢٧ محرم عام (١٣٤٦هـ) صدر الأمر الملكي بتشكيل مجلس



مديرية المعارف

ويهدف إنشاء مديرية المعارف، كما وضح المرسوم المنشور في صفر ١٣٤٥هـ، إلى نشر العلوم والصنائع وافتتاح المكاتب والمدارس وحماية المعاهد العلمية.

لم تمض سوى أربعة أشهر من قرار تأسيس مديرية المعارف حتى بدأ التدريس في مكة تحت إشراف المديرية ففي الأول من المحرم ١٣٤٥هـ بدأت الدراسة في المدارس المكية تحت إشراف مديرية المعارف وإشراف مديرها صالح شطا. ثم صدر أمر ملكي في ٢٧ المحرم ١٣٤٦هـ بتشكيل مجلس المعارف يتألف من ثمانية أعضاء برئاسة مدير المعارف، وتتلخص صلاحياته في إقرار الموازنة الخاصة بإدارة المعارف، إضافة إلى تعيين المدرسين وعزلهم، وكذلك الإشراف على المدارس واختيار المناهج وسن الأنظمة التعليمية، والنظر في حالة الكتاتيب الخاصة، وعقد أول اجتماع له في الثاني من صفر ١٣٤٦هـ. واستمر المجلس في أداء مهمته إلى أن تم تحويل مديرية المعارف إلى وزارة المعارف عام ١٣٧٣هـ.

الميزانية والرواتب

وقد أنفقت الحكومة على مديرية المعارف ما تحتاج إليه من أموال فقد جاءت ميزانية المديرية عام ١٣٤٥هـ نحو ٦٦٦٥٠ ريالا، وعام ١٣٤٨هـ ٢٣١٤٠٠ ريال، وعام ١٣٧٠هـ ١٢٨١٧٤٦٦ ريالا، وعام ١٣٧٢هـ ٢٠ مليون ريال. وكانت تختلف رواتب المعلمين من فترة إلى فترة وكذلك من معلم إلى معلم باختلاف مؤهلاتهم العلمية وكذلك نوعية المواد التي يدرسونها كما كانت تصرف في بعض الأحيان للمعلم أرزاقا بدل النقود يقوم المعلم باستبدالها.

وقد أضيفت للمعلم علاوة باسم الغلاء بنسبة ٢٥ في المائة من شهر المحرم عام ١٣٦٢هـ، وكان يصل راتب المعلم بشكل عام سنة ١٣٦٦هـ إلى ١٥٩٥ قرشا سعوديا، ثم في عام ١٣٦٨هـ ١٧٦٠ قرشا سعوديا، وهكذا حرصت المديرية على تحسين الأوضاع كلما وجدت الفرصة مناسبة لذلك.

صلاحيات المديرية :

١- الإشراف على جميع المدارس في الحجاز.

٢- الإشراف عامة على كافة أنحاء المملكة.

٣- العناية بنشر العلوم والمعارف الصحيحة مع الدقة والاعتناء بأصول الدين.

كما صدر نظام جديد للمديرية عام ١٣٥٧هـ وظل حتى قيام وزارة المعارف عام ١٣٧٣هـ ، ومن النقاط الواردة في هذا النظام :

١- مدير المعارف هو المرجع الأول في المديرية ، وله الحق في إصدار التعليمات بحيث لا تتعارض هذه التعليمات مع النظام.

٢- يشكل مجلس المعارف ثمانية أعضاء ، عضوين من مديرية المعارف ، يرشحهم المدير ، وسته

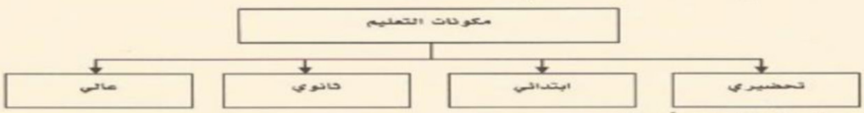
يعينهم سمو النائب العام للملك . ومدة العضوية سنتان.

٣- صلاحيات المجلس فمنها إقرار المناهج ، وتأسيس المدارس الجديدة ، وإيفاد البعثات العلمية، والإشراف على الاختبارات النهائية في جميع المدارس الحكومية والأهلية .

٤- تشكيل الهيئة الإدارية من المفتش الأول ، والمفتش الثاني ، والمفتش الثالث ، ورئيس مكتب المعارف ، ومدير المعهد السعودي ، ومدير مدرسة تحضير البعثات ، ووكل للهيئة الإدارية وضع التقارير الخاصة بخطط المعارف ، ووضع مشروع مناهج التعليم وتوزيع المدرسين على المدارس ، ووضع تقرير الكفاية واقتراح فتح المدارس الجديدة.

صلاحيات المجلس :

سعى المجلس إلى تحقيق الأهداف المنشودة من تأسيسه ، وهي إرساء قواعد النظام التعليمي في البلاد ، والسعي لجعل التعليم الابتدائي إجباريا ومجانيا.



من صلاحيات المجلس أيضا :

١- الموافقة على الميزانية.

٢- الموافقة على تعيين المعلمين وعزلهم.

٣- وضع برامج التعليم ومناهجه وإقرارها.

٤- النظر في التقارير الواردة من المدارس.

٥- الإشراف على الامتحانات الخاصة بالمعلمين.
٦- اختيار الكتب المقررة.
٧- تشجيع التأليف والترجمة ومنح المكافآت المناسبة.
٨- وضع الأنظمة المختلفة.
٩- النظر في حال الكتاتيب ومتابعتها والعمل على إصلاحها.

أعضاء مجلس المعارف بعد صدور نظام مديرية المعارف عام ١٣٥٧هـ:

١- الشيخ كامل القصاب	رئيسا
٢- الشيخ صالح شطا	عضوا
٣- الشيخ عبدالله حموده	عضوا
٤- الشيخ أمين نوره	عضوا
٥- الشيخ ناصر التركي	عضوا
٦- الشيخ محمد نور فطاني	عضوا
٧- الشيخ ماجد كردي	عضوا
٨- الشيخ علي مالكي	عضوا

إنجازات مديرية المعارف:

١- إصدار النظام واللوائح الخاصة بالتعليم.
٢- إنشاء المعهد العلمي السعودي.
٣- إنشاء مدرسة تحضير البعثات.
٤- إنشاء مدرسة دار التوحيد بالطائف.
٥- إنشاء مدرسة مهنية وفنية.

٦- إنشاء مدرسة البنات الأهلية بمكة المكرمة.
٧- إنشاء مدرسة الثقافة والتدبير المنزلي بمكة المكرمة.
٨- إنشاء مدرسة الزهراء للبنات بمكة المكرمة.
٩- إنشاء مدرسة دار الحنان بجدة.
١٠- إنشاء مدارس متفرقة في مدن المملكة العربية السعودية (الرياض - جدة - الدمام - المدينة المنورة)

وزارة المعارف:

أنشئت عام ١٣٧٣هـ وعدل اسمها إلى وزارة التربية والتعليم عام ١٤٢٤هـ ، وقد ورثت الأعباء التي تحملتها مديرية المعارف.

ويعد تأسيس وزارة المعارف من أبرز مظاهر التقدم في الشؤون التعليمية ، لأن الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه بعد ما من الله عليه بتوحيد البلاد ، سعى إلى تجنيد كافة الإمكانيات لنشر التعليم وفتح المدارس في مختلف مناطق المملكة وتوفير كل الإمكانيات لها.

وكان لتولي خادم الحرمين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمة الله كأول وزير للمعارف دورا فاعل على الحركة العلمية في المملكة العربية السعودية ، فقد أنجزت الكثير من الإنجازات الضخمة في فترة توليه مابين ١٣٧٣هـ حتى عام ١٣٨٠هـ.

وهكذا توالت الانجازات على هذا الجهاز الهام حتى تاريخنا الحالي.

فنحن نشهد اليوم مشاريع تربوية عملاقة وافتتاح عدد من الجامعات والكليات والمعاهد والمدارس في أكثر مناطق المملكة ، وآخرها ما قام به خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله بافتتاح جامعة عالية حملت اسمه.

النظامية أسست عام (١٣٥٥هـ) بهدف إعداد طلاب على مستوى جيد في التعليم الثانوي للابتعاث خارج المملكة والالتحاق بجامعاتها في مجالات تخصص الطب والهندسة والعلوم والجيولوجيا والزراعة والفنون والصنائع العليا، ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات. ولم تبدأ الدراسة فيها إلا في السابع من محرم ١٣٥٦هـ وكان السيد أحمد العربي أول من تولى إدارة هذه المدرسة وعين بعده لإدارة المدرسة السيد إبراهيم نوري (رحمهم الله)(١١).

التعليم المدرسي الحكومي

وأما التعليم المدرسي الحكومي فقد ناله التحديث والتطور كذلك بعد تأسيس مديرية المعارف العامة. وقد ورث العهد السعودي تلك المدارس التحضيرية الأربع:

مدرسة المسعى، ومدرسة المعلاة، ومدرسة حارة الباب، ومدرسة الشامية، فأعلن أن موعد بدء الدراسة في المدارس السعودية مستهل عام (١٣٤٥هـ) وأعيد تنظيم وتطوير هذه المدارس وتجدد تاريخ تأسيسها ومسمياتها مع إنشاء مدرسة تحضيرية جديدة على النحول التالي:

– المدرسة السعودية الابتدائية في المعلاة (١٣٤٥هـ).

– المدرسة الفيصلية الابتدائية في حارة الباب (١٣٤٥هـ).

– المدرسة العزيزية الابتدائية في الشامية (١٣٤٥هـ).

– المدرسة الرحمانية الابتدائية في المسعى (١٣٤٥هـ)

– مدرسة المعابدة التحضيرية (المحمدية بعد ذلك) تأسست عام (١٣٤٥هـ).

ثم أنشأت مديرية المعارف المدارس التحضيرية والابتدائية التالية (بين عامي: ١٣٤٥ / ١٣٧٢هـ) الخالدية - دف زيني - السعدية - مدرسة أبي شعيب - هدى الشام - المنصورية - مدرسة أبي عروة - الزيماء - الشرائع العليا - الناصرية - تحفيظ القرآن الأولى - المشعلية - الحسينية.

كما أنشئت مدرسة ثانوية ثانية في مكة المكرمة وهي المدرسة

التعليم في مكة المكرمة

الرحمانية الثانوية (عام ١٣٧٠هـ) وشملت كذلك إنجازات مديرية المعارف في مكة المكرمة.

إنشاء المدارس المتخصصة التالية:

– مدرسة المطوفين (١٣٤٧هـ).

– ثلاث مدارس ليلية لتعليم الكبار (١٣٥١هـ) في أحياء (المعلاة) و(الصفا) و(حارة الباب).

– المدرسة الليلية لتعليم اللغة الإنجليزية (١٣٥٦هـ).

– مدرسة تحسين الخطوط والآلة الحاسبة (١٣٦٨هـ).

– مدرسة تحفيظ القرآن الكريم في دار السيدة خديجة بنت خويلد (١٣٧١هـ).

– مدرسة التجارة المتوسطة (١٣٧٢هـ)(١٢).

كلية الشريعة في مكة المكرمة

ومن إنجازات مديرية المعارف العامة، وضع النواة الأولى للدراسة الجامعية داخل المملكة بفتح كلية الشريعة عام (١٣٦٩هـ) وبذلك دخلت المملكة عهد المرحلة الجامعية فكانت كلية الشريعة بمكة المكرمة أول تجربة رائدة للتعليم العالي الحديث وجعلت مدة الدراسة في الكلية أربع سنوات(١٣).

كلية المعلمين في مكة المكرمة

ثم أنشئت كلية المعلمين بمكة المكرمة - كلية التربية فيما بعد عام (١٣٧٢هـ) لتخريج المؤهلين للقيام بالتدريس في المدارس الثانوية وما في مستواها. وقد كتبت مديرية المعارف تقريراً عن الحاجة إلى فتح هذه الكلية ورفعته إلى الملك عبدالعزيز فجاءت الموافقة على ذلك وكانت مدة الدراسة أربع سنوات في الكلية(١٤).

تعليم البنات في مكة المكرمة

بدأ تعليم البنات في مكة

١- التعليم الابتـدائي

أولاً : المرحلة التحضيرية (١٣٤٧ - ١٣٦١هـ) :

بموجب نظام المدارس الصادر في ٩ شعبان ١٣٤٧هـ ، صدر نظام المدارس التحضيرية على النحو التالي :

- مدة الدراسة ثلاث سنوات .
- سن القبول أقل من ٦ سنوات .
- السنة الدراسية تتكون من عشرة شهور .
- عدد الدروس اليومية ٦ دروس في السنتين الثانية والثالثة مدة كل درس ٥٠ دقيقة وخمسة دروس في السنة الأولى ، مدة كل درس ٤٠ دقيقة .
- تشمل موضوعات الدراسة مواد القرآن الكريم ، والفقه ، والتوحيد ، اللغة العربية ، الخط ، الحساب ، الإنشاء ، الصحة ، الجغرافيا ، الرسم ، وطورت خطة الدراسة في هذه المدارس كما جاء في خطاب مديرية المعارف رقم ١٢/٧٨١ بتاريخ ١٣٤٩/٨/٢٤هـ .

الخطة الدراسية للمرحلة التحضيرية عام ١٣٤٩هـ

المواد الدراسية	عدد الحصص الأسبوعية		
	السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة
قرآن كريم	٦	١٠	١٢
فقه	٣	٤	٤
توحيد	٣	٣	٣
اللغة العربية	١٢	١٠	١٠
خط	٦	٦	٤
حساب	٤	٦	٦
المجموع	٣٤	٣٩	٣٩

العدد ٤٠ – ١٤١٩هـ – التوثيق التربوي ٣٧

وقد تم تعديل هذه الخطة مرتين الأولى في عام ١٣٥٢هـ والثانية في عام ١٣٥٥هـ وأهم هذه التغييرات توسيع منهج المواد الدينية والعربية وإضافة دروس للصحة وإدخال مادة للأخلاق في السنة الثانية بواقع حصة واحدة في الأسبوع ، كما تم تخصيص الشهور الثلاثة الأولى من السنة الأولى لمادة الهجاء فقط .

ثانياً : المرحلة الابتـدائية :

أ ـ المرحلة الابتدائية في الفترة (١٣٤٤ ـ ١٣٦١هـ) :

تضمن نظام المدارس الصادر في عام ١٣٤٧هـ ، البنود المتعلقة بنظام التعليم بالمرحلة الابتدائية وكان من أهمها ما يلي :

- يلتحق التلميذ بالمرحلة الابتدائية بعد حصوله على شهادة المرحلة التحضيرية .
- مدة الدراسة أربع سنوات .
- تتكون السنة الدراسية من عشرة أشهر .
- مدة الحصة خمسون دقيقة .
- الخطة الدراسية لكل سنة من سنوات المرحلة الابتدائية تشمل ٢٤ حصة أسبوعياً تتضمن العلوم الدينية والعربية والاجتماعية والرياضة والعلوم والصحة والرسم واللغة الإنجليزية .

هذا وكانت تجرى امتحانات تحريرية في نهاية كل ثلاثة أشهر لجميع المدارس التحضيرية والابتدائية في جميع المواد ماعدا القرآن الكريم والمحفوظات والمطالعة فإنها تكون شفوية .

وقد جرت عدة تعديلات على منهج الدراسة بالمرحلة الابتدائية كان أولها في عام ١٣٤٩هـ بموافقة الإرادة السنية رقم ٨٠٥ بتاريخ ٥ ربيع الأخر ١٣٤٩هـ ، وبموجب هذا التعديل ارتفعت النسبة المئوية للحصص المخصصة للمواد الدينية والعربية .

أما التعديل الثاني في منهج المرحلة الابتدائية فكان في عام ١٣٥٥هـ حيث صدرت الإرادة السنية الملكية بالموافقة على منهج الدراسة بالمرحلة الابتدائية برقم ٨/٣/٩٢ وتاريخ ١٣٥٥/١١/١٥هـ ، وقد زادت حصص بعض المواد وأدمجت مواد أخرى دون تغيير في جملة عدد الحصص الأسبوعية لكل سنة دراسية والبالغ عددها ٣٤ حصة أسبوعياً . كما استمر المنهج في إعطاء المقام الأول للعلوم الدينية والعربية .

وفيما يلي تفصيل الخطة الدراسية المعمول بها في هذه المرحلة كما جاء في خطاب مدير المعارف بالنيابة رقم ٥٩ في ١٣٤٨/١/١٢هـ .

الخطة الدراسية التفصيلية للمرحلة الابتدائية عام ١٣٤٨هـ (*)

المواد الدراسية		السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة
		عدد الحصص الأسبوعية			
العلوم الدينية	القرآن الكريم	٣	٣	٣	٣
	التجويد	٢	١	—	—
	التوحيد	٣	٣	٢	٢
	الفقه	٣	٣	٢	٢
	المجموع	١١	١٠	٧	٧
العلوم العربية	اللغة العربية	٨	٨	٨	٨
	الخط	٢	٢	٢	١
	المجموع	١٠	١٠	١٠	٩
العلوم الاجتماعية	التاريخ	١	١	٢	٢
	الأخلاق والتربية الوطنية	—	—	١	٢
	الجغرافيا	٢	٢	٢	٢
	المجموع	٣	٣	٥	٦
العلوم الرياضية	الحساب	٥	٥	٤	٤
	الهندسة العملية	—	١	٢	٢
	المجموع	٥	٦	٦	٦
العلوم والصحة	الأشياء ومبادئ العلوم	١	١	—	—
	الصحة	—	—	١	١
	المجموع	١	١	١	١
الرسم		—	—	١	١
اللغة الإنجليزية		٤	٤	٤	٤
جملة عدد الحصص الأسبوعية		٣٤	٣٤	٣٤	٣٤

(*) (انظر تطور أنظمة الامتحانات والخطط الدراسية في جميع مراحل التعليم في المملكة العربية السعودية من عام ١٣٤٦هـ إلى ١٣٩٠هـ) ص ٨.

ب ـ المرحلة الابتدائية الجديدة « ٦ سنوات » (١٣٦٠ ـ ١٣٧٣هـ) :

في عام ١٣٦١هـ تم دمج المرحلتين التحضيرية التي كانت مدتها ثلاث سنوات والابتدائية التي كانت مدتها أربع سنوات في مرحلة دراسية واحدة سميت بالمرحلة الابتدائية ومدتها ٦ سنوات دراسية .

وبموجب ذلك تم إعداد منهج جديد للدراسة بهذه المرحلة وتم التصديق عليه من جلالة الملك عبدالعزيز برقم ٢٨٠٢ وتاريخ ١٣٦١/٢/٢٦هـ . وبمقتضى المنهج الجديد تم إلغاء عدة موضوعات كانت تدرس في منهاج عام ١٣٤٨هـ كما خصصت الأشهر الستة الأولى من السنة الأولى لمادة الهجاء .

تعديلات على المنهج الدراسي :

في عام ١٣٦٥هـ طرأت تعديلات على المنهج الدراسي ، التعديل الأول في بداية العام والتعديل الثاني في نهايته .. فكان أول هذه التعديلات ما صدر عن المديرية العمومية للمعارف بالقرار رقم ٤ في ١٣٦٥/١/٢٣هـ بتعديل المنهج الدراسي للمرحلة الابتدائية الصادر في عام ١٣٦١هـ ، وبموجب هذا التعديل زادت بعض الحصص ونقصت أخرى مع المحافظة على العدد الإجمالي للحصص الأسبوعية في كل سنة دراسية ، كما تقرر تدريس الأربعين النووية في الحديث اعتباراً من السنة الخامسة .

وكان التعديل الثاني الذي تم مع نهاية عام ١٣٦٥هـ بموجب قرار مديرية المعارف العمومية رقم ١٦١ في ١٣٦٥/١٢/١٧هـ ، اقتضى حذف وإضافة بعض المواد من الصفوف مع المحافظة على إجمالي عدد الحصص الأسبوعية .

هذا وقد ظل هذا المنهج معتمداً حتى قيام وزارة المعارف في عام ١٣٧٣هـ .

نظام امتحان الشهادة الابتدائية :

أصدرت مديرية المعارف عام ١٣٧٠هـ نظام اختبارات الشهادات النهائية برقم ١١٢٧ وتاريخ ١٣٧٠/٦/٤هـ ينظم لجان الاختبارات وطريقة الأسئلة والنهاية الصغرى والكبرى لكل مادة .

نظام المدارس القروية (١٣٦٤ ـ ١٣٧٣هـ) :

حرصاً من مديرية المعارف على أن يمتد التعليم إلى كافة أنحاء المملكة ، وأن تصل إلى القرى للقضاء على الأمية وعدم انتشارها ، صدر نظام المدارس القروية برقم ١٢٣٧٩ في ١٣٦٤/٩/١٥هـ ليحدد عدد طلاب المدرسة بما لايزيد عن ٦٠ طالباً .

كما حدد النظام مدة الدراسة في المدارس القروية بأربع سنوات ، وهي تسير على نظام المدارس الابتدائية فيما يتعلق بنظم الامتحانات وغير ذلك .

وقد استمرت هذه المدارس إلى أن ألغتها وزارة المعارف في بداية عهدها في عام ١٣٧٣هـ .

٢-التعليم الثانوي

أ ـ الفترة الأولى : (١٣٤٥ ـ ١٣٥٥هـ) :

المعهد العلمي السعودي (١٣٤٥هـ) :

تأسست أول مدرسة في حكم الثانوية في الأول من شعبان عام ١٣٤٥هـ بهدف تخريج الدرسين ليعملوا في المدارس الابتدائية ، وعرفت هذه المدرسة باسم المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة ، واشترط للالتحاق بها الحصول على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية ، وكانت مدة الدراسة فيها ٤ سنوات دراسية الأولى منها إعدادية ، وتقرر صرف جنيهين ذهبيين مكافأة تشجيعية لكل طالب لزيادة الاقبال على المعهد ، وخلال عشر سنوات من انشائه ظل هذا المعهد مكوناً من ثلاثة فصول يقوم بالتدريس فيها ٩ معلمين ويدرس بها ما بين ٤٠ إلى ٤٨ طالباً ، كما ظل اتجاه تخريج المعلمين قائماً حتى عام ١٣٥٥هـ .

ب ـ الفترة الثانية (١٣٥٦ ـ ١٣٧٢هـ) :

تعد هذه الفترة هي البداية الحقيقية للتعليم الثانوي بالمفهوم الحديث ، حيث تطور المفهوم القديم للتعليم الثانوي من إعداد معلمين للتدريس بالمرحلة الابتدائية إلى المفهوم الحديث الذي يستهدف فتح المجال أمام الطالب لإكمال دراسته الجامعية .

ففي عام ١٣٦٥هـ طورت الدراسة بالمعاهد العلمية السعودية وأصبحت مدة الدراسة بها خمس سنوات دراسية .

وخلال تلك المدة تم تطوير التعليم الثانوي ، حيث تم افتتاح فصول ثانوية ملحقه بالمدارس الابتدائية القائمة وفصول ثانوية ملحقة بالمدارس المتوسطة ، إلى جانب افتتاح مدارس ثانوية مستقلة كان من أبرزها مدرسة تحضير البعثات ومدرسة دار التوحيد .

مدرسة تحضير البعثات ١٣٥٦هـ :

تعد هي أول مدرسة ثانوية بالمفهوم الحديث تحت اسم « مدرسة تحضير البعثات » بمكة المكرمة ١٣٥٦هـ ، ويلتحق بها من حصل على شهادة الدراسة الابتدائية ، ومدة الدراسة بها خمس سنوات ، الأربع الأولى للثقافة العامة ، والسنة الأخيرة للإعداد للتعليم الجامعي ، وقد قسم الطلاب في تلك السنة إلى قسمين ، علمي وأدبي ، ويعقد لها امتحان أطلق عليه « الشهادة التوجيهية » وقد تخرجت الدفعة الأولى حسب هذا النظام عام ١٣٦٠هـ ، وخلال الفترة ما بين ١٣٦٥ ـ ١٣٧٢هـ طرأت عدة تعديلات على مدة الدراسة بهذه المدرسة لتصبح ٦ سنوات دراسية يؤدي الطالب في نهاية الثلاث السنوات الأولى امتحان سمي « شهادة الكفاءة الثانوية » وطبق هذا النظام أول مرة عام ١٣٦٥هـ ثم سميت فيما بعد « شهادة الكفاءة المتوسطة » أما المرحلة الثانية ومدتها ثلاث سنوات فقد خصصت السنتان الأولى والثانية للثقافة العامة والسنة الأخيرة للتخصص في أحد القسمين العلمي أو الأدبي ، ثم حصل تعديل بحيث جعلت السنة الأولى من المرحلة الثانية للثقافة



العامة وخصصت السنتان الأخيرتان للتخصص في أحد القسمين العلمي أو الأدبي ، وظل هذا النظام قائماً إلى عام ١٣٧٣هـ حيث ألغي نظام شهادة الثقافة العامة ليحل محله نظام الشهادة الثانوية العامة بقسميها العلمي والأدبي .

واستمر هذا النظام قائماً في مدرسة تحضير البعثات وغيرها من المدارس الثانوية التي أحدثت فيما بعد حتى عام ١٣٧٨هـ حيث انقسمت المرحلة الثانوية إلى المرحلتين :

- المرحلة المتوسطة ومدة الدراسة بها ٣ سنوات .
- المرحلة الثانوية ومدة الدراسة بها ٣ سنوات .

وفيما يلي الخطة الدراسية التي كانت مطبقة خلال نظام الثقافة العامة حتى عام ١٣٧٣هـ .

الخطة الدراسية بالمدارس الثانوية خلال نظام الثقافة العامة

المواد الدراسية		السنة الرابعة	السنة الخامسة (الثقافة العامة)	السنة السادسة	
				أدبي	علمي
العلوم الدينية		٤	٤	—	—
علوم اللغة العربية		٥	٥	٦	٦
اللغة الإنجليزية		٩	٨	٩	٨
اللغة الفرنسية		٣	٣	٦	٣
الاجتماعيات	التاريخ	٢	٢	٥	—
	التقويم	١	١	٥	—
الرياضيات	الجبر	٣	٢	—	—
	الهندسة	٣	٢	—	٤
	المثلثات	—	١	—	—
العلوم	الطبيعية	٣	٢	—	٤
	خواص المواد	٢	٢	—	٦
	الأحياء	—	٣	—	٥
الرسم		١	١	—	—
التربية وعلم النفس		—	—	٥	—
مجموع عدد الحصص الأسبوعية		٣٦	٣٦	٣٦	٣٦

واضطرت المديرية إلى الاستعانة بكل من يرغب العمل في التدريس ويحسن القراءة والكتابة سواء كان من أهل البلاد أم من الوافدين إليها من أبناء الدول العربية الشقيقة . ولم يكن الموقف يسمح بمراعاة مستوى خاص لمؤهلات علمية عند التعيين فكانوا من الفئة التي أطلق عليها « معلم الضرورة » للحاجة الماسة للمعلم حينذاك .

ولما كان المعلم الوطني ضرورة ملحة لقدرته على فهم مشكلات بيئته ومجتمعه ولإعداد التلاميذ للحياة فقد رؤى العمل على الإسراع في إعداده ، فقامت مديرية المعارف باتخاذ بعض الخطوات الإيجابية نحو إعداد المعلمين وتدريبهم ، فقد أنشأت المديرية معاهد أطلق عليها اسم «المعاهد العلمية السعودية للمعلمين» بهدف تخريج المعلمين ليدرسوا بالمدارس الابتدائية ، كما أنشأت مدرسة تحضير البعثات عام ١٣٥٦هـ .

وتطورت مدارس علوم القرآن الكريم والحديث الشريف ، واحتاج تدريسها إلى نظام تعليمي إسلامي له خصائصه ومناهجه وطرق إعداد أساتذته . لذا أنشئت مدرسة دار التوحيد في عهد مؤسس المملكة الملك عبدالعزيز في مدينة الطائف عام ١٣٦٤هـ التي تطورت فيما بعد بحيث شملت مرحلتين متوسطة وثانوية ، لتدريس العلوم الدينية واللغة العربية ، إذ يمكن للخريجين من دار التوحيد المتوسطة العمل كمدرسين للعلوم الدينية واللغة العربية في المرحلة الابتدائية ، كما يحق لخريجي دار التوحيد الثانوية بعد تخرجهم الالتحاق بكليات الشريعة واللغة العربية .

كما افتتح أول معهد علمي بمدينة الرياض في عام ١٣٧٠هـ ، والذي يعتبر اللبنة الأولى للمعاهد العلمية التي تتبع حالياً جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ويؤهل هذا النوع من التعليم الدارسين فيه التخصص في علوم الشريعة الإسلامية وفروع اللغة العربية إضافة إلى العلوم الأخرى.

وكما سبق أن قلنا في عرضنا عن التعليم الثانوي إن المعاهد العلمية السعودية للمعلمين خلال الفترة ١٣٤٧ – ١٣٧٣هـ تعد ذات أهمية في تاريخ إعداد المعلمين التي بدأت بإنشاء المعهد العلمي السعودي في مكة المكرمة عام ١٣٤٥هـ .

٥- التعليم العالي لإعداد المعلمين للتدريس بالمرحلة المتوسطة والثانوية

أنشأت مديرية المعارف كلية الشريعة بمكة المكرمة عام ١٣٦٩هـ فكانت أول كلية للتعليم العالي تنشئها المملكة ، وقد خرجت هذه الكلية أول دفعة عام ١٣٧٢هـ ، وفي العام نفسه بدأت الدراسة بكلية جديدة هي كلية المعلمين لتسهم مع كلية الشريعة في تخريج الأعداد التي تحتاج إليها البلاد من المعلمين ، وقد ألغيت هذه الكلية فيما بعد عام ١٣٧٨هـ .



أنشئت كلية المعلمين لتشكل مع كلية الشريعة النواة الأولى للتعليم العالي في المملكة

وبذلك كان لمديرية المعارف الفضل في وضع اللبنات الأولى للتعليم العالي بإنشاء هاتين الكليتين .

٦ ـ تعليم الكبار ومحو الأمية

استشعر المواطنون خطر الأمية فبدأوا بجهود فردية لتمكين الأفراد من تلاوة القرآن الكريم في مدارس النجاح بمكة المكرمة ومدارس التشجيع الليلية بالمدينة المنورة ومدارس القرعاوي في جنوب المملكة وغربها ، إلا أن هذه الجهود كانت محدودة زماناً ومكاناً على الرغم من أهميتها والجهد الذي بذل فيها .

مديرية المعارف ومكافحة الأمية :

استجابت مديرية المعارف في عام ١٣٦٩هـ لرغبات الأفراد في تسهيل انتسابهم إلى المدارس الابتدائية ففتحت لهم أبواب بعض المدارس النهارية ليلاً لمكافحة الأمية ، وبدأ هذا المشروع في مكة المكرمة والمدينة المنورة ثم سرعان ما انتشر في مدن وقرى المملكة ، إلا أن كثيراً من الدارسين ارتدوا إلى الأمية مرة ثانية ويرجع ذلك إلى ما يلي :

* لم يكن القدر التحصيلي للدارسين كافياً لتثبيت مهارات القراءة والكتابة لديهم .
* في البداية لم يكن هناك منهج محدد ، ثم طبق منهج التعليم الابتدائي مما جعل كثيراً من الدارسين ينصرفون عن التعليم لطول المدة الزمنية وقدرها ٦ سنوات ولعدم صلاحية منهج التعليم الابتدائي المخصص للصغار لطبيعة تعليم الكبار .

لذلك ينظر لهذه المرحلة على أنها مرحلة تجريبية قبل أن تأتي المرحلة المنظمة بعد إنشاء وزارة المعارف عام ١٣٧٣هـ .

٧ ـ التعليم الفني المهني

تم إنشاء معهد نظامي لهذا النوع من التعليم بالمملكة عام ١٣٦٩هـ ، ومنذ ذلك الوقت وقبله بوقت طويل يلقى التعليم الفني والمهني كل الرعاية والتشجيع ، وقد أعلن مؤسس المملكة جلالة الملك عبدالعزيز في حفل تخريج الدفعة الأولى لمعهد الخرج الزراعي عام ١٣٥٩هـ (وكان تابعاً لوزارة الزراعة في ذلك الوقت) ، أعلن جلالته عن أهمية التعليم الفني لصيانة الاستقلال الوطني للجزيرة العربية ، ولإيجاد سواعد وطنية مدربة تخدم مجتمعها ووطنها .

التعليم الفني عند نشأة مديرية المعارف ١٣٤٤هـ :

جاءت كلمة « الصنايع » عن قصد صريح من مخطط السياسة التعليمية الملك عبدالعزيز حسب مانصت عليه المادة ٢٣ من التعليمات الأساسية لنظام الحكم والإدارة الصادرة في ١/٩/١٣٤٤هـ حتى لا تقتصر على العلوم والمعارف بمفهومها التقليدي بل لتشمل كذلك العلوم والمعارف المتصلة بالإعداد الفني والمهني والتقاني .

أول إدارة للتعليم الصناعي ١٣٦٩هـ

أنشئت أول إدارة للتعليم الصناعي بالمملكة عام ١٣٦٩هـ في عهد مديرية المعارف ، قبل إنشاء وزارة المعارف بأربع سنوات ، وفي العام نفسه افتتحت أول مدرسة للتعليم الصناعي بالمملكة كمدرسة متوسطة صناعية في مدينة جدة يلتحق بها الطلاب الحاصلون على الشهادة الابتدائية في دراسة مدتها ٣ سنوات وكان أول فوج من الطلاب الذي التحق بها يتألف من (٣٠) طالباً .

٨- التطور الكمي ١٣٤٤ ـ ١٣٧٢هـ

التعليم الابتدائي :

عند تأسيس مديرية المعارف عام ١٣٤٤هـ لم يكن في إقليم الحجاز ولا غيره سوى أربع مدارس ابتدائية حكومية ، وفي عام ١٣٥٥هـ قفز عدد المدارس إلى (٢٣) مدرسة تضم (٤٢٨٨) طالباً يقوم بتدريسهم (١٤٥) معلماً . ولما تحسنت الأوضاع الاقتصادية بعد عام ١٣٦٥هـ وبالتحديد في عام ١٣٦٩هـ ، وصل عدد المدارس إلى (١٦٣) مدرسة ابتدائية تمثل سبعة أمثال ما كان عليه عدد المدارس في عام ١٣٥٥هـ وحوالي ٤١ مثلاً لما كان عليه عدد المدارس عند إنشاء مديرية المعارف .

كما وصل عدد الطلاب في عام ١٣٦٩هـ حوالي (٢٠٦١٣) طالباً يمثلون خمسة أمثال ما كان عليه عددهم في عام ١٣٥٥هـ، أما عدد المعلمين في عام ١٣٦٩هـ فقد بلغ (٦٩٨) معلماً يمثلون خمسة أمثال عدد المعلمين في عام ١٣٥٥هـ.

هذا وقد وصلت أعداد المدارس والتلاميذ والمعلمين لضعف أعدادها خلال السنوات الثلاث الأخيرة من عهد المديرية (١٣٦٩ – ١٣٧٢هـ).

المرحلة الابتدائية

السنوات	المدارس	الطلاب	المعلمون
١٣٤٤هـ	٤	...	...
١٣٥٥هـ	٢٣	٤٢٨٨	١٤٥
١٣٦٩هـ	١٦٣	٢٠٦١٣	٦٩٨
١٣٧٢هـ	٣٠٦	٣٩٩٢٠	١٤٧٢

التعليم الثانوي:

تطور عدد المدارس والفصول والطلبة والمدرسين بالتعليم الثانوي (١٣٥٦ ـ ١٣٧٢هـ)

العام الدراسي	المدارس	الفصول	الطلاب	المعلمون
١٣٥٦ هـ	١	٢	٤١	٦
١٣٥٧ هـ	١	٣	٥٤	٩
١٣٥٨ هـ	١	٤	٧٤	١٢
١٣٥٩ هـ	١	٦	١١٣	١٥
١٣٦٠ هـ	١	٦	١٣٠	١٦
١٣٦١ هـ	١	٦	١٤١	١٦
١٣٦٢ هـ	١	٨	١٦٥	١٨
١٣٦٣ هـ	٣	١٣	٣٤٥	٢٩
١٣٦٤ هـ	٤	١٤	٣٦٨	٣٢
١٣٦٥ هـ	٤	١٧	٤١٤	٤١
١٣٦٦ هـ	٤	١٩	٣٨٥	٤٣
١٣٦٧ هـ	٥	٢١	٣٦٥	٤٥
١٣٦٨ هـ	٥	٢٤	٤٦٥	٥٥
١٣٦٩ هـ	٦	٢٦	٥٥٠	٥٩
١٣٧٠ هـ	٨	٢٩	٧٢٣	٨٧
١٣٧١ هـ	١٠	٤١	١٠٣٢	١٠٤
١٣٧٢ هـ	١٠	٥١	١٣١٥	١٣٣

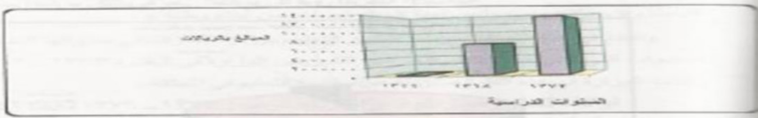
ومن الجدول السابق يتضح ما يلي :

- بلغ عدد المدارس الثانوية في العام الأخير من عهد المديرية عشر مدارس ولم يكن في عام ١٣٥٦هـ سوى مدرسة ثانوية واحدة .
- بلغ عدد الفصول بالتعليم الثانوي في آخر عهد المديرية (٥١) فصلاً يمثل حوالي ٢٦ ضعف أعدادهم في عام ١٣٥٦هـ .
- قفز عدد الطلاب من (٤١) طالباً عام ١٣٥٦هـ إلى (١٣١٥) طالباً عام ١٣٧٢هـ وهي تعادل ٣٢ ضعف ما كان عليه في عام ١٣٥٦هـ .
- قفز عدد المعلمين من (٦) معلمين عام ١٣٥٦هـ إلى (١٣٣) معلماً عام ١٣٧٢هـ يمثلون ٢٢ مثل عددهم في عام ١٣٥٦هـ .

- تطور ميزانية مديرية المعارف :

زادت ميزانية مديرية المعارف من (٥٦٦٥) جنيهاً ذهبياً أي ما يعادل (٥٦٦٥٠) ريالاً سعودياً عام ١٣٤٤هـ وهو عام المديرية الأول إلى (٧,٠٢٢,٢٢٤) ريالاً عام ١٣٦٨هـ ثم أخذت هذه الميزانية في الزيادة عاماً بعد عام حتى بلغت (١٢,٨١٧,٤٦٦) ريالاً في عام ١٣٧٢هـ وهو آخر أعوام مديرية المعارف .. وبذلك تكون ميزانية مديرية المعارف قد تضاعفت حوالي (٢٢٦) مرة خلال ٢٨ عاماً التي تمثل عمر مديرية المعارف .

تطور ميزانية مديرية المعارف

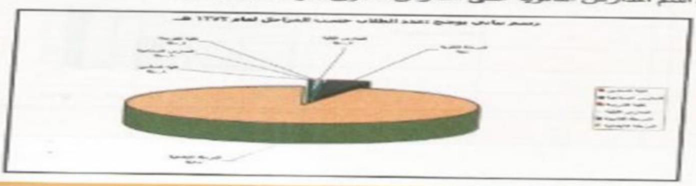


هذا ونقدم فيما يلي خلاصة إحصائية بإجمالي عدد المدارس والطلاب والمعلمين في كافة المراحل عام ١٣٧٢هـ وهو آخر أعوام مديرية المعارف .

المدارس والطلاب والمعلمون في عام ١٣٧٢هـ

المرحلة	المدارس	الطلاب	المعلمون
المدارس الابتدائية	٣٠٦	٣٩٩٢٠	١٤٧٢
المدارس الثانوية *	١٠	١٣١٥	١٣٣
المعاهد الثانوية	١	٣٣٥	٤٢
كلية الشريعة	١	٥٥	٣
كلية المعلمين	١	٣٥	٦
المدارس الصناعية	١	٣٧	٣
المدارس الليلية لتعليم اللغة الانجليزية	٣	٣٠٢	١٩
المجموع	٣٢٣	٤١٩٩٩	١٦٧٨

* كان يطلق اسم المدارس الثانوية على المدارس لما فوق المرحلة الابتدائية



التعليم قديماً



الدباغ والفوده وآخرون في الاحتفاء بتولي السيد محمد طاهر الدباغ مديرية المعارف العامة عام ١٣٥٥هـ



مبنى مدرسة الفلاح القديم



شهادة تقدير لطالب من مدرسة الرحمانية ١٣٦٢هـ

غلاف مجلد نتائج اختبار مدرسة تحضير البعثات

مراجع المحاضرة

١- مجلة المعرفة الصادرة عن وزارة التعليم، العدد (٦٩) ذو الحجة ١٤٢١هـ، دراسة (التعليم في مكة المكرمة)، نبيل خياط.

٢- كتاب: (مكة المكرمة النور والتنوير) إصدار إدارة التعليم بمكة، إعداد: محمد بن حسين الحارثي ورضا رشاد عجيمي، ١٤٣١هـ.

٣- مجلة التوثيق التربوي الصادرة عن وزارة التعليم، العدد (٤٠) ١٤١٩هـ، عدد خاص بمناسبة مرور ١٠٠ عام على تأسيس المملكة.

٤- كتاب: التعليم الأهلي للبنين في مكة المكرمة، تأليف: فيصل مقادمي، ١٤٠٤/١٤٠٥هـ.

٥- كتاب: المملكة العربية السعودية في مائة عام، بحوث ودراسات، إصدار دارة الملك عبدالعزيز- الرياض ، المجلد الثامن (التعليم).

بيان وتوضيح حقيقة الفيلم الهندي

(جودا أكبر)

بيان وتوضيح حقيقة الفيلم الهندي (جودا أكبر)



شاهدت في إحدى القنوات الفضائية مساء الجمعة ٢٨/ ١٠/ ١٤٣٨هـ الموافق (٢٢/ ٧/ ٢٠١٧م) الفيلم الهندي (جودا أكبر) (بالإنجليزية: Jodhaa Akbar)، وهو فيلم درامي تاريخي ملحمي يتحدث عن:(السلطان المغولي جلال الدين محمد أكبر، أحد السلاطين المغول الكبار الذين حكموا الهند وعاش ما بين عامي ١٥٥٦م - ١٦٠٥م « الموافق ٩٦٣هـ-١٠١٣هـ).

وبما أن أفلام السينما الهندية «بوليوود» تعتمد كثيراً على دغدغة مشاعر المشاهدين، ومخاطبة العاطفة، واللعب على أوتار حساسة لدى المتلقي، مثل محاربة الظلم، والدفاع عن المظلوم، والمناداة بالحرية، فهي أفلام تجارية عمودها الفقري الغِناء، والاستعراض.

ومن شاهد الفيلم وهو ذو بصيرة ومعرفة بتاريخ المسلمين في تلك القارة الكبيرة سيخرج بانطباع بأنه كان عرضاً مشوّهاً لصورة المسلمين، وخلطاً متعمداً بين مفاهيم كثيرة، وتحريفاً واضحاً لحقائق، وحوادث من المفترض بأن الكتب التاريخية قد فصلت فيها.

فالفيلم يزوِّر الحقائق التاريخية، ويحتوي على العديد من المغالطات، والكلمات التي فيها كفر بالله -عزّ وجّل-، والفيلم يدور حول قصة الحب بين إمبراطور الإمبراطورية المغولية الإسلامية جلال الدين أكبر (هريتيك روشان) والأميرة الراجبوتية الهندوسية جودا باي (آيشواريا راي)، ويظهر هذا الإمبراطور المسلم القوي ألعوبة في يد أميرة هندوسية، يخضع لكل رغباتها، بل وشركياتها بين يديه.

وبصفتي متخصص في التاريخ، ولما رأيته في هذا الفيلم من مغالطات تاريخية واضحة، وتشويه متعمد لحضارة الإسلام في الهند، تمثل في تجميل صورة هذا السلطان المغولي المسلم السني افتراضاً، والمنحرف عن ديانة الإسلام ومنهجه فكراً وممارسة وتطبيقاً، برغم ماله من إنجازات عسكرية وإصلاحات مدنية كثيرة، وحتى لا ينخدع به شبابنا المسلم في البلاد العربية، الذين قد شاهدوا أو سيشاهدون الفيلم على شاشات الفضائيات أو صفحات الأنترنت، أن أوضح لهم حقيقة معتقدات هذا السلطان المنحرف.

ورأيت أن أتجنب ما كُتب عنه في الأنترنت، والعودة إلى بعض المراجع التاريخية الموثوقة في تاريخ الهند الإسلامي، وخاصة الفترة المغولية:

فالسلطان جلال الدين الملقب بأكبر: كان من أقوى ملوك المغول إدارة

وحكمـًا، ولكنه كفر في آخر أيامه وصد عن سبيل الله، وأكره الناس على الكفر، وابتدع لهم دينـًا جديداً، فالذي قام على إرشاده والفضل عليه هو بيرم خان الشيعي المتعصب، وكان لهذا أثره فيما بعد حين قرب إليه كثير من علماء الشيعة، وجعلهم مستشارين له.

وقد كان في أول عهده أميل إلى أهل العلم والصلاح، ثم انحرف وانجرف بسبب إنجازاته العسكرية والمدنية، وبتأثير البطانة الفاسدة إلى الكبر والغرور، فزينوا له أنه ظل الله في أرضه، وله أن يرى ما يرى في الدين والحياة، فمالت نفسه إلى التحرر من قيود الشريعة، وتعلق بالأديان الأخرى يخلط بعضها على بعض كاليهودية والمجوسية والنصرانية والهندوسية.

وقد بنى في مدينته الجديدة مكانـًا سماه «عباد تخانه» أي مكان العبادة التي اخترعها، فقدم لرعيته دينـًا جديداً يجمع عليه شعبه المتعدد الأديان وسماه «الدين الإلهي»، ونادى بأن الدعوة الإسلامية قد مضى زمنها بمرور ألف سنة عليها، وأنها أصبحت لا تتفق مع زمانه، فأنكر الوحي والجن والملائكة والحشر والنشر وسائر المغيبات وأكثر المعجزات، وجوز التناسخ وحرم ذبح البقر، وأحل الخمر والميسر وغيرها، وأمر بإيقاد النار في داخل قصره الخاص على طريقة المجوس، وأن تعظم الشمس حين طلوعها على طريقة مشركي الهند، وأبدل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» إلى «لا إله إلا الله أكبر خليفة الله».

بل ورسم «القشقة» على جبهته وهي (النقطة الحمراء من الزعفران التي يضعها الهندوس الهنود على جباههم) وقد ظهرت في الفيلم بشكل متكرر.

كما وصل به الادعاء إلى القول بأن واضع دين الإسلام من فقراء الأعراب ..!، وأمر ألا يُقرأ من العلوم العربية إلا النجوم والحساب والطب والفلسفة، وتعلق بالنصرانية، وطلب من البرتغاليين أن يرسلوا رهباناً وأكثر يعلمونهم بعض معتقداتهم.

وتذكر دائرة المعارف الإسلامية الفرنسية بشأن عقيدة «أكبر» (مما لا مشاحة فيه أنه ترك الإسلام، ووضع عقيدة سماها «التوحيد الإلهي» ...).

ويقول الأمير شكيب أرسلان: «عندما يقرأ الإنسان أعماله هذه يعرف أن الرجل قد تمجس، وانتهى النزاع، ولكن حين تجده معجباً بالبوذية والبرهمية والنصرانية والتشيع، تعلم أن الرجل كان ساعياً بزعمه وراء الحقيقة فهو مختلط العقل في المسألة الإلهية ..».

وبرغم كل ما ذكر أعلاه عن هذا السلطان المنحرف، إلا أن هذا لا ينطبق على من أتى بعده من السلاطين المغول الذين أعادوا بريق الإسلام السني إلى وضعه الطبيعي في القارة الهندية، ومنهم السلطان «أُورنْك زِيْب» ـ ويقال «أورنج زيب» ـ معناها بالفارسية «زينة العرش»، فـ «أورنج» معناها: عرش، و»زيب» معناها: زينة، وأما «عالَم كير» فمعناها بالفارسية: فاتح العالم.

وهو ابن السلطان «شاه جيهان» أحد أعظم سلاطين دولة المغول المسلمين في الهند، وهو الذي بنى مقبرة «تاج محل» الشهيرة التي تعد من العجائب، ليدفن فيها زوجته الشهيرة باسم «ممتاز محل» ـ والدة السلطان أبي المظفر ـ والتي فُتن بحبِّها، ومن شدة حزنه عليها لم يعد صالحاً للملك، فتولَّى ابنه السلطان أبو المظفر الملك في حياته بعد معارك مع إخوته.

لـم يكـن السـلطان «أورنـك زيـب» كباقـي سـلاطين المغـول، بـل المعـروف مـن سيرته أنـه كان عالِمـاً عابـداً زاهـداً تقيّـاً شـاعراً، وكان حنفـي المذهـب في الفـروع، فهـو ليـس كباقـي سـلاطين المغـول، بـل هـو خيـر منهـم جميعـاً.

ومـن أفعالـه الجليلـة: أنـه حـارب البـدع والخرافات، وترك الاسـتماع للموسـيقى والغنـاء -مـع أنـه كان مـن الماهريـن بهمـا -وأبطـل الاحتفـالات الوثنيـة والبدعيـة، كمـا أبطـل عـادة الانحنـاء وتقبيـل الأرض ممـا كان يُفعـل للملـوك قبلـه، وأمـر أن يحييـه النـاس بتحيـة الإسـلام «السـلام عليكـم».

من المراجع:

- حاضر العالم الإسلامي: الأمير شكيب أرسلان.
- تاريخ الإسلام في الهند: د. عبدالمنعم النمر.
- ملحمة الإسلام في الهند: د. عدنان النحوي.

«فيلم «بادمافات» الهندي

Padmavati_movie

وتزوير وتشويه شخصية السلطان

علاء الدين الخلجي»

بسم الله الرحمن الرحيم



الفيلم السينمائي التاريخي عمل فني نعم، ولكن تصيغه التوجهات السياسية والدينية والطائفية بل والعرقية للجهة المنتجة، فهو بالتأكيد ليس حيادياً «الفن للفن»؛ بل يساهم في تكوين الرأي العام، وتشكيل ثقافة حاجبة للحقائق التاريخية، بطمسها وتشويهها، واستبدالها.

وبما أن أفلام السينما الهندية «بوليوود» تعتمد كثيراً على دغدغة مشاعر المشاهدين، ومخاطبة العاطفة، واللعب على أوتار حساسة لدى المتلقي، مثل محاربة الظلم، والدفاع عن المظلوم فإنها تجد جاذبية، ومثال ذلك ((فيلم بادمافاتي)) ملحمي تاريخي تم إنتاجه في الهند وصدر في سنة ٢٠١٨. الفيلم من إخراج وسيناريو سانجاي ليلا بهنسالي. الفيلم يرتكز على الملحمة الشعرية التي كتبها الشاعر الصوفي مالك محمد جياسي في القرن السادس عشر والتي تحمل اسم (بادمافاتي) Padmavati_movie . وتدور أحداث الفيلم بالقرن الرابع عشر الميلادي.

والفيلم وبشكل جلي يزور الحقائق التاريخية، ويحتوي على العديد من المغالطات التاريخية الواضحة، والتشويه المتعمد لحضارة الإسلام في الهند. وتتحدث الملحمة عن الملكة بادمافاتي «جاهيور» التي ضحت بنفسها لحماية شرفها من خلجي الذي قتل زوجها الملك رابوت في إحدى المعارك.

لذا اختار الهندوس تشويه صورة وسيرة السلطان المسلم «علاء الدين خلجي» الذي لقب بلقب الاسكندر الثاني؛ فهو:

السلطان علاء الدين الخلجي (ت.١٣١٦) من أسرة أفغانية نسبة إلى بلدة خلج بالقرب من غزنة بأفغانستان، وهو ثاني السلاطين الخلجيين بالهند. حكم من ١٢٩٦ حتى ١٣١٦. الملقب بالإسكندر الثاني.

وفي الوقت الذي كان فيه «علاء الدين» مشغولاً بالقضاء على هجمات المغول كان يعد الجيوش لاستكمال فتح الهند، فأرسل في سنة (٦٩٩ هـ -١٢٩٩م) قائديْه «ألنخان» و»نصرت خان» لفتح حصن «رنتنبهور» أعظم حصون إقليم «راجبوتانا»،فنجحا في مهمتهما بعد حروب دامية، ودخل الإقليم في طاعة «علاء الدين الخلجي»، ثم فتح إمارة «موار»، وكانت أمنع إمارات «الراجبوتانا» بقلعتها الحصينة القائمة على قمة جبل منحوتة في الصخر، ثم استولى على «ملوة» و»أوجين» و» دهري نجري»، ولم يكد يأتي عام (٧٠٦ هـ - ١٣٠٦) حتى كان «علاء الدين الخلجي» قد فتح «الهندستان» كلها من «البنغال» إلى «البنجاب».

وواصل علاء الدين فتوحاته؛ فأرسل قائده الحبشي «كافور»، فاخترق أقاليم «ملوة» و»الكجرات»، ثم أردف ذلك بجيش آخر يقوده «أدلوغ خان»،

واستولى الجيشان على «ديوكر»، وتوالت انتصارات علاء الدين بفضل كافور القائد المظفر، فقاد حملة هائلة في سنة (٧١٠ هـ = ١٣١٠م) تمكنت من فتح الجنوب الهندي كله.

واتهم السلطان علاء الدين بالشذوذ مع العبد «كافور» فهذه القصة المكذوبة لم تأت إلا عن طريق شاعر وروائي صوفي مشهور عنه الكذب واسمه (مالك محمد جاياسي) وجاياسي هذا اخترع هذه الفرية من وحي خياله ولم يشر إلى أي مصدر نقل عنه ولم تثبت تلك الكذبة الا عن طريق هذا الشاعر الماجن... وكانت لهذا السلطان العظيم النظم الإدارية والمالية التي تصلح من شأن مملكته، وقُدِّر لها أن تلقى قدراً كبيراً من النجاح؛ فعم البلاد الرخاء، ونَعِمَ الناس بالأمن، وكان لرقابته على الأسواق وشدته في معاقبة التجار المدلسين ومنعه من الاحتكار أثرها في رواج التجارة، ورخص الأسعار...

كما أصدر منشوراً بمنع الخمور منعاً باتاً في عموم بلاد الهند، وألغى مجالس اللهو والطرب حتى لا ينشغل الناس بها عن جهاد الهندوس والتتار، وعاقب على بيع الخمر عقوبة عظيمة بأن حفر جباً في ظاهر دهلي، أمر بإلقاء كل من يبيع الخمر فيه للأبد، فارتدع الناس وارتعبوا من مجرد ذكر الخمر.

وكان يفتح خزائن دولته العامرة، ويعطي منها التجار والمزارعين حين تشتد الحالة الاقتصادية أو يفسد الزرع حتى لا يتأثر الناس بقلة المعروض من البضائع كما وعُني بأمر الزراعة، وأسبغ رعايته على العلماء، وقد تحدث «ابن بطوطة» في رحلته عما شاهده من الرخاء الذي ينعم به المسلمون تحت حكم علاء الدين.

- **مراجع المقال:**

-تاريخ الإسلام في الهند للدكتور عبد المنعم النمر.

-تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية للدكتور أحمد محمود الساداتي.

ندوة « عاتق البلادي علامة الحجاز»

التي نظمتها اللجنة الثقافية

بمحافظة خليص،

برعاية نادي جدة الأدبي،

بتاريخ الأربعاء ١٤٣٩/٥/٧هـ،

الموافق ٢٠١٨/١/٢٣م.



المشاركة بورقة علمية :(مناقشة لمنهج الشيخ عاتق
البلادي من خلال كتابه « المصحح من تاريخ مكة»)

المحور الأول:

علاقتي بالشيخ عاتق البلادي رحمه الله



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه أجمعين ومن سار على سنته إلى يوم الدين.

سعادة محافظ خليص الدكتور فيصل الحازمي، سعادة الأستاذ عبدالرحيم نافع الصبحي رئيس اللجنة الثقافية بمحافظة خليص، وأعضاء اللجنة الكرام. الأخوة الحضور الكرام من المشايخ والأعيان والباحثين والمثقفين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأسعد الله مساءكم

في البدء أشكر للإخوة في اللجنة الثقافية اختيارهم الموفق لموضوع هذه الندوة المباركة (شيخنا علامة الحجاز الشيخ عاتق البلادي رحمه الله وأسكنه الجنة) لماذا علامة الحجاز؟ لأن الحجاز والحرمين كانت الأثيرة لديه رحمه الله، وما سُئل في مقابلة ما عن أثر كتاب لديه، إلا وذكر كتابه «معجم معالم الحجاز»

وعن نفسي فلقد اعتدت - بتوفيق الله - على زيارة الشيخ عاتق رحمه الله في داره بحي ساحة إسلام بمكة المكرمة في مجلسه الأسبوعي (مساء كل يوم إثنين) ما يقارب العشر سنوات، واستفدت من علمه وأدبه ومحاوراته ومناقشاته العلم النافع.

وبفضل الله بادرت وشاركت وتفاعلت مع مبادرة بنو عمنا أشراف الحجاز في الاحتفاء والتكريم للشيخ عاتق في أمسية تاريخية متميزة بجوار بيت الله الحرام مساء الخميس ٢/ ٢/ ١٤٢٧هـ، حضرها جمع كبير من أعيان مكة المكرمة.

المحور الثاني:

مناقشة لمنهج الشيخ عاتق النقدي من خلال كتابه «المصحح من تاريخ مكة»



ولكن ما هو النقد التاريخي:

إن عملية نقد أو فحص وتحقيق أو تحليل المصدر التاريخي المكتوب تتطلب جهداً وعملاً منظماً من قبل المعني بالوصول إلى واقعة وحدث تاريخي أقرب ما يكون وقت وقوعه، لذلك فقد درج عدد كبير من المؤرخين على السير ضمن سلسلة مترابطة ومتصلة من العمليات النقدية تبدأ أول ما تبدأ به بظاهر المصدر التاريخي ثم باطنه ومضمونه، والحالتان الظاهرية والباطنية

تشكلان عملاً متداخلاً مترابطاً ومتكاملاً في سياق العملية النقدية برمتها.

ومن أهم ملامح منهج النقد للمرويات التاريخية هو ما أثبته ابن خلدون في أول مقدمته وهو تحكيم العقل في بعض المبالغات التاريخية ...وكذلك رد الإفرادات التاريخية بما ثبت من أحوال الأمم أو الأشخاص ...فمثلاً يكون كالمقطوع به زهد أحد الخلفاء وورعه وجهاده فإذا أتت قصة له فيها منادمة وشرب خمر وغيره فإن الحال المشهورة لهذا الخليفة يؤكد عدم صحة هذه القصة فنردها بما اشتهر عن هذا الخليفة.

والنقد التاريخي ينقسم إلى قسمين: هما

١- النقد الظاهري

ويقصد به التأكد من شخصية « كاتب النص» ومن صحة نسبته إليه، وذلك بطرق مختلفة، وتتطلب عملية النقد جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن كاتب النص وهذا يعطى للباحث المعرفة بمدى تحريه الحقيقة ومدى علاقة الكاتب بالأحداث التي كتب عنها كاتب النص وهل شاهدها بنفسه أو اشترك فيها أو سمع عنها فقط وهل مضى وقت طويل بين وقوع الحدث وبين تدوينه، ومعرفة كاتب المصدر وتاريخ كتابته وعلاقته بالأحداث.

٢- النقد الباطني (الداخلي)

وهو نقد تحليلي إما إيجابي أو سلبي، والنقد الباطني الإيجابي يقصد به تحليل النص التاريخي للوصول إلى المعنى السليم لألفاظ النص كما يقصدها الكاتب حتى يخضع النص ويفسره التفسير الصحيح، ويتم ذلك عن طريق

تحديد المعنى الحرفي لألفاظ النص وجمله، أما النقد الباطني السلبي فهو يعبر عن عدم أخذ المعلومات الواردة في المصدر التاريخي على أنه تعبير عن الحقيقة الخالصة فكثيراً ما يحاد الكاتب عند ذكر الحقيقة تحت ظروف معينة أو حسب أهوائه وميوله الشخصية وعلى هذا فعلى الباحث في التاريخ أن يجعل قدراً كبيراً من الشك كنقطة البدء في بحثه. ومن ثم فإن عملية النقد الباطني السلبي هي عملية ضرورية لتصفية الحقائق وغربلتها واستبعاد الزائف منها.

من خصائص المدرسة التاريخية المكية:

فقد شكلت مناهج وأساليب مؤرخي مكة الكبار بدءً بالأزرقي والفاكهي والفاسي وانتهاءً بالنجم عمر بن فهد، مدرسة علمية منهجية؛ اقتفى أثرها وحاكاها جيل مؤرخي مكة حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري بشكل أو بآخر، مع بعض الاختلافات من قرن إلى القرن الذي يليه. ووصلت قائمة المؤرخين المكيين الذين عاشوا ما بين القرنين الثالث والثالث عشر الهجريين ١٨٧ مؤرخًا، و٨٤٦ من التآليف التي تناولت التاريخ ومتعلقاته، أو التي تعتبر من المصادر الأساسية للدراسة التاريخية.

وقد سلك مؤرخو مكة في تاريخ الحوادث النظام الحولي، بالسنوات والأشهر والأيام، فاتسمت طريقة التدوين في هذا النوع بالضبط والوصف، وفي كتب التراجم، كتب خصصت للتراجم، وأخرى جمعت بين تاريخ مكة وتراجم الخلفاء والسلاطين وأمراء مكة.

ولعل من خصائص مؤرخي مكة، لا تخلو كتاباتهم من النقد والتعليق

والتحليل والضبط، كنقد العز بن فهد لطباع بني شيبه سدنة البيت، واختلافهم على سدانة البيت، ونقده للحجاج عند ذبحهم للشياه ورميها في الطرقات، وتحليله لتفشي الفقر والمرض في أبناء البادية، وضبه للوفيات بالساعة والشهر والسنة، وأحياناً كان يشير إلى سبب الوفاة، وذكره طريقة توزيع الصدقات. كما اتصف منهج مؤرخو مكة بدقة النقل والإحالة والإضافات والاستطراد.

- **نماذج مختارة ومقتطفات قصيرة من كتاب (المصحح من تاريخ مكة) من ملاحظات العلامة الشيخ عاتق البلادي على مؤلفات تاريخ مكة:**

في مقدمة كتابه قال العلامة الشيخ عاتق البلادي رحمه الله: هالني ذلك الكم، وتلك الدقة والحيادية في غالب تلك المؤلفات ـ المقصود مؤلفات تاريخ مكة ـ، آليت أن أقرأها ـ جُلها ـ ...فوجدت أن في تلك الأسفار ما لا يصل إلى علم بعض المؤلفين، من غلطات النساخ، وغلطات المطابع..، فزعمت أنني أستطيع أن أصحح هذا كله أو جله...



ومن تلك الملاحظات وباختصار:

ما ورد في ص٩ من كتاب المصحح، عما لاحظه من أخطاء وردت في طبعة كتاب (أخبار مكة للأزرقي):

١- لم يبدأ الكتاب ببسم الله:

٢- اختصار جملة صلى الله عليه وسلم بـ (ص) أو (صلعم) والصحابة (رض)، وينكر هذه الاختصارات، بل وطلب من المشتغلين بالطباعة في كتبه تلافي هذه الأخطاء.

وفي ص١٧ من المصحح، من ملاحظاته على كتاب أخبار مكة للفاكهي: ورد في ص١٠/ ١ جاء الفاكه بن سعيد بن جبير الأنصاري السُّلَمي، ويرى البلادي أن صواب الاسم (السَلمي) بفتح السين واللام نسبة إلى بني سَلَمة، وهي قبيلة مشهورة في الأنصار.

وفي ص٤٠ من المصحح، ونقلاً عن الفاكهي ص٣٣٠، جاء ذيلاً الصفاح بالكسر موضع بين حنين وأنصاب. ويعلق البلادي بقوله: القول في تجوز، فالصفاح كانت أرضًا جرزاً، يطؤها طريق حاج العراق.

وفي ص٦٤ من المصحح، نقلاً عن أخبار مكة للفاكهي ص٩١/ ٥: ومنها سبوحة وهي قرية منها، ويقول البلادي: قرية منها، يظهر أن صوابه (قريبة منها)، وقامت قريبة منها قرية سميت (الخرج) غير مشكلة... وذكر لي الشريف محمد بن حسين الحارثي أن ضبط اسمها (الخُرج).

وفي ص٦٨ من المصحح من كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ورد في ص٢١/ ١ ذكر من عيون نخلة الشامية (بشراك)، قال البلادي: تلك من

تحريفات النساخ أو أخطاء المطابع، وإلا فإن الاسم (بَشَرىَ).

وفي ص٧٢ من المصحح، نقلاً عن شفاء الغرام ص٥٦/ ١: على بنيه خل بالمقطع. فعلق البلادي بقوله: بنيه خل، صوابها (ثنية خل) وهي معروفة.

وفي ص٩٢ من المصحح، نقلاً عن شفاء الغرام ص ٦٢/ ٢ قال: معرى مطيرة، أصابتها قشعريرة. فقال البلادي مصححـًا: معرى مطيرة صوابه (مِعْزى مطيرة) والمعزي من الغن غير الضأن، إذا أصابها المطر أسرعت فتحتمي بأي ذرا.



محافظ محافظة خليص الدكتور فيصل الحازمي، يسلم الدرع للدكتور الشريف محمد الحارثي

المشاركة بورقة علمية في ندوة

(عاتق البلادي – وقفات في رحلة

البلدان والأنساب والتاريخ)،

نظمها نادي مكة الثقافي الأدبي.

الأربعاء ١٠/٥/١٤٤٠هـ

الموافق ١٦/١/٢٠١٩م.

أنموذج لرحلة بلدانية

كتاب (بين مكة واليمن رحلات ومشاهدات)

الطبعة الأولى

١٤٠٤هـ-١٩٨٤م

عرض وتحليل



بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: ملامح عامة لمنهج عاتق البلادي البلداني:

١- كان يجمع في منهجه البلداني في غالب الأحيان بين حداثة وحيوية المعلومات.

٢- اتبع الأسلوب الوصفي نظراً لشيوعه في فترته وزمانه؛ فاعتمد الوصف المبني على التحليل والاستقصاء العام للمعلومات.

٣- ضمت رحلته الكثير من المعلومات التاريخية والجغرافية والنسبية.

٤- تجلى إبداعه في كتابه من خلال مزجه المتوازن بين الجغرافية والتاريخ والأنساب.

٥- ومن خصائصه استخدامه للشواهد الشعرية وتوظيفها خدمة لأغراضه البلدانية.

٦- قسم موضوعاته حسب المنهج البلداني الذي اعتمده جل بلداني زمانه؛ مترسمًا خطى سابقيه ومعاصريه.

٧- صنف القرى على أساس الحجم والكثافة السكانية والنشاط الاقتصادي.

٨- اتصفت معلومات كتابه بالموسوعية فضلاً عن رشاقة جمله وجزالة ألفاظه، وسهولة معانيه.

٩- عمل على توظيف المعلومة لصالح المجتمع وحاجاته المادية والمعنوية.

ثانيًا: أسباب قيامه بهذه الرحلة:

حيث يرى:

١- أن هذه المنطقة لم تحظ بالدراسة الوافية منذ القدم.

٢- نشأة مدن وقرى في الأزمنة المتأخرة.

٣- ندرة الكتابة عن قبائل تلك الديار.

٤- الكتابة عن الطرق بذكر ما ذكره المتقدمون.

ثالثًا: منهج عاتق البلادي في كتابه أو رحلته (بين مكة واليمن رحلات ومشاهدات):

١- المشاهدة والوصف الحي لما يرى صاحب الرحلة.

٢- روايات الناس ومقابلاتهم وعاداتهم.

٣- إحصاء تفريغي للقبائل الواقعة في دائرة البحث لم يُسبق إليه.

٤- دراسة ميدانية جغرافية مركزة.

٥- سجل استفادته من عدد من الأعلام والأعيان والباحثين في تلك المناطق الممتدة من مكة إلى اليمن. (ومنهم: قائم مقام العاصمة آنذاك، وأمير الليث، ووكيل إمارة غميقة، وأمير العرضية الشمالية وآخرين).

رابعًا: المساحة الجغرافية للرحلة:

تمتد من مكة شمالاً إلى الحدود مع الجمهورية اليمنية، بطول ٧٦٠كم، وعرض ١٠٠-١٢٠ كم بين السراة شرقًا إلى البحر الأحمر غربًا. وتشمل

ثلاث إمارات في تلك الفترة.

١ - إمارة الليث.

٢- إمارة القنفذة.

٣- إمارة جازان.

أهم المدن في رحلته: الليث-المضيلف-القنفذة-حلي-البرك-القحمة-الشُّقيق-بني شعبة-أم الخشب-بيش-صبيا-جازان

ابتدأ حديثه بالأودية، حيث ذكر عدداً منها انطلاقاً من وادي عُرنة ثم وادي ملكان حتى وادي جازان بفروعه المتعددة، ثم وادي خلب إلى وادي حرض.

يشرح ويوضح مسايل هذه الأودية حيث يقول: تسيل من السراة أو جبال تهامة الملاصقة للسراة من الغرب ثم تصب في البحر.

يذكر أحياناً سكان بعض المناطق قديماً كخلفية تاريخية، مثال: كالأشعريين وعك وخولان والأزد وغيرهم.

تاريخ انطلاق الرحلة:

صباح يوم الإثنين ١٤ صفر ١٤٠٣هـ الموافق ٢٩ نوفمبر ١٩٨٢م.

ويبدأ بتعريف وادي عُرنة، فيقدم المعلومة التاريخية والشواهد الشعرية، مشيراً إلى سكان هذا الوادي وما يليه من القبائل العربية كهذيل والأشراف وخزاعة.

ثم ينتقل إلى ملكان فيستخدم جملاً رشيقة وألفاظاً جزلة ومعانٍ سهلة تعكس ولا شك ثقافته الأدبية ومعارفه الجغرافية.

حقق في هذه الرحلة وفي جميع مقالاته وبحوثه فيها المزج المتوازن بين الجغرافية والتاريخ الحضاري، معتبراً الجغرافية إطاراً مكانياً، ووعاءً للتاريخ بأبعاده المختلفة.

ويتحدث عن الشعيبة قائلاً: شبه جزيرة على الشاطئ الشرقي لهذا البحر وتقع إلى الغرب من شامة وطفيل، ثم يذكر بما شاع وانتشر في أيامه من تسميته (ببحر مكة)، ودعوى شق قناة منه إلى مكة، مبيناً استحالة ذلك: وما درى هؤلاء أن مكة ترتفع عن سطح البحر (٣٥٠م)! فأية فائدة من هذه القناة، منتقداً هذا الرأي، ويسأل أيهما أصلح لمكة الشعيبة التي تبعد (١١٠كم) أم جُدة التي تبعد (٧٣كم). ثم يعرج على التاريخ لذلك الميناء.

ويستمر في شواهده الشعرية عن جبال سطاع وشامة وطفيل، ثم يذكر ما تعارف عليه العرب؛ أن كل جبل يفترق رأسه إلى رأسين كغزالي الشداد يسمونه أبو شدادين، وهي كثيرة في بلادهم.

حتى يصل إلى شامة وطفيل فيورد ما أنشده الصحابي الجليل بلال بن رباح رضي الله عنهما فيهما:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً *** بفخ وحلي إذخر وجليلُ

وهل أردن يوماً مجنَّةٍ *** وهل يبدُون لي شامةٍ وطفيلُ.

ويمر بوادي الأبيار مازجاً بين التاريخ والجغرافيا والأنساب، فيذكر اختلاط سكانه من الجحادلة من بني شعبة والأشراف العبادلة.

منطلقاً إلى وادي يلملم فيذكر أن في صدوره قبائل بنو فهم وبقية بني صاهلة من هذيل وأسفله الجحادلة وروافده الشمالية من ديار هذيل.

ولـم يقتصـر علـى التاريـخ والجغرافيـا والأنسـاب بـل عـرج علـى الآثـار التـي تقـع عليهـا عينـاه، وفي إشـاراته الآثاريـة ملامـح علميـة للباحثيـن مـن طـلاب الدراسـات العليا في جامعتنا والعاملون في مجال السياحة، لاستكمال ما أثاره الشيخ تلميحاً أو تصريحـاً وتوضيحـاً، فعنـد مـروره بـوادي مركـوب وسـكانه مـن الجحادلـة، يذكر أنـه وجـد جـداراً مدفونـاً بُنـي بحجـر غيـر مشـذب وبـلا مؤنـة وكومـة مـن الأرض تـدل علـى حفـر.

وعندمـا يتحـدث الليـث يبيـن أن الليـث ليثـان؛ وادٍ وبلـدة، ولهـا ميـناء يسـتقبل السـفن وتـرد إليـه البضائـع مـن جُـدة واليمـن والسـودان، وبـه حركـة لصيـادي الأسـماك.

ثم يقدم تحليلاً تاريخياً عن نشأة الليث وظهور عقب زوال ميناء السرين.

ولا ينس أن يذكر أسماء بعض النباتات والأشجار لكل وادٍ مر به.

ويذكر في وادي تَبْشع عين حارة يكاد ماؤها يغلي، يزورها الناس للاستشفاء.

أبلـغ هذيلاً وأبلـغ من يبلِّغها *** عنـي حديثاً وبعض القول تكذيب

بأن ذا الكلب عمراً خيرهم حسباً *** ببطن شريان يعوي حوله الذيب.

شـريان: ثنيـة تطلـع مـن جـذم علـى الأزحـاف في يلملـم، والقائلـة امـرأة هذليـة، وعمـرو ذي الكلـب أخاهـا.

ثـم يتحـدث عـن سـكان الليـث الـبر والبنـدر، مـن قبائـل وأسـر، مـن الأشـراف وبنـو فهـم وكنانـة وبجيلـة بشـكل مفصـل. ثـم تـراه يوضـح مـا قـد يقـع مـن تداخـل في الانتسـاب إلـى بعـض القبائـل كالأحـلاف، ولكنـه وخروجـاً مـن الخـلاف يقيـد معلوماتـه بـ لعلـه كـذا، والله أعلـم.

ثم يقدم دراسة نسبية تحليلية عن (قيس بن عيلان).

وتجده يوضح ما تغير من المسميات للمعالم، ومن ذلك قوله: وادي عيار، ويسميه المتقدمون أعيار.

وكما سبق وأن ذكرنا في ملامح منهجه البلداني، أن الشيخ ترسم خطى سابقيه ومعاصريه من حيث تقسيم مادته البلدانية، ولكنه أيضاً وكما بينا وسنبين تميز بمادته النسبية وتنوع مصادرها.

وحين يذكر البْزواء يقول عنها: وتسمى اليوم الوسقة لأنه حزم مرتفع بين عيار وحلية، والبزواء في اللغة ذات الصدر البارز.

وعند حديثه عن السرين، يذكر أنها بلدة قديمة على مصب وادي حلية، ثم يحفظ للتاريخ أن الباحث والمؤرخ الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه رحمه الله من أهالي القنفذة، له عناية بآثارها وكل تهامة.

ومن منهج الشيخ النسبي الإسناد في رواياته عن الأسر والقبائل المعاصرة ما أمكنه ذلك منطلقاً من المبدأ الشرعي (من أسند فقد أحال، ومن أحال فقد برئ).

وهنا دعوة للباحثين المهتمين بتاريخ وجغرافية وآداب تهامة أن يطلعوا على القصيدة التي ضمنها الشيخ عاتق رحلته لأبي الحياش الحِجْري من الحجر بن الهِنو، لأنها تحوي المواضع بين مكة واليمن.

وبالتأكيد لن ينس الشيخ عاتق أن يمر ببلدة عشم الأثرية، فيذكر أن بها آثار بيوت وحصون بالحجر الجاف، وبها آثار منها من نوع الأواني الحجرية وكسر من الخزف والزجاج القديم، وتحيط بها مقابر كثيرة وعلى بعضها شواهد منقوشة.

وعـن القنفـذة يتوسـع في الحديـث، ولـم يفتـه أن يذكـر أن لنسـاء القنفـذة عـادة اجتماعيـة محببـة إليهـن ألا وهـي خضـب أقدامهـن بالحنـا.

وكذلـك الحـال عنـد حديثـه عـن جـازان المنطقـة المترامية الأطـراف الثريـة بخيراتهـا وآدابهـا وثرواتهـا. وقـد اسـتفاد مـن مؤرخهـا الشـهير العقيلـي رحمـه الله وبعـض أعيانها مـن المسـؤولين ومـن رافقـه للوقـوف علـى تلـك المعالـم والمواقـع.

تلك مجمل موضوعات الكتاب القيم، وتلك الرحلة الموفقة.



(الدور التاريخي للشريف أحمد الحارث وابنه محمد في نجد في القرن الحادي عشر الهجري)

إعداد:

د. محمد بن حسين الحارثي الشريف

ندوة بلدة الشعراء-الدوادمي-عالية نجد

مساء الجمعة ١٤٤٠/٤/٧هـ

٢٠١٨/١٢/١٤م

الحمد لله رب العالمين الذي جعل مكة البلد الأمين موطناً وسكناً لنا ولأجدادنا الأقدمين، والصلاة والسلام المباركان العاطران الدائمان إلى يوم الدين على شفيع الأمة ونبي الرحمة الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين نبينا وسيدنا محمد بن عبد الله الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي سعدت مكة البلد الأمين بمولده ،ووطء قدميه الشريفتين على ثراها وبين شعابها وعلى جبالها، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه الأكرمين الذين وفقهم الله لاتباع الحق المبين.

حكومة الأشراف في مكة:

كان قيام حكومة الأشراف في الحجاز "مكة" بعد موت كافور الإخشيدي الذي حكم مصر باسم العباسيين من ٣٥٥-٣٥٧هـ، فقد قام جعفر بن محمد بن الحسن بإمارة مكة. واختلف المؤرخون في التاريخ الدقيق لقيام جعفر بن محمد بتأسيس إمارته في مكة ما بين ٣٥٧-٣٥٨هـ، ولكنهم مجمعون على أن قيام أول حكومة للأشراف في الحجاز بعد موت كافور الإخشيدي، وقد تزامن قيام حكومة الأشراف مع سقوط مصر في يد العبيديين، وهذه الأسرة تمثل الطبقة الأولى من أربع طبقات من الأشراف حكموا مكة وأجزاء كبيرة من الحجاز في فترات متعددة منذ قيام إمارتهم حتى القرن الرابع عشر الهجري، وتسمى الطبقة الأولى "الموسويون" نسبة إلى جدهم (موسى الجون) ، والطبقة الثانية تسمى "السليمانيون" نسبـة إلى جدهم (سليمان بن عبد الله الرضا) والطبقة الثالثة تسمى (الهواشم) نسبة إلى جـدهم (أبي هاشم محمد الأمير بن الحسين الأمير)والطبقة الرابعة تسمى (القتادات) نسبة إلى جـدهم الشريف قتادة بن إدريس الذي حكم مكة من العام ٥٩٧-٦١٧هـ، فبالتالي ينتمي الأشراف أمراء مكة حتى القرن الرابع عشر إلى الطبقة الرابعة من الأشراف الحسنيين الذين حكموا مكة



مصر للتهنئة وإعلان الطاعة والتبعية[١]، ومن ثم انضم الحجاز إلى الدولة العثمانية.

وعندما تحدث العصامي عن التماس أبي نمي من السلطان سليمان ابن سليم عام ٩٦١هـ تفويض الأمر إلى ابنه الحسن بن أبي نمي ذكر نجداً من بين الأقاليم التي تحت حمايته[٢].

وقد عدّ أشراف مكة بلاد نجد من مناطق نفوذهم؛ فقاموا بتعيين الشيخ «محمد بن أحمد بن بسام» قاضياً لعالية نجد ومقره الشعراء»[٣].

ولقبوا أفراداً من أسرتهم بلقب «شريف نجد» مثل أحمد بن محمد الحارث[٤]، وابنه محمد[٥] وعبدالعزيز بن هزاع[٦]، ومحسن بن عبدالله ابن حسين بن عبدالله بن الحسن بن أبي نمي[٧]، وباتخاذ هؤلاء بلدة الشعراء قاعدة لحكمهم في نجد، وبالحملات التي كانوا يشنونها بين الحين والآخر على بلاد نجد وقبائلها.

وإلى جانب الرغبة في الكسب المادي يمكن تعليل هذا العمل بحرص الأشراف على تقوية قبضتهم على نجد، انطلاقاً من مسؤوليتهم الرسمية، وشعورهم بالقوة، وتوقعهم ضعف إمارات نجد، وربما كان اعتداء القبائل

(١) العصامي: ٤/ ٢٩٢، ٣١٨، ٣١٩، ابن إياس: بدائع الزهور ٥/ ١٩٠.
(٢) العصامي: ٤/ ٢٣٠.
(٣) البسام: علماء نجد ١ ٧٢١-٧٩٢.
(٤) العصامي: ٤/ ٥١٨، وابن بشر ١/ ٧١.
(٥) ابن ربيعة: حوادث عام ١٠٩٠هـ.
(٦) المنقور: ص٧٣، ابن عباد أخبار عام ١١٠٨هـ.
(٧) ابن بسام: تحفة المشتاق، ص٧٤.

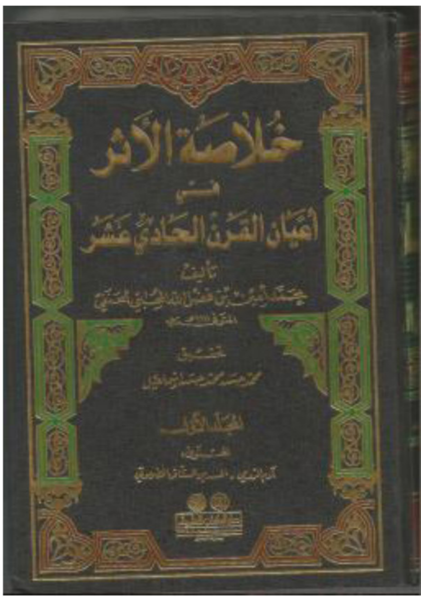


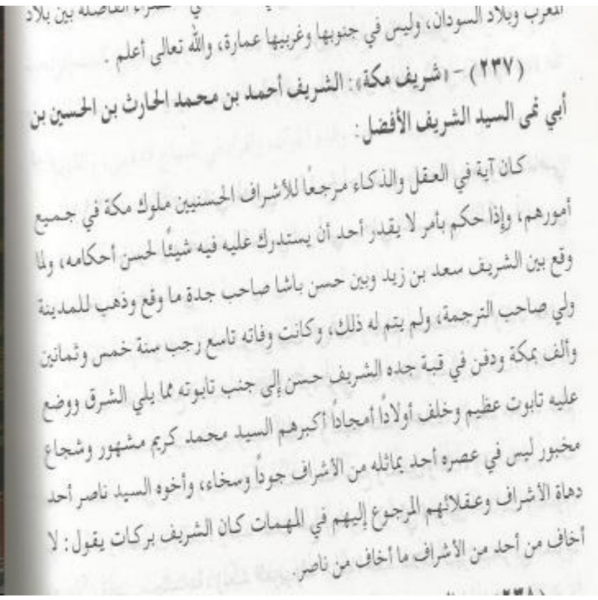
في نجد على قوافل الحجاج والتجار سبباً في وصول شكاوى إلى شريف مكة، أو إلى الدولة العثمانية، مما يحمله مسؤولية تأديب هذه القبائل وتأمين طرق الحج والتجارة، وربما كانت هناك دوافع أخر لهذا العمل، كأن تكون هناك منافسة بين الأشراف أنفسهم فيُعد شريف مكة جيشاً بقيادة أحد منافسيه ليشغل به فراغ السلطة عنده، ويشبع به شهوة الحكم لديه، وربما ليتخلص منه، وقد يكون القيام بحملة أو أكثر برغبة من أحد الأشراف الذين يُعدُّون أنفسهم لتولي السلطة – كلون من الدعاية والإعلام – ليظهر بمظهر القوة، وليكسب مؤيدين له ينضمون إلى جيشه ممن يطمعون في الحصول على مكاسب مادية.

وقد شغلت هذه الحملات وأخبار أشراف مكة أربعاً وعشرين سنة هي: ٩٨٨، ٩٨٩، ١٠١١، ١٠١٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٤١، ١٠٥٧، ١٠٦٦، ١٠٦٩، ١٠٧١، ١٠٨٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٣، ١١١٤، ١١٢٧، ١١٣٧، ١١٣٩، ١١٤٠هـ.

ومما هو جدير بالملاحظة أن حملات أشراف مكة توقفت بعد قيام الدولة السعودية الأولى، وحتى دخلت العلاقة بينها وبين أشراف مكة دائرة الصراع الذي انتهى باستيلاء السعوديين على الحجاز؛ مما كان سبباً في قيام محمد علي باشا ورجاله باسم الدولة العثمانية بمحاربة الدولة السعودية الأولى وإخراجها من الحجاز أولاً، ثم القضاء عليها وفق ما هو معروف.







المغرب وبلاد السودان، وليس في جنوبها وغربيها عمارة، والله تعالى أعلم.

(٢٣٧) - «شريف مكة»: الشريف أحمد بن محمد الحارث بن الحسين بن أبي نمي السيد الشريف الأفضل:

كان آية في العقل والذكاء مرجعاً للأشراف الحسنيين ملوك مكة في جميع أمورهم، وإذا حكم بأمر لا يقدر أحد أن يستدرك عليه فيه شيئاً لحسن أحكامه، ولما وقع بين الشريف سعد بن زيد وبين حسن باشا صاحب جدة ما وقع وذهب للمدينة ولي صاحب الترجمة، ولم يتم له ذلك، وكانت وفاته تاسع رجب سنة خمس وثمانين وألف بمكة ودفن في قبة جده الشريف حسن إلى جنب تابوته مما يلي الشرق ووضع عليه تابوت عظيم وخلف أولاداً أمجاداً أكبرهم السيد محمد كريم مشهور وشجاع مخبور ليس في عصره أحد يماثله من الأشراف جوداً وسخاء، وأخوه السيد ناصر أحد دهاة الأشراف وعقلائهم المرجوع إليهم في المهمات كان الشريف بركات يقول: لا أخاف من أحد من الأشراف ما أخاف من ناصر.

شريفا نجد أحمد الحارث وابنه محمد:

دورهما التاريخي:

وكان الدور التاريخي السياسي والعسكري الأبرز لابن الشريف محمد الحارث (أحمد بن محمد الحارث) في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري، الذي يصفه المحبي بالقول: " إنه السيد الشريف الأفضل كان آية في العقل والذكاء ، مرجعاً للأشراف الحسنيين ملوك مكة في جميع أمورهم، وإذا حكم بأمر لا يقدر أحد أن يستدرك عليه شيئا، لحسن أحكامه ... وكانت وفاته في تاسع رجب عام ١٠٨٥هـ بمكة ودفن في قبة جده الحسن إلى جنب تابوته مما يلي الشرق وخلف أولاداً أمجادا....." ونقلت هذه الترجمة معظم المصادر والمراجع المكية بتفصيل أو إيجاز. ويضيف الشلي: " .. ولما رجع عماد الدين الشهير إلى الديار السلطانية سُئل من في الأشراف يستحق المُلك؟ فقال: ثلاثة لا غير .. أحمد الحارث. وحمود بن عبدالله. وبشير بن سليمان"

ففي النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري أصبح الشريف أحمد الحارث حاكماً لنجد ، متخذاً من الشعرى ،أو الشَّعْرَاء: وهي بلدة نجدية تقع جنوب غربي الدوادمي بنحو ٣٥كم ، وتتبع محافظة الدوادمي التي تبعد عن الرياض بـ٣١٩كم، وتبعد عن مكة بـ٦٤٠كم. وتتميز أرض الشعراء بالخصوبة ووفرة المياه ، وذات موقع متوسط ، وعلى مفترق طرق القوافل، وبها سوق تجارية تقصدها الحاضرة والبادية، وتسمى أيضاً الشريفة والشريفا، وكانت منذ القرن العاشر الهجري حاضرة النشاط الإداري والاقتصادي في عالية نجد. عاصمة لحكمه، ومن بعده ابنه محمد ما يزيد على عشرين عاماً.

وتتحدث عن هذه الولاية أو الشرافة المتمثلة في عدد من الغزوات العسكرية عدد من المصادر التاريخية النجدية ، ولكنها تقع في خلط بين الشريف أحمد الحارث وبين والده الشريف محمد الحارث المتوفى قبيل نهاية النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري ، أو ابنه محمد بن أحمد الحارث الذي شارك والده هذه الحروب والغزوات بل وأكمل مهمة والده في إدارة الأمور بنجد بعد وفاته عام ١٠٨٥هـ حتى عام١١٠٧هـ.

الغزوات الحارثية في المصادر النجدية:

١- يذكر أحمد المنقور(ت١١٢٥هـ) في تاريخه في أحداث سنة ١٠٥٦هـ(وفيها ظهر أحمد الحارث وركب له الشيخ محمد في ثرمدا ، وشيخه محمد بن مهنا في مقرن، وقتلتُه قتْلة السطوة بعده) ،ويورد نفس الخبر مع اختلاف يسير ابن عباد في تاريخه و الفاخري في تاريخه . فيما يذكر ابن بشر "في تاريخه ، أنه في سنة ١٠٥٦هـ: ظهر الشريف محمد الحارث في نجد غازيا... خلافاً لمن سبقه، وفي حاشية تاريخ ابن عيسى(ت١٣٤٣هـ) ذُكر خبر ابن بشر.

٢- يورد المنقور في أحداث عام ١٠٦٦هـ خبر مناخ الحارث آل مغيرة بعقربا . وكذلك يورد نفس الخبر ابن عباد، والفاخري يذكر ما نصه: " وفي سنة ١٠٦٦هـ نوخ الشريف محمد الحارث آل مغيرة على عقرباء وهي سنة الحجر. إلا أن ابن بشر يشير إلى أن هذه المنازلة وقعت سنة ١٠٦٥هـ ،أما البسام (ت١٣٤٦هـ) في تاريخه ، يوافق المنقور وابن عباد والفاخري في تاريخ الحادثة.

٣- وينفرد الفاخري بذكر ظهور الشريف محمد الحارث سنة ١٠٧١هـ.

الغزوات الحارثية في المصادر النجدية:٤

٤- في سنة ١٠٧٨هـ ينفرد ابن بشر بخبر : " أن شريف نجد يومئذ أحمد الحارث ، وولاية مكة لآل زيد " .

٥- ويورد المنقور وابن عباد في أحداث عام ١٠٨٧هـ وقعت الضلفعة بين الحارث وآل ظفير ، ونفس الحادثة يذكرها الفاخري عام ١٠٨٨هـ : " ظهر محمد الحارث وقتل غانم بن جاسر الفضول، وهي سنة الضلفعة " بين الحارث والظفير وصارت على الظفير" ، ويوافقه ابن بشر بقوله: " ظهر محمد الحارث إلى نجد وقتل غانم بن جاسر رئيس الفضول . وهذه السنة هي مناخ الحارث والظفير، واصطلحوا ، وأخذ الحارث عليهم العقال، وأنزلهم من سلمى الجبل المعروف في جبل شمر..." وكذلك ابن عيسى، والبسام.

٦- ويذكرابن ربيعة في تاريخه في حوادث سنة ١٠٩٠هـ أن : (سلطان مكة براك الشريف، وشريف مكة محمد الحارث)، وكذلك ابن بشرفي حوادث العام نفسه يقول: (وشريف مكة يومئذ أحمد الحارث).

٧- ويذكر المنقور في أحداث عام ١٠٩٢هـ وفيها أخذ الحارث الدواسر، في المردمة ، أو حول المردمة ، ويوردها الفاخري في تاريخه، وابن عيسى، والبسام.

الغزوات الحارثية في المصادر النجدية:

إضافة إلى ما تذكره المصادر النجدية عن دور أمراء مكة الأشراف في غزو نجد مرات عديدة ومن فترات تاريخية مبكرة حتى القرن الثاني عشر الهجري.

وبعد البحث والمقارنة بين المصادر التاريخية المكية والنجدية والتحليل والربط بين الأحداث ترجح لدي –والله سبحانه وتعالى أعلم- أن أحداث وغزوات الأعوام التالية:١٠٥٦-١٠٦٥-١٠٦٦-١٠٧١-١٠٧٨هـ كانت للشريف أحمد بن محمد الحارث للأسباب التالية:

١- أن الشريف محمد الحارث بن الحسن بن أبي نمي توفي قبيل منتصف القرن الحادي عشر الهجري ، فقد ذكر محمد بن علي الطبري بأن وفاته في حدود عام ١٠٣٩هـ في سواكن التابعة لولاية الحجاز.

٢- تتحدث المصادر المكية عن عدة أدوار سياسية للشريف أحمد الحارث في عدة سنوات حتى وفاته ، مشيرة إلى براعته ونجابته ورجاحة عقله مما سبق ذكره في ترجمته ؛ مما يرجح أنه قائد الغزوات في نجد.

الغزوات الحارثية في المصادر النجدية:

٣- ما ذكره المنقور وابن عباد والفاخري في أحداث سنة ١٠٥٦هـ : " وفيها ظهر أحمد الحارث...".

٤- إشارة (ابن بشر) إلى أنه في عام (١٠٧٨هـ) " كان شريف نجد أحمد الحارث " هي إشارة قوية وصريحة تؤكد على توليه زمام الأمور في تلك الديار نيابة عن شريف مكة.

٥- ذكرت المصادر المكية أنه عندما ولي الإمارة عام ١٠٨١هـ كان قادماً من نجد مما يؤكد أنه الحاكم المنفرد بنجد وقيادة الجيوش الحجازية هناك.

٦- تؤكد المصادر المكية وفاة الشريف أحمد الحارث عام١٠٨٥ هـ إجماعاً، وكذلك ابن بشر النجدي.

٧- أما غزوة (محمد الحارث) عام ١٠٨٧هـ لنجد فهي لابن الشريف أحمد الحارث الذي خلف والده في إدارة تلك البلاد بعد وفاة والده، حيث يذكر السنجاري قدوم محمد بن أحمد الحارث من نجد جمادى الأولى عام ١١٠٠هـ .

والحادثة الأشهر في حياة الشريف أحمد الحارث هي توليته إمارة مكة عام ١٠٨١هـ لستة أشهر تقريبا بتشجيع من حسن باشا صاحب جدة؛ ودعم ومساندة من ابنه محمد الذي أتى بأبيه من نجد إلى المدينة النبوية، فألبسه حسن باشا خلعة في الروضة الشريفة بمسجد المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ونادى له بالبلد، وأمر بالدعاء له على المنبر ، وأرسل إلى جدة يريد ذخيرة يتجهز بها إلى مكة، فلما علم بتلك الولاية الشريف سعد بن زيد أمير مكة في تلك الفترة أرسل رسالة للشريف أحمد الحارث في غاية اللطافة واللين والرقة، مذكراً له بأنه الشيخ الوالد الحائز على كل كمال طريف وتالد ؛ ولكبر سنه وحكمته ورجاحة عقله وتقديره لعاقبة الأمور جعلته لا يميل إلى الاستمرار في الإمارة التي كانت ستؤدي إلى صراعات عسكرية مريرة بين أبناء العم ؛ فتنازل عنها مختاراً ؛درءاً لصراعات وسفك للدماء تكون الشهوة الشخصية للإمارة سبباً فيها ، أسوة بجده الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما عندما تنازل عن الخلافة عام ٤١هـ درءاً للفتنة وحقنا لدماء المسلمين حتى سمي ذلك العام"٤١هـ" عام الجماعة .


وفي رجب من عام
١٠٨٥هـ توفي الشريف
أحمد الحارث رحمه الله.
وقد كانت داره – طيب الله
ثراه - في مكة بجوار
الحرم المكي بالقرب
من باب الصفا.

مقالة رثاء في الشيخ العلامة
عاتق البلادي
بعنوان:
«وجب الوفاء فما عليّ ملامة***
إن بحت بعد الصمت بالإطراء»[١]

نشرتها صحيفة المدينة

تاريخ النشر: ٠٤ يونيو ٢٠١٠

١٤٣٢/٦/٢٢هـ

لرجل الوفاء والعطاء، الذي عرفه أهل الجزيرة العربية وكثير من المهتمين بالثقافة في العالم أجمع باحثًا همامًا، ترك بصمات واضحة، وأيادي بيضاء في التأليف التاريخي.

إنه: عاتق بن غيث البلادي الحربي، الأديب، النسّابة، المؤرّخ، الجغرافي، الشاعر.. الذي وُلد في بادية شمال مكة المكرمة في مكان يُدعى (مسر) بسفح جبل يُدعى (أَبْيض) سنة ١٣٥٢هـ، وفيها نشأ، ودرس في مدارس مكة المكرمة النظامية، غير أن تركيزه كان على الدراسة في المسجد الحرام، فأخذ عن مشايخ فضلاء، وقد تحصّل على دبلوم في فن الصحافة من معهد دار عمان العالي.

- أسس دار مكة للنشر والتوزيع التي لا زالت تنشر مؤلفاته العلمية وغيرها.
- تُرجم كتابه (المعالم الجغرافية في السيرة النبوية) إلى اللغة الأردية.
- حصل على جائزة أمين مدني للبحث في تاريخ الجزيرة العربية سنة ١٤٢١هـ.
- أطلقت أمانة محافظة جدة اسمه على أحد شوارع مدينة جدة سنة ١٤٢٥هـ؛ تقديرًا لجهوده وإسهاماته في خدمة الأدب والعلم.. فهو رحمه الله:

• أحد الرموز الفكرية في المملكة العربية السعودية.
• علامة مضيئة في صرح الفكر التاريخي والجغرافي في المملكة العربية السعودية.
• تجاوزت آثاره الفكرية المحيط المحلي إلى العالمية.
• أحدث حِراكًا ثقافيًّا مع صنوه الشيخ حمد الجاسر ـ رحمه الله ـ.
• أبيٌّ؛ لا يساوم على الخلق العربي الإسلامي الأصيل.
• له كرامة يحميها من أن تُخدش.

---

(١) من شعر الأستاذ إبراهيم فودة.

• لم يكن طريقه مفروشاً بالورود، بل كان مليئاً بالأشواك والمشاق.

• أحب القبائل العربية في الحجاز من شماله إلى جنوبه، فكتب عن تاريخها وتراثها وأنسابها.

• لا تخلو دراسة أكاديمية للماجستير أو الدكتوراه في كافة الجامعات السعودية والعربية في مجال تاريخ وجغرافية الجزيرة العربية عامة والحجاز خاصة إلاّ وكتب الشيخ عاتق من أهم مراجع هذه الدراسة.

علاقتي الشخصية بالشيخ عاتق:

وعن نفسي، فلقد أعتدتُ على زيارة الشيخ عاتق -رحمه الله- في داره العامرة بحي ساحة إسلام بمكة المكرمة في مجلسه الأسبوعي (مساء كل يوم اثنين)، منذ ما يزيد على عشر سنوات.

وسعدت بالمشاركة عضواً في تنظيم حفل الاحتفاء الكبير بالشيخ عاتق من قِبل عدد من أشراف الحجاز من المهتمين بالتاريخ والأنساب مساء الخميس ٢/ ٢/ ١٤٢٧هـ.. وألقيتُ كلمة في الحفل، وأعددتُ وقدّمتُ في الحفل عرضاً حاسوبياً «بوربوينت» بالمشاركة مع «الشريف نايف القصير» لأهم ملامح شخصية الشيخ عاتق، وإنجازاته، وشهاداته، ومؤلفاته.

وأحب أن أؤكد على حقيقة مهمّة لمستها في الشيخ عاتق - يرحمه الله - وهي صفة التسامح، والتفهم من الآخرين ممّن اتفقوا معه أو اختلفوا، ورفضه الغلو والتشدد في الدّين، رغم اعتزازه الكبير بسنيته ونفسه وعلمه ونسبه ومكيته، ولا أزكيه على الله، أحسبه كذلك والله حسيبه.

دعوة لمحبي ورعاة العلم والعلماء:

دعوة.. للمثقفين، وللكتّاب، وللصحفيين، ورجال المال والأعمال بمنطقة مكة المكرمة والمدن التابعة لها، والجهات الحكومية التالية:

١- جامعة أم القرى.

٢- نادي مكة الثقافي الأدبي.

٣- أمانة العاصمة المقدسة.

٤- إدارة التربية والتعليم بمنطقة مكة المكرمة.

أن يشدوا العزم لإنشاء مركز ثقافي باسم الشيخ عاتق على ثرى مكة الطاهر، ومنه ينطلق موقع على شبكة الإنترنت.

ختامًا:

صباح يوم «الثلاثاء ٢/ ٣/ ١٤٣١هـ» بعد أن أُدّيت الصلاة عليه بعد صلاة الفجر في المسجد الحرام، شيّعنا العلّامة (المؤرخ والجغرافي والنسّابة الشيخ عاتق بن غيث البلادي رحمه الله إلى قبره بمقبرة المعلاة ـ بمكة المكرمة ـ).

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

بعد حلقة نقاشية "حامية" .. الحارثي: ديار بني سعد شرق مكة, وليس جنوب الطائف

رئيس التحرير عبدالله الزهراني

٢٠١٢/١٢/٠٧م
صحيفة مكة الإلكترونية

بعد حلقة نقاشية " حامية " .. الحارثي : ديار بني سعد شرق مكة ، وليس جنوب الطائف



صحيفة مكة الإلكترونية

التحرير

(مكة) – عبدالله الزهراني

كشفت حلقة نقاش بمركز تاريخ مكة المكرمة عن أن الموقع الحقيقي لديار بني سعد التي تنتمي لها السيدة حليمة السعدية مرضعة النبى صلى الله عليه وسلم ليست جنوب الطائف ، بل شرق مكة المكرمة ، وهي مواطن ومنازل بني سعد بن بكر بن هوزان" بالتجاور مع قبيلة هُذيل فيما بين السيل الكبير" قرن المنازل" إلى أوطاس.

جاء ذلك نتيجة للحلقة النقاشية التي شارك فيها عدد من الباحثين الأكاديميين وشيوخ القبائل " من عتيبة وهذيل"، وشهدت نقاشات حادة وخلافات حول منازل بني سعد ، وحول أصول بني سعد، وهل هم من هوازن أم من هذيل ؟ شارك في هذه المناقشات الشيخ فهد المعطاني " أحد مشايخ هذيل"،" والذي يرى أن حليمة السعدية لية وليست هوزانية"..!!.

كشفت حلقة نقاش بمركز تاريخ مكة المكرمة عن أن الموقع الحقيقي لديار بني سعد التي تنتمي لها السيدة حليمة السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليست جنوب الطائف، بل شرق مكة المكرمة، وهي مواطن ومنازل بني سعد بن بكر بن هوزان بالتجاور مع قبيلة هُذيل فيما بين السيل الكبير «قرن المنازل» إلى أوطاس.

جاء ذلك نتيجة للحلقة النقاشية التي شارك فيها عدد من الباحثين الأكاديميين وشيوخ القبائل «من عتيبة وهذيل»، وشهدت نقاشات حادة وخلافات حول منازل بني سعد، وحول أصول بني سعد، وهل هم من هوازن أم من هذيل؟ شارك في هذه المناقشات الشيخ فهد المعطاني «أحد مشايخ هذيل»، والذي يرى أن حليمة السعدية «هُذلية وليست هوازنية»..!!.

كما عارض أحد الحاضرين من سكان قرية بني سعد جنوب الطائف والذي أصر أن ديار حليمة السعدية الهوازنية بديارهم جنوب الطائف.

ومن الأكاديميين والباحثين المتخصصين المشاركين في الحلقة النقاشية الدكتور محمد بن صامل السلمي، والدكتور عبدالله بن حسين الشنبري الشريف، والشريف محمد بن حسين الحارثي، وآخرين من الباحثين والأكاديميين، واختتم النقاش الحاد بالشيخ المؤرخ الكبير عبدالله الشائع.
وكانت مداخلة الشريف محمد الحارثي من المداخلات الهامة، وبين فيها رأيه العلمي بميله إلى أن ديار بني سعد؛ شرق مكة، وليس جنوب الطائف، وأن بنو سعد، هم بنو سعد بن بكر بن هوازن.

مؤكداً أنه يحق لبني سعد الفخر والتنافس على خؤولة النبي الحبيب صلى

الله عليه وآله وسلم، فهم أظْآره، وحق لهم الفخر والتنافس سواء كانوا من هوازن أم من هذيل.

واستشهد بقول الشاعر:

لقد بلغت بالهاشمي حليمة
مقاما علا في ذروة العزّ والمجد
وزادت مواشيها وأخصبت ربعها
وقد عمّ هذا السعد كل بني سعد

وقدم معلومة مهمة موثقة بصكوك شرعية لفتت الأنظار عن أن (قبيلة الثبتة من عتيبة القاطنون الآن «السيل الكبير ـ قرن المنازل» تم شراؤه من ملاكه الأشراف الحرث في أوائل القرن الثالث عشر الهجري).

وفي صباح اليوم التالي للورشة البحثية رافق الشريف محمد الحارثي فريق الدارة إلى مواقع ومنازل بني سعد بن بكر بن هوازن بشرق مكة المكرمة، في جولة علمية ميدانية «تحقيقية» رائعة ومفيدة.

وكان الباحث الشريف محمد بن حسين الحارثي قد تلقى دعوة رسمية من دارة الملك عبدالعزيز للمشاركة في حلقة النقاش التي نظمها مشروع الأطلس التاريخي للسيرة النبوية بالتعاون مع مركز تاريخ مكة المكرمة يوم الأربعاء الماضي وموضوعها: (تحديد موقع ديار بني سعد)، مؤخراً بمقر المركز بمكة. وأدار حلقة النقاش الدكتور فهد الدامغ المشرف على مشروع أطلس السيرة بالدارة، وأستاذ التاريخ بجامعة الإمام محمد بن سعود، والمتحدثان الرئيسيان (الدكتور عياد بن عيد الثبيتي، والدكتور عبدالله بن مصلح الثمالي).

إلى متصفحي الإنترنت ماذا تعرفون عن (YAHOO)؟؟

إلى متصفحي الإنترنت

ماذا تعرفون عن (YAHOO)؟؟

نُشرت بصحيفة المدينة, الإثنين: ٥-رجب- ١٤٢١هـ

الموافق ٢- أكتوبر-٢٠٠٠م.

قال الله تعالى: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) [المائدة:٨٢].

يهوه: هو اسم إله اليهود القبلي، وطريقة لفظ الكلمة مجهولة وتطلق عليها عبارة Tetragre mme أو Tet ragrammation أي الكلمة الرباعية وكان يكتب في أسفارهم بالأحرف الأربعة ي هـ و هـ دون أن يدعم بحروف العلة أي دون أن يضبط بعلامات الشكل لخلو اللغة العبرية منها في فترات مبكرة ويقرأ الاسم «يهوه» أو «ياهو» وقد ظهر الاسم الأخير مضافاً أو مضافاً إليه في بعض أسماء الأعلام الذين ورد ذكرهم في بعض الكتب المقدسة مثل «إيلياهو» ومعناه ربي هو ياهو وتتعدد تسمية الآلهة عند اليهود تارة «يهوه» وتارة أخرى «آد وناي» وطوراً «إيلوهيم» ولكنها تعني في مجملها معنى واحد هو «الله، الرب، السيد» وقد تختلف للترجمات من عربية وإنجليزية وفرنسية لأسفار اليهود حول هذا المصطلح.

وقد كان يهوه أول أمره إلهاً من آلهة الطبيعة فكان إلهاً للجبال ثم وإلهاً قبلياً مقاتلاً لأن رجال القبيلة التي عبدته كانوا مقاتلين مظفرين ذوي شوكة وبأس وظل شأنه حتى السبي البابلي، ثم تطور حتى صار عميد للآلهة في فلسطين، حيث يرد في سفري «التثنية ويشوع» على صورة الطاغية الذي يهيمن على سائر الآلهة.

وليس يعرف متى ظهر اسم «يهوه» أول مرة والمرجح أن ذلك كان بعد أن استوطن اليهود كنعان وقد كان النطق بهذا الاسم محظوراً إلا في مقامات خاصة.

وكان هذا الإله في أول أمره يلقب بـ « إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب » وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب أرسلني إليكم» سفر الخروج « ٣: ١٥ « ثم أصبح يلقب نفسه بـ « إله العبرانيين» ثم إله إسرائيل.

وهو إله باطش منتقم جبار تتوافق صفاته مع عقلية شعبه أمضى مئات السنين في الأسر فأخذ الأمل بالخلاص يضمحل وسيطر التطرف على الأجيال الجديدة، فانتسب إلى أكثر الألهة افتراساً وبطشاً.

وورد في نص من أحد أسفارهم قولهم: على الأبرياء والمسيحيين أن يتذكروا دوماً ما هو مفهوم اليهود لإلهم القبلي «يهوه» وأن يتذكروا أيضاً أن الغوييم «وهم الشعوب الأخرى التي ينظر إليها اليهود أنها سعادين محتقرة أو قيعان غبية وارث موعودون به» ليس لها الحق بتسمية إلهاهم أي لغير اليهود أنه رب إسرائيل وإسرائيل وحدها، قدوس إسرائيل الأوحد، ولأنك شعب مقدس للرب وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على الأرض «سفر تثنية الاشتراع ٧ :٦ «٦».

نخلص من ذلك أن الصفات التي ألبسها اليهود لإلههم «يهوه» إنما هي من أحاسيسهم المتسمة بالاستعلاء والعنف والأنانية شديدة التقتير فهو إله يعد ويخلف ولا يملك نفسه عند الغضب ويأخذ الابن بجريرة الأب، ومنتقم شديد الانتقام «٧».

من ذلك يتضح لنا إلهنا وربنا (الله جل جلاله) أعز وأعلى من يهوه اليهود.

وننتهي إلى أن المشكلة أن اليهود أمة تحمل في أعماقها خصائص نفسية بالغة التعقيد وتنطوي على أخلاق غاية في العوج والالتواء ولذلك تموج صدورهم بحقد طافح على الناس جميعًا تتأجج جوانبهم دائمًا بوخز هذا الغل راحة أو سعادة إلا على أنقاض الآخرين ولا يستريحون إلا بالدس والكيد والتآمر والبغي والتخريب والانتقام «٨».

ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

الحواشي:

١- سهيل ديب: التوراة تاريخها وغايتها، الطبعة الثانية، «دار النفائس» بيروت ص٩٤.

٢- عصام الدين حفني ناصف: اليهودية بين الأسطورة والحقيقة - دار المروج، بيروت، ص٥٦-٥٧.

٣- سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد، الطبعة الثانية، دار النفائس، بيروت ص٢١-٢٢.

٤- عصام الدين حفني ناصف: المصدر السابق ص٥٦-٥٨.

٥- سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص١٦-١٧.

٦- سهيل ديب: التوراة وتاريخها وغايتها ص٢٢.

٧- د. كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة، ودار الاعتصام، القاهرة، ص١٦٢.

٨- د. عبد الستار فتح الله سعيد: معركة الوجود بين القرآن والتلمود، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الثانية ص٣٢.

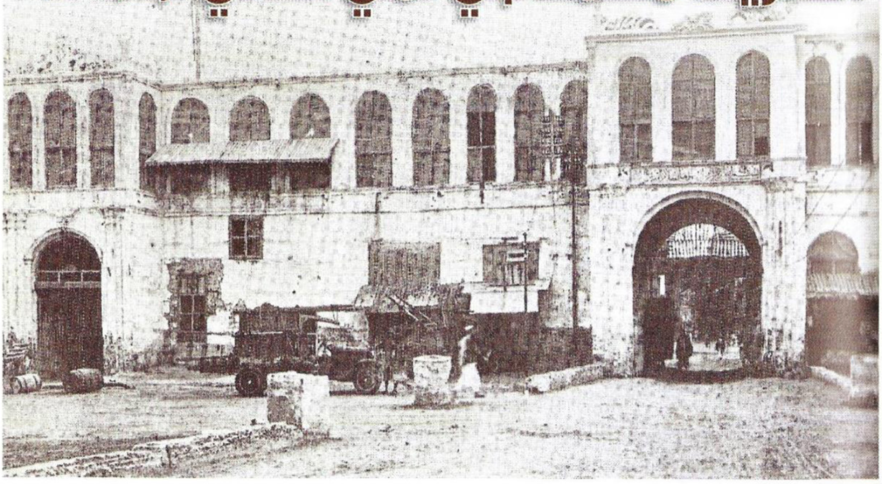
قانون الشريف محمد أبو نُمي الثاني

«رحمه الله»



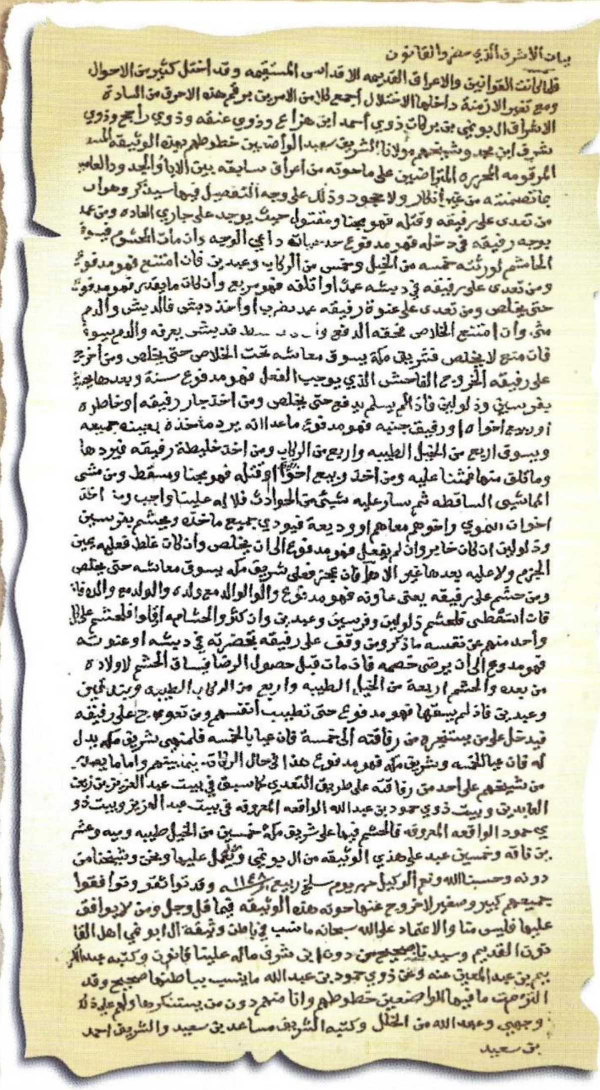
إعداد: الباحث التاريخي:
الشريف محمد بن حسين الحارثي
مكة المكرمة

قانون
الشريف محمد أبي نُمي الثاني «رحمه الله»



ترجمة : الشريف أبونمي الثاني
أمير الحجاز في القرن العاشر الهجري

هو الشريف محمد أبو نمي الثاني بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان بن رميثة بن محمد أبي نمي الأول بن أبي سعد الحسن بن علي الأكبر بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبدالله الأكبر بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبدالله الرضى بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.


بيان الأشرف الذي سمي والقانون
فلما كانت العوائد والأعراف القديمة الإقدامى المستقيمة وقد اختل كثير من الأحوال
ومع تغير الأزمنة داخلها الاختلال اجمع كلا من الاسرتين برقم هذه الاحرف من السادة
الأشراف آل أبو نمي بن بركات ذوي أحمد ابن هزاع وذوي عنقه وذوي راجح وذوي
شرف ابن محمد وشيخهم مولانا الشريف سعيد الواضعين خطوطهم دون هذه الوثيقة المسدد
المرقومة المحررة المتراضين على ما حوته من أعراف سابقة بين الآباء والجد والعابر

ولد رحمه الله ليلة التاسع من ذي الحجة من عام ٩١١هـ، وكان والده الشريف بركات يمسح على ناصيته ويقول: كنت في أكدار وكروب متولية، حتى ظهرت لي هذه الناصية.

وكان يُلقب نجم الدين، «صاحب القانون»، شارك أباه بركات في ولاية مكة، وعمره ثماني سنوات، حيث صدرت له هذه الولاية من السلطان المملوكي الغوري عام ٩١٨هـ، وبعد سقوط الحكم المملوكي على يد العثمانيين أبقاه السلطان العثماني مشاركاً لوالده في إمارة مكة، ثم منفرداً بالإمارة بعد وفاة والده.

وعدّه المؤرخون زعيماً قل من يضاهيه شهرة من طبقات الأشراف الأخرى. وكان الشريف أبو نمي جم الفضائل، حسن الشمائل، محمود السيرة، له النثر الرفيع الفائق، والنظم البديع الرائق.

وامتاز أبونمي الثاني بحزمه في إدارة الأمور وصرامته في الحكم، وبذلك هابته الأعراب والأهالي واحترمه الحجاج والمجاورون، وقدر منزلته أصحاب السلطان من العثمانيين وقضى بحزمه على أصحاب الفتن، وساعد على رخاء الأسعار، واستمرت مكة محكومة بأمره سنين في استقرار لا تعبث بها القلاقل والفوضى.

وأرسل السلطان الغوري [1] يطلب الشريف بركات إلى عنده، فأرسل يعتذر إليه، ثم إن الشريف بركات أرسل ابنه السيد أبا نمي بن بركات في هذه السنة (إلى مصر للقاء السلطان، وكان عمره إذ ذاك ثمان سنين) وأرسل معه السيد عرار بن عجل وقاضيي مكة القاضي صلاح

(١) قانصوه الغوري: هو سلطان مملوكي من الجراكسة، حكم من (٩٠٦-٩٢٢هـ)، ومن مآثره العمرانية إصلاحه طريق العقبة وحفر الآبار في طريق الحاج، وإنشاء سور جُدة، وإنشاؤه على ساحل ينبع سوراً وأبراجاً منيعة. وقُتل السلطان الغوري على يد العثمانيين في معركة مرج دابق، وفي شهر ذي الحجة من عام ٩٢٢هـ سقطت دولة المماليك.

الدين بن ظهيرة الشافعي، والقاضي نجم الدين بن يعقوب المالكي، ولديه القاضي محمد و القاضي تاج الدين.

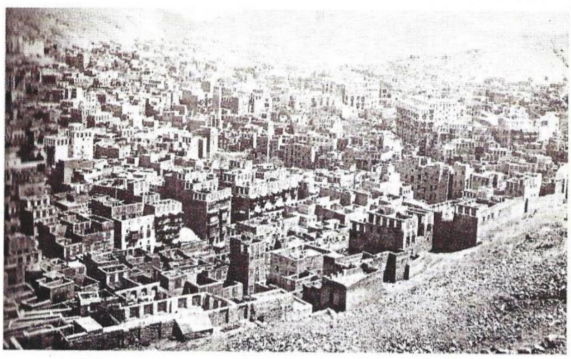
وجملة من أعيان السادة الحسنيين وطائفة من قوادهم، فتوجهوا إلى مصر ومعهم السيد أبو نمي فلما دخلوا مصر قابلهم السلطان الغوري بالإعزاز والإكرام، وأجلس السيد أبا نمي على حجره وقبل يده وفرح به غاية الفرح.

ويقال:« إنه سأله ما سورتك ؟ فقال له:« إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً» فاستبشر الغوري بذلك وجعله شريكاً لوالده في أمر مكة، وجدة، وينبع، وسائر الأقطار الحجازية وكتب له توقيعاً بذلك.

فولي مكة بعد وفاة أبيه الشريف بركات ووصل إليه التأييد بعد وفاة أبيه من السلطان سليمان خان، وكان عمره إذ ذاك نحو العشرين سنة وبعث قاصداً حضرة الأبواب السلطانية للسلطان الأعظم مولانا السلطان سليمان.

ومن الحوادث الهامة في تاريخه رحمه الله تصديه لغزو البرتغاليين «الإفرنج» لميناء جدة؛ وهي من الجهاد في سبيل الله تعالى في أعظم ثغور بيت الله الحرام، وكان ذلك في أواخر سنة ٩٤٨ هـ، دخلت طائفة عظيمة من الأفرنج وخربت غالب البنادر، فلما قصدوا جدة المعمورة نزلوا المرسى المعروف بأبي الدوائر في خمس وثمانين برشة «مركباً» مشحونة بالرجال والسلاح فقاتلهم الشريف بنفسه وترك الحج ونزل إلى جدة في جيش عظيم بعد أن أمر بالنداء في نواحي مكة المشرفة من صحبنا فله أجر الجهاد، وعليه السلاح والنفقة.

فبلغ أهل الجهاد مبلغاً عظيماً، لا يعد ولا يحد، ونفقة الشريف شاملة للجميع وعيون الكفار تدور عليهم كل حين فتشاهدهم يزيدون عَدَداً وعُدَداً وعيشاً رغداً، ورجال أبي نمي يتوجهون إلى أطراف البلاد ويحضرون بأنواع الطعام بأغلى ثمن حتى فرغت الحبوب وكادت تعدم فدخروها للخيل، وأقبلوا على نحر الإبل فكان يأمر بأن ينحر لكل مائة نفس بدنة ناقة أو بعير..واستمر ذلك مدة فقال له بعض الناس:إن هذا الفعل يستأصل ما عندك من الإبل فأجابه « بأني نويت أنحر ما أملكه ويملكه أولادي وأحفادي، فإذا نفدت الإبل نحرت الخيل ثم كل حيوان يجوز أكله».



فلما قرب زمن الحج برز أمره إلى ابنه الشريف أحمد بن أبي نمي أن يقابل الأمراء ويلبس الخلع الواردة ويحج بالناس على عادة أجداده.

فلما وصل أمراء الحج وبلغوا ما قصدوه فحينئذ توجهوا للقاء الشريف أبي نمي بجدة لإلباسه الخلع، فلاقاهم وهو شاكي السلاح لابساً درعه في هيئة المقاتل، ولما أن قرب الأمراء أمر بطلق المدافع فطلقت لمقابلتهم نحو ثلاث مئة مدفع، فكان (مشهداً عظيماً) فألبسوه الخلع الواردة صحبتهم، وانصرفوا راجعين للحج.

ولما رأى الكفار صبره وحصاره لهم انقلبوا خاسئين.

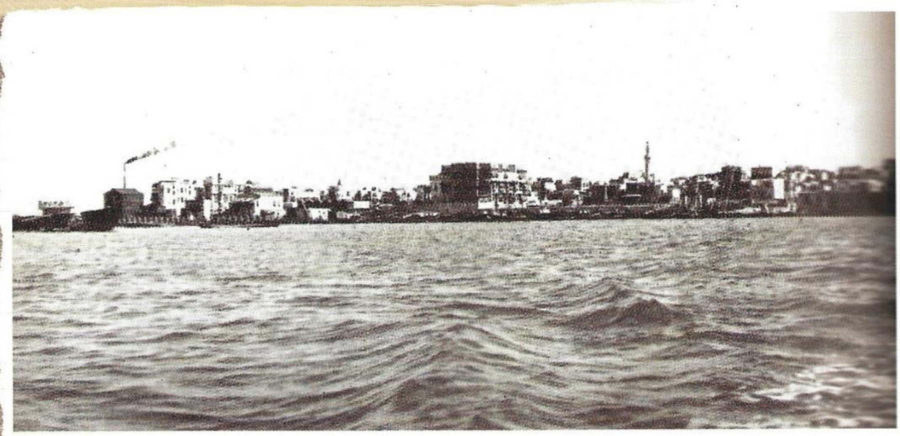
ولما بلغ السلطان سليمان خان» القانوني» العثماني ذلك زاد في إكرام أبي نمي، وسمح له بنصف معلوم جدة، إلى غير ذلك من الإنعامات التي لا تحصى.

وفاته:

توفي الشريف أبو نمي بن بركات ليلة تاسوعا افتتاح سنة٩٩٢هـ بوادي الأبيار من جهة اليمن وحمل إلى مكة وصلى عليه تجاه الكعبة ميرزا مخدوم ودفن بالمعلاة.

وقيل إنه عاش ثمانين سنة، وشهراً، ويوماً، ومدة ولايته منفرداً، ومشاركاً لولديه (أي أحمد والحسن) ثلاثة وسبعون سنة.

وكان رحمه الله صاحب خيرات، ومبرات كثيرة متكاثرة، أسس لأبنائه معالم الكرم، وحثهم على شريف



المناقب والشيم؛ فبنى بمكة رباطين للفقراء المجاورين، ورباطاً للشرايف المنقطعات بمكة، وأوقف عليهما أوقافاً كثيرة.

وأعقب المذكور: أحمد والحسن(٢) وثقبة، وبركات، وبشير، وراجح، ومنصور، وسرور، ومن البنات ناصرة، وصالحة، وشمسية، وعيشة، وموزة، وراية، وغيرهم (٣).

قانونه:

تقدم في ترجمة الشريف محمد أبي نمي الثاني رحمه الله أنه (صاحب القانون)، ولكن مازال هذا القانون عصياً على البحث والدراسة المنصفة، التي تتحرى الصدق والأمانة العلمية دون تحيز أو هوى. ولعل ذلك مرده عدم وجود الوثيقة الأصل للقانون الذي وضعه الشريف محمد أبو نمي الثاني، فلا يورد مؤرخو مكة المتأخرون كالدحلان والصباغ، الذين توفوا في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، إلا إشارات لهذا القانون، يلتقطها من أتى بعدهم من المؤرخين بالتعليق والتفسير، فإما تفسير يغلب

(٢) الأمير الشريف الحسن: هو أمير مكة وسلطان الحجاز واسطة عقد القلادة الحسنية الهاشمية من أمراء مكة، ولد في شهر ربيع من العام ٩٣٢هـ، وأمه الشريفة فاطمة ابنة بساط بن عنقا بن وبير بن محمد بن عاطف بن أبي نمي بن أبي سعد بن علي بن قتادة الحسنية. لما تولى السلطنة بالحجاز عام ٩٦١هـ مشاركاً لوالده أبي نمي الثاني، وانفرد بعد وفاة والده بالإمارة عام٩٩٢ هـ وحكم حتى عام ١٠١٠هـ عندما توفي يرحمه الله. فقام بها أحسن قيام وضبط الأمور والأحكام على أحسن نظام حتى أمنت البلاد واطمأنت العباد، وتسهب المصادر المكية،في، ذكر مزايا وصفات هذا الأمير بصفات ومزايا متعددة جدا من الذكاء والنجابة والقوة والشجاعة والسخاء،وتذكر (أنه أول من كتب في التوقيعات « جرى على الوجه الشرعي، والقانون المحرر المرعي»،ومن إضافاته أنه يكتب على القصص «أي الطلب الذي يقدم لرفع المظالم، أو الإنهاءات» « ليجاب على سؤاله زاد الله في نواله»، «وكتبه فلان» ويمهر الحجة، والقصة، ويكتب على أصول التقارير، وينزل اسمه فقط من غير أن يمهر عليها، وكان يجيز على التأليف والقصيدة الألف وأكثر) وقد رزق من الأولاد نحو سبعة وعشرين وقيل خمسة وعشرين ذكراً، ومن الإناث خمساً وعشرين، ومن الذكور سالم وعلي وأبو القاسم وحسين ومسعود وباز وأبو طالب وعقيل وعبد المطلب وعبدالله وعبد الكريم والمرتضى وهزاع (ومضر) وعبد العزيز وجود الله وبركات وقايتباي ومحمد الحارث وآدم وعدنان وإدريس وفهيد وشنبر وعبد المنعم وعبد المحسن وعنان).

(٣) العصامي: سمط النجوم العوالي: ج٤،ص٢٩٣-٣٣٩،السنجاري: منائح الكرم،ج٣ ص١٧٥-٣٧٢،الطبري: إتحاف فضلاء الزمن،ج٢، ص٣٣١-٥٥٩، أحمد زيني دحلان: مخطوطة (تاريخ الدولة الإسلامية بالجداول المرضية)،مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة، ص١٥٠، وخلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام: ص٤٨-٥٥،محمد بن أحمد المالكي المكي المعروف بالصباغ: تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام..، تحقيق عبدالملك بن دهيش، الطبعة الأولى،١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م،ج٢، ٧٧٠، السباعي: تاريخ مكة، ص٣٤٦.

(٤) كزعم نصيف في كتابه «ماضي الحجاز وحاضره» في ص١٧ من إيراده بنود قانون لا تقوم عليه بينة، ولم يقدم ما يثبت تلك القوانين، بل أنه يقر ويعترف بعدم وجود وثيقة لهذا القانون المزعوم؛ مما يبطل بحال مزاعمه، وللإيهام يورد ذكر عددين من جريدة القبلة ليوهم القارئ بأنها مراجع، ولا يوجد في هذه الأعداد أي إشارة إلى قانون أبي نمي. ومايسوء كل باحث منصف أن يستمر نقل هذه المزاعم في عدد من الدراسات الحديثة نقلاً عن هذا المرجع الذي تقوم معلوماته على التحيز والهوى والمغالطة، ومن ذلك ما وقع في يدي؛ دراسة حديثة لنورة بنت معجب بن سعيد الحامد بعنوان: « الصلات الحضارية بين تونس والحجاز»،ص٦٩، وفي الحاشية رقم (٥) تنقل مزاعم نصيف دون تحري أو إثباتات أو نقد علمي منصف، وأيضاً لإيهام القارئ تشير إلى أعداد جريدة القبلة، وتختتم الحاشية بالإشارة إلى مرجع باللغة الإنجليزية لباحث سعودي لم يفعل هو الباحثة نورة سوى نقل وترديد نفس المزاعم دون رؤية علمية تقوم على النقد والتحليل والتثبت؛ لذا فما بُني على باطل فهو باطل..!!.

عليه التحيز والهوى (٤)، أوتفسير يتصف بالإنصاف، للمؤرخ المكي أحمد السباعي،الذي يذكر أنه توصل لوثيقة (نص اتفاقية) مؤرخة بعام ١٢٣٧هـ في عهد الشريف يحيى بن سرور، وهي كما يذكرها مؤرخوها منقولة من وثيقة للشريف مسعود بن سعيد عن «أعراف» سابقة من آبائهم ولا يبعد أن يكون المقصود من آبائهم هو أبونمي أو أولاده.. ويختم السباعي بقوله: ولا تستند إلا على تقاليد ورثوها من آبائهم في صور واصطلاحات قد لا نجد اليوم من يفهم مدلولاتها كثيراً (٥).

وقد وجدت - بفضل الله- الوثيقة التي أشار إليها السباعي، والتي حررت في عهد الشريف مسعود بن سعيد الذي تولى إمارة مكة مابين عامي ١١٤٦-١١٦٥هـ، وفيما يلي سأقدم دراسة وثائقية لهذه الوثيقة:ومرفقة بصورة منها:

دراسة وثائقية لقوانين وأعراف لآل أبي نُمي:

- تصنيف الوثيقة:

خاصة (أهلية) أي ليست صادرة من جهة قضائية شرعية معتمدة.

- تاريخها:

ربيع الآخر عام ١١٤٨هـ.

- موضوعها:

مجموعة من الأعراف البدوية «القبلية» السائدة والمتعارف عليها لدى قبائل الحجاز في العهد العثماني، تنظم العلاقة بين أبناء آل أبي نمي.

- أسماء الواردين فيها:

ذوي – ذوو- أحمد بن هزاع، وذوي عنقه، وذوي راجح، وذوي شرف بن محمد وشيخهم مولانا-بحسب عبارة الوثيقة- الشريف سعيد.

-الكاتب عبدالكريم بن عبدالمعين (عنه وعن ذوي حمود بن عبدالله).

-والكاتب الشريف مساعد بن سعيد والشريف أحمد بن سعيد.

-من الشهود: (أسماؤهم مسجلة على ظهر الوثيقة).

الشريف محمد بن سعيد بن سرور، والشريف سعيد بن مساعد، والشريف حسين بن حيدر والشريف حسين بن منصور، والشريف سعيد بن حمود، والشريف زامل بن عبدالله الشنبري، والشريف أبوطالب بن حمزة الحارث والشريف عبدالمطلب الحارث وأولاده محمد وعبدالله، والشريف مساعد بن سالم البركاتي، والشريف شرف بن ماضي الحرازي، والشريف علي بن فاطر الجودي، والشريف عبدالله بن دخيل الله الوكيل، والشريف محمد بن أحمد بن عبدالله، والشريف عبدالرحمن بن مهنا الشنبري، والشريف غالب بن عبدالمجيد، والشريف غيث بن أبي طالب البركاتي، والشريف عيد بن سرور وأولاده هزاع و....، والشريف مسعود بن غالب، والشريف محمد بن حسين، والشريف ناصر بن شجاع الحارث، والشريف فهيد بن محمد بن مبارك الحارث، والشريف فهيد بن علي الجودي.

- دراسة نص الوثيقة:

كتبت الوثيقة بلغة غلبت عليها العامية، واتصفت برداءة الخط، وكثرة الأخطاء الإملائية، مما جعل من الصعوبة قراءة بعض كلماتها قراءة صحيحة؛ وبالتالي شرحها وتفسيرها.

ولقد احتوت الوثيقة على جملة من الأعراف(٦) والقوانين البدوية القبلية التي تتعارف عليها معظم قبائل الحجاز في العهد العثماني؛ بهدف تنظيم وضبط العلاقة بين أبناء الشريف محمد أبي نمي الثاني،خاصة وقد تفرعت وتكاثرت هذه الأسرة حتى غدت مجموعة من الأسر والقبائل وتفرقت في الأودية والقرى المحيطة بمكة.

ولعله من المعلوم بداهة أن القوانين والأعراف ما وضعت إلا للحد من الخلافات والصراعات بين الأفراد والجماعات. كذلك هو الحال في قوانين وأعراف هذه الوثيقة، أراد أصحابها والآمرون بها حفظ العلاقة بين آل أبي نمي.

فقدرتها أو قسمتها إلى مقدمة وستة عشر(مادة أوبند أو عُرف أو قانون) وخاتمة، لأنها وردت في الوثيقة مدمجة، مع شرح موجز يبين معاني الكلمات لكل مادة:

مقدمة الوثيقة:

عُنونت الوثيقة بـ: (بيان الأشراف الذين حضروا القانون) واشتملت على مدخل يشير فيه أصحاب الوثيقة من الأشراف إلى أنها مستمدة من أعراف سابقة(..بهذه الوثيقة المسماة المرقومة المحررة المتراضين على ماحوته من أعراف سابقة بين الآباء والأجداد العاملين بما تضمنته من غير إنكار ولا جحود..).

المادة الأولى:

من تعدى على رفيقه وقتله فهو مجنًا ومقتول حيث يوجد على جاري العادة..

الشرح: تقرر هذه المادة أن من اعتدى بقتل رفيقه «والرفيق في عُرف البادية هو «ابن العم- أي القريب- من نفس القبيلة وليس من قبيلة أخرى، أي في هذه الحالة من أبناء أبي نمي على أحد من أبناء عمه من أبناء أبي نمي »، فعقوبته أولاً أنه « مجنًا» وتعني «الجلاء» وقد أُبدلت اللام نوناً فبدل أن تكتب « مجلاً» كُتبت « مجنًا»، والجلاء أو الإجلاء في عُرف البادية، الطرد والإبعاد والنفي خارج الديار وقد يكون خارج حدود الجزيرة العربية، بل وتضيف المادة أنه يجوز قتله أين وجد كما جرت به العادة.

المادة الثانية:

ومن عمد بوجه رفيقه في دخله فهو مدفوع حد حياته داعي الوجه....!

الشرح: وتفسيرها أن من استجار واحتمى بأحد أقربائه من ذنب ارتكبه خاصة إذا كان من استجار به من أعيان الأشراف فهو مدفوع ومأجل تنفيذ العقوبة فيه، مادام المُجير حياً. (وقد تفسر كلمة المدفوع: بالمنبوذ أو المقاطع من قومه حتى يسدد ماعليه من حقوق).

المادة الثالثة:

وإن مات المحشوم فيسوق الحاشم لورثته خمسة « خمساً» من الخيل وخمس « خمساً » من الركاب وعبدين وإن امتنع فهو مدفوع.

الشرح: تقرر هذه المادة أن موت المُعتدى عليه (المحشوم) بغير القتل لا يسقط العقوبة أو الغرامة عن المعتدي، فالحشومة تعني: الغرامة(7)، والحاشم هو الغارم، الذي يسوق والسوق: يعني المال المدفوع في الدم والإصابات والغرامات، فيقدم للورثة تعويضاً يقدر بخمس من الخيل وخمسة من الإبل ورجلين من العبيد، وهي كما نرى غرامة ثقيلة، قد يعجز عن دفعها بعض الأعيان والأغنياء من الأشراف، فلا يملك الخيل إلا الأغنياء والأعيان وكذلك الأبل والعبيد. مما يدفع بمن يقرر الاعتداء على قريبه بالتفكير والتراجع عن الاعتداء لما يعلم من إيقاع غرامة ثقيلة عليه، وتكمل المادة أن من امتنع فهو مدفوع، واعتقد -والله أعلم- أن تفسيرها أنه عجز عن دفع الغرامة فهو مؤجل إلى حين، أو سيدفع عنه شريف مكة الغرامة، كما سيأتي ذكره في المواد اللاحقة.

المادة الرابعة:

من تعدى على رفيقه في دبشه عمداً، أو أتلفه فهو مربع، وإن كان مايقدر فهو مدفوع حتى يخلص.

الشرح: أي من اعتدى بسلب «ممتلكات قريبه «ابن عمه» من كافة أبناء آل أبي نمي من إبل أو ماشية، فجزاؤه أن يدفع أربع مرات قيمة ما سلبه من الإبل أو المواشي، ومن عجز عن السداد يؤجل، أو يُدفع عنه حتى يستطيع السداد. وهي أيضاً وكما نلاحظ عقوبة قاسية تجعل الفاعل يتردد مرات ومرات قبل أن يُقدم على فعلته. (وقد تفسر كلمة المدفوع: بالمنبوذ أو المقاطع من قومه حتى يسدد ما عليه من حقوق)

المادة الخامسة:

من تعدى عُنْوة رفيقه عمداً بضرب أو أخذ دبش، فالدبش والدم مثني، وإن امتنع عن الخلاص فحقه... فدبشه يعرفه، والدم يسوقه، فإن امتنع لا يخلص، فشريف مكة يسوق معاشه، تحت الخلاص حتى يخلص.

الشرح: العُنْوة مأخوذة من الاستعانة، كأن يستعين أحد أفراد القبائل الأخرى من غير الأشراف بأحد من الأشراف ويسكن بجواره، وهي قد تعني أو تتشابه في مصطلحات البدو مع «الطنيب» وهو من يربط حبل بيته «خيمته» بخيمة أحد أعيان قبيلة لجأ لها، فبالتالي ملزم جار الطنيب بحماية جاره الجديد والدفاع عنه، وللطنيب حقوق أقل من حقوق باقي أفراد القبيلة لأنه

(5) السباعي: تاريخ مكة، ص346.

(6) العرف: مجموعة من القواعد التي يتبعها الناس بالتوارث جيلاً بعد جيل، وتحمل معنى الإلـزام أي شعور الناس بضرورة الإذعان لها خوفاً من الجزاء الذي يمكن توقيعه على من يخالفها. ويعتبر العرف المصدر الأول لإنشاء القواعد القانونية في المجتمع البدوي.. بل إن كثيراً من القواعد المكتوبة التي جاءت بها معظم التشريعات استقرت عن طريق العرف. ومن أمثلة الأعراف البدوية حماية الثلاث البيض: (الضيف السارح، والطنب السابح، وخوي الجنب)، وكذلك الجلاء عند ارتكاب جريمة القتل، والعرف ملكٌ للقبيلة تأخذه معها أينما كانت وحيثما انتقلت. انظر: صالح بن غازي الجودي: مضامين القضاء البدوي قبل العهد السعودي، الطبعة الأولى، 1412هـ/1991م، دار الحارثي للطباعة والنشر، الطائف، ص95.

(7) فائز بن موسى البدراني: التنظيمات القانونية والقضائية عند قبائل الحجاز قبل العهد السعودي، الطبعة الأولى، 1420هـ-2000م، ج1، ص42.

(8) لمزيد من التفاصيل عن الطنيب، انظر: الجودي: مضامين القضاء البدوي، ص80.



ليس منهم [٨]، فبالتي تقرر هذه المادة أنه لايجوز تعدي الشريف على عنوة رفيقه (أي من جاور واستجار واستعان أو أطنب بجوار أحد الأشراف)، وعُرف بذلك، فعلى المعتدي من الأشراف على عنوة الشريف بضرب أو سلب «دبشه»: أي ممتلكاته من الإبل والمواشي، فالتعويض أو الغرامة على المعتدى مثناة أي يدفع ضعف ما أخذه. ومن عجز عن السداد يسوق أي يدفع عنه شريف مكة حتى يسدد ماعليه.

المادة السادسة:

من أخرج على رفيقه الخروج الفاحش الذي يوجب الفعل فهو مدفوع سنة وبعدها... بفرسين وذلولين، فإذا لم يسلم يُدفع حتى يخلص.

الشرح: لم يتضح لي معنى الخروج بالتحديد، ولكني أرجح أنه شكل من أشكال التعدي على العرض أو النفس أو المال، ولو بألفاظ جارحة ومتكررة، فتقرر هذه المادة منحه سنة مهلة حتى يسدد ما عليه،ويغرم بفرسين وذلولين» والذلول: الناقة» وإن عجز أو رفض يؤجل حتى يدفع.

المادة السابعة:

من أخذ جار رفيقه أو خاطره أو... أخواه..!، أو رفيق جنبه، فهو مدفوع ما عدا أنه يرد ما أخذه بعينه جميعه، ويسوق أربع من الخيل الطيبة وأربع من الركاب.

الشرح: الأخذ هنا التعدي بالسلب أو النهب، والمقصود بجار رفيقه، أي جار الشريف من غير الأشراف، وكذلك «الخاطر» وهو الضيف، ورفيق الجنب أي رفيق الطريق والسفر، فعلى المعتدي من الأشراف على من لهم صلة بشريف آخر كالجوار ورفقة الطريق، أو أن يكون ضيفاً على الشريف، فإن عليه أن يُعيد ما سلبه منه بأكمله، بل ويغرَم أربع من الخيل الطيبة وأربع من الإبل.

(وقد تفسر كلمة المدفوع: بالمنبوذ أو المقاطع من قومه حتى يسدد ماعليه من حقوق).

المادة الثامنة:

من أخذ خليطة رفيقه....... فمثنى عليه.

الشرح: الخليطة: هي ما اختلط من الإبل أو المواشي، بإبل ومواشي شخص آخر، فيستحوذ على هذه الإبل أو المواشي ويدعي ملكيتها إذا دخلت في حماه ومرابض إبله أو حضائر أغنامه، أو ماشابه ذلك من مال.وهذا ليس من الأمانة، فالواجب إخراج ما اختلط بماله وإعادته لصاحبه. وذلك ما تقرره المادة عقاباً لمن يدعي ملكية خليطة رفيقه» قريبه من آل أبي نمي» أن تُثنى عليه العقوبة، ويدفع الثمن مضاعفاً.

المادة التاسعة:

ومن أخذ ربيع أخوا.. أو قتله فهو

مجنا وسقط...

الشرح: لم يتضح لي مراد هذه المادة، وقد سبق بيان كلمة «مجنا» بأنها تعني «الجلاء»: الطرد والإبعاد والنفي.

المادة العاشرة:

ومن مشى المماشي الساقطة، ثم سار عليه شيء من الحوادث، فلا له علينا واجب.

الشرح: وتشكل هذه المادة قاعدة أخلاقية رفيعة فآل أبي نمي الأشراف يقررون أنهم لن يقدموا لأحد منهم المساعدة إذا سار في دروب الرذائل – كالزنا وشرب الخمر وما شابههما – ووقعت له حوادث جراء ذلك.

المادة الحادية عشرة:

ومن أخذ أخوات النموي وأخوهم معاهم أو وديعهم، فيؤدي جميع ما أخذه. ويحشم بفرسين وذلولين إن كان خابر وإن لم يفعل فهو مدفوع إلى أن يخلص.

الشرح: هو أيضاً شكل من أشكال الاعتداء، والمقصود بالنموي هو نسبة إلى أبي نمي، فيدفع المعتدي جميع ما أخذه. ويحشم» والحشومة: كما سبق تعريفها تعني الغرامة» فيدفع غرامة مقدارها فرسان وذلولان «والذلول: الناقة»، ولو كان «خابر» أي على علم، أيضاً يُعطى مهلة ويُلزم بدفع الغرامة.

المادة الثانية عشرة:

إن كان غلط فعليه يمين الجزم ولا عليه بعدها غير...فإن عجز فعلى شريف مكة يسوق معاشه حتى يخلص.

الشرح: الغلط: تعني الخطأ، أن يخطئ الشريف في حق رفيقه شريف آخر، فالحكم عليه أن يحلف يميناً جازمة،والحلف أي القسم، وجاء في الأثر تسمية القسم باليمين جاءت من كونه إذا حلف إنسان لآخر ضرب بيمينه على يمين صاحبه، وهي عند البدو الحلف بالله أو بأي شيء يعتقدون بأن له صلة بينهم وبين الله عز وجل.. ولذا فإنهم يخشون عاقبة الحلف ويندر أن يحلف الواحد منهم كاذباً، واليمين الجازمة يحيطها قاضي البدو الذي قدرها وألزم بها المتهم بهالة من الطقوس توقع في نفس المتهم الهيبة، فيوضع المتهم في دائرة يخطها القاضي البدوي، وينزع عنه أسلحته، وكثيراً ما يرتجف المتهم رعدة وهيبة، وأحياناً لا يحلف بل يقر بما فعل [٩].

وإن حلف اليمين لا يُلزم بعدها بشيء، وإن لم يحلف اليمين، يدفع غرامة الخطأ بحسب حجم الخطأ، وإن لم يستطع يدفع عنه شريف مكة، حتى يستطيع السداد.

المادة الثالثة عشرة:

ومن حشم على رفيقه يعني عاونه فهو مدفوع، ولد مع والده، والوالد مع ولده، فإن استعطى! فليحشم ذلولين وفرسين وعبدين، وإن كثُر الحشامة أو قلوا فالحشم على كل واحد منهم عن نفسه ماذكر.

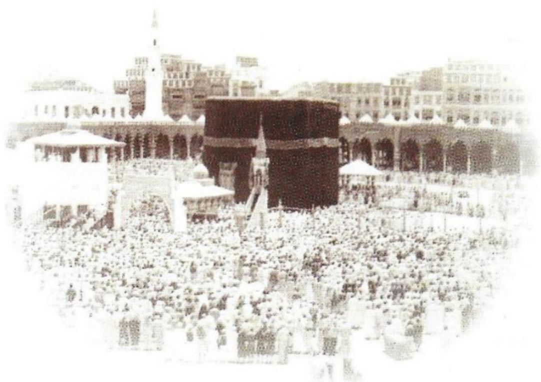
الشرح: كما سبق الإشارة ساهمت رداءة الخط وكثرة الأخطاء الإملائية في عدم وضوح بعض الكلمات، ولكن المادة تحدد المشاركين في دفع الغرامة، أن الابن مع أبيه، والأب مع ابنه، ولكن لا يغير ذلك من حجم أو قدر الغرامة، فإنها تؤكد على أن الغارمين كثروا أو قلوا على كل واحد منهم غرامة مستقلة عبارة عن ذلولين،أي ناقتين» وفرسين، وعبدين» أي اثنين من الأرقاء، حتى لو طلب إعطاءه مهلة فلابد من دفع الغرامة لكل فرد منهم. وهي كما تبدو غرامة ثقيلة ينوء بحملها الكثير من الأفراد، وهدفها بلا شك الحد من الخلافات والصراعات بين القرابة.

المادة الرابعة عشرة:

من وقف على رفيقه بحضرته في دبشه أو عنوته فهو مدفوع إلى أن يرضي خصمه فإذا مات قبل حصول الرضا، فيساق الحشم لأولاده من بعده، والحشم أربعة « أربع» من الخيل الطيبة، وأربع من الركاب الطيبة، وبندقين، وعبدين،فإذا لم يسقها فهو مدفوع حتى تطيب أنفسهم.

الشرح: يلاحظ القارئ أن هذه المادة امتداد للمادة الرابعة والخامسة، لمزيد من التشديد في العقوبة على التعدي على الرفيق وهو القريب من الأشراف في دبشه (أي ممتلكاته من الإبل والمواشي)، وعنوته: أي من جاور الشريف واستعان به من قبائل أخرى، فالعقوبة «مربعة»، أي تضاعف أربع مرات، ولا تسقط العقوبة بموت المُعْتَدى عليه، بل تُدفع الغرامة لأولاده ومقدار «الحشم» الغرامة «أربع من أفضل أنواع الخيل وكذلك الإبل، لمزيد من التشديد في العقوبة، إضافة لدفع «بندقين» ومفردها «بندقية»: وهي السلاح الناري المعروف، وعبدين،

(٩) لمزيد من التفاصيل عن «اليمين» انظر: الجودي: مضامين القضاء البدوي...ص١٣٤.



فإذا لم يستطع دفعها فهو مؤجل حتى يتمكن من الدفع.

المادة الخامسة عشرة:

ومن تعوج على رفيقه فيدخل على من يستخيره من رفاقته إلى خمسة، فإذا عيا بالخمسة،...إلى شريف مكة ويدل له، فإن عيا بالخمسة وشريف مكة فهو مدفوع، هذا في حال الرفاقة فيما بينهم.

الشرح: الاعوجاج ضد الاعتدال والاستقامة، وتعني رفض الحلول والوساطات والإصرار على أمر ما قد يتسبب في خلاف وصراع لا تحمد عقباه، فعلى المتضرر من اعوجاج قريبه أن يسعى إلى إقناعه ويتوسط عنده بخمسة من الرجال من القرابة، بهدف إقناعه وإعادته إلى الصواب، فإن لم يقتنع بوساطة الخمسة أشخاص، أُحيل أمره إلى شريف مكة لإقناعه أيضاً، فيدل له:أي يحاول إقناعه، وإن لم يقبل بوساطة شريف مكة، فهو مدفوع: (وقد تفسر كلمة المدفوع: بالمنبوذ أو المقاطع من قومه حتى يعود إلى الصواب)، ولكن تشترط المادة أن يكون هذا الحكم بين أبناء أبي نمي «الأشراف» فقط، فالرفاقة هم الأقرباء.

المادة السادسة عشرة:

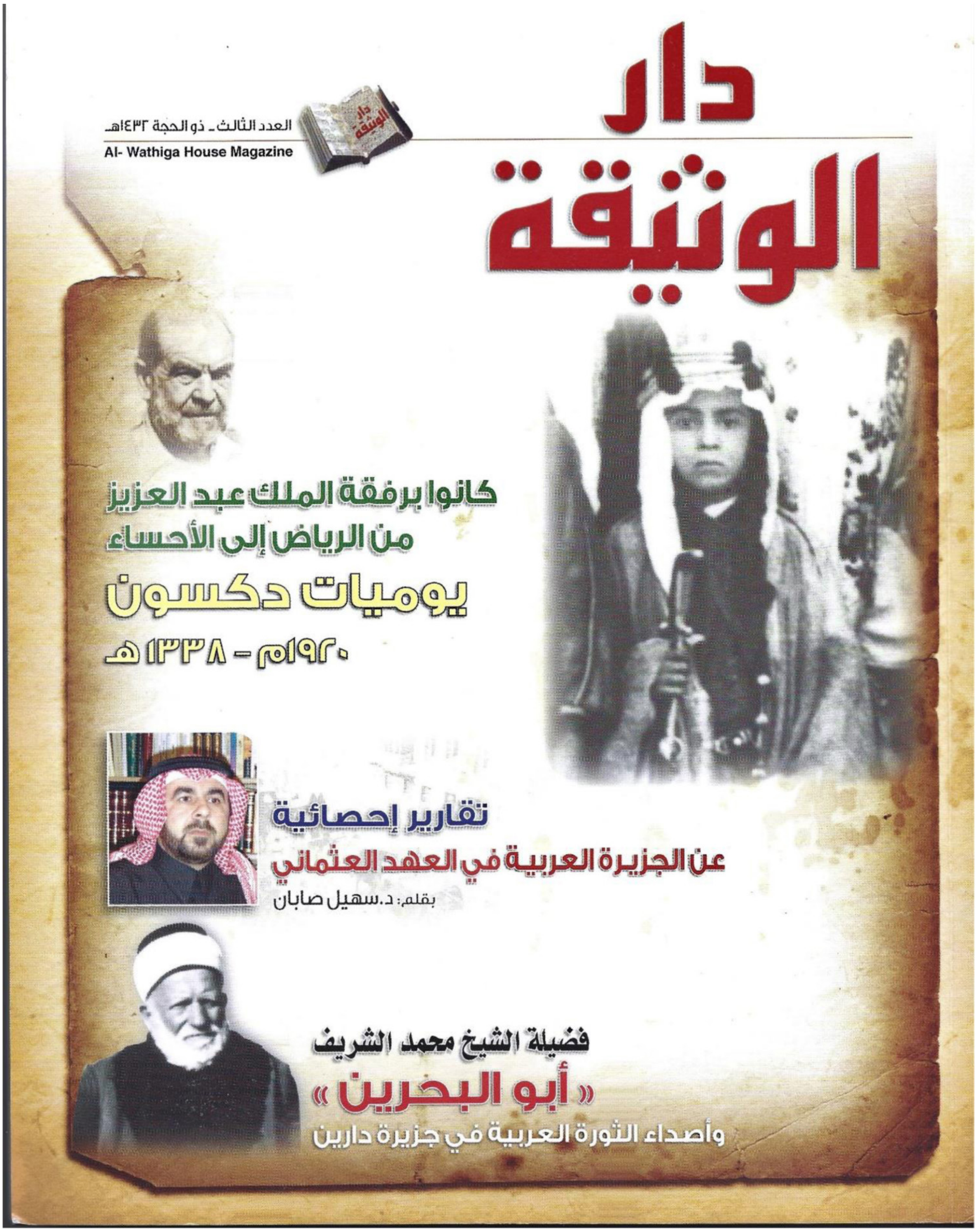
وما يصدر من شيخهم على أحد من رفاقته على طريق التعدي كما سبق في بيت عبدالعزيز وبيت ذوي حمود الواقعة المعروفة، فالحشم فيها على شريف مكة خمسين من الخيل الطيبة، وميه وعشرين ناقة، وخمسين عبد.

الشرح: تمثل هذه المادة خاتمة المواد وأشدها في الغرامة، لأن الغرامة بحجم الغارم، أي المعتدي، فإذا كان المعتدي شيخ القبيلة على أحد أفرادها، فإن القضية تحال لشريف مكة الذي يفصل فيها بدفع غرامة قُدرت بخمسين من الخيل ذات النوعية الجيدة، ومئة وعشرون ناقة، وخمسون عبداً مملوكاً، وحجم الغرامة يبين مدى الحرص الشديد على درء خلاف وصراع كبير قد يقع لا تُعلم نتائجه.

خاتمة الوثيقة:

لا تقل أهمية عن المواد السابقة الذكر، فهي تمثل إقراراً وتعهداً وضمان بتنفيذ محتويات مواد هذه الوثيقة، فمن العبارات الواردة في الخاتمة:

- ... على هذه الوثيقة من آل أبي نمي ومن يعمل عليها ونحن وشيخنا من دونه.
- حرر يوم سلخ ربيع الآخر ١١٤٨.
- تواثقوا «أي الأشراف» وتوافقوا جميعهم كبير وصغير لا خروج عما حوته هذه الوثيقة فيما قل أو جل. ومن لا يوافق عليها فليس منا، والاعتماد على الله سبحانه.
- ما نسب في باطن وثيقة آل أبي نمي أهل القانون القديم.» وتلك إشارة إلى قانون جدهم أبي نمي الثاني».
- كتبه عبدالكريم بن عبدالمعين عنه وعن ذوي « أي:آل » حمود بن عبدالله. (أي:الأشراف العبادلة).
- ما ينسب بباطنها صحيح وقد التزمت ما فيها الواضعين خطوطهم (قد تعني توقيعاتهم، ومشاركاتهم في كتابة مواد الوثيقة)، ولهم على ذلك وجهي (وتعني كلمة وجهي: الكفالة، أي أنه يكفل ويتعهد بضمان الحقوق والالتزام بتنفيذ بمواد الوثيقة على الكل)، وعهد الله من الخلل، أي الإخلال بمواد الوثيقة.
- وكتبه الشريف مساعد بن سعيد والشريف أحمد بن سعيد (أي شاركا في كتابة مواد الوثيقة، وكليهما من أمراء مكة مابين عامي «١١٦٥-١١٨٦هـ»).



(دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) سورة يونس (١٠).

فهرس المحتويات